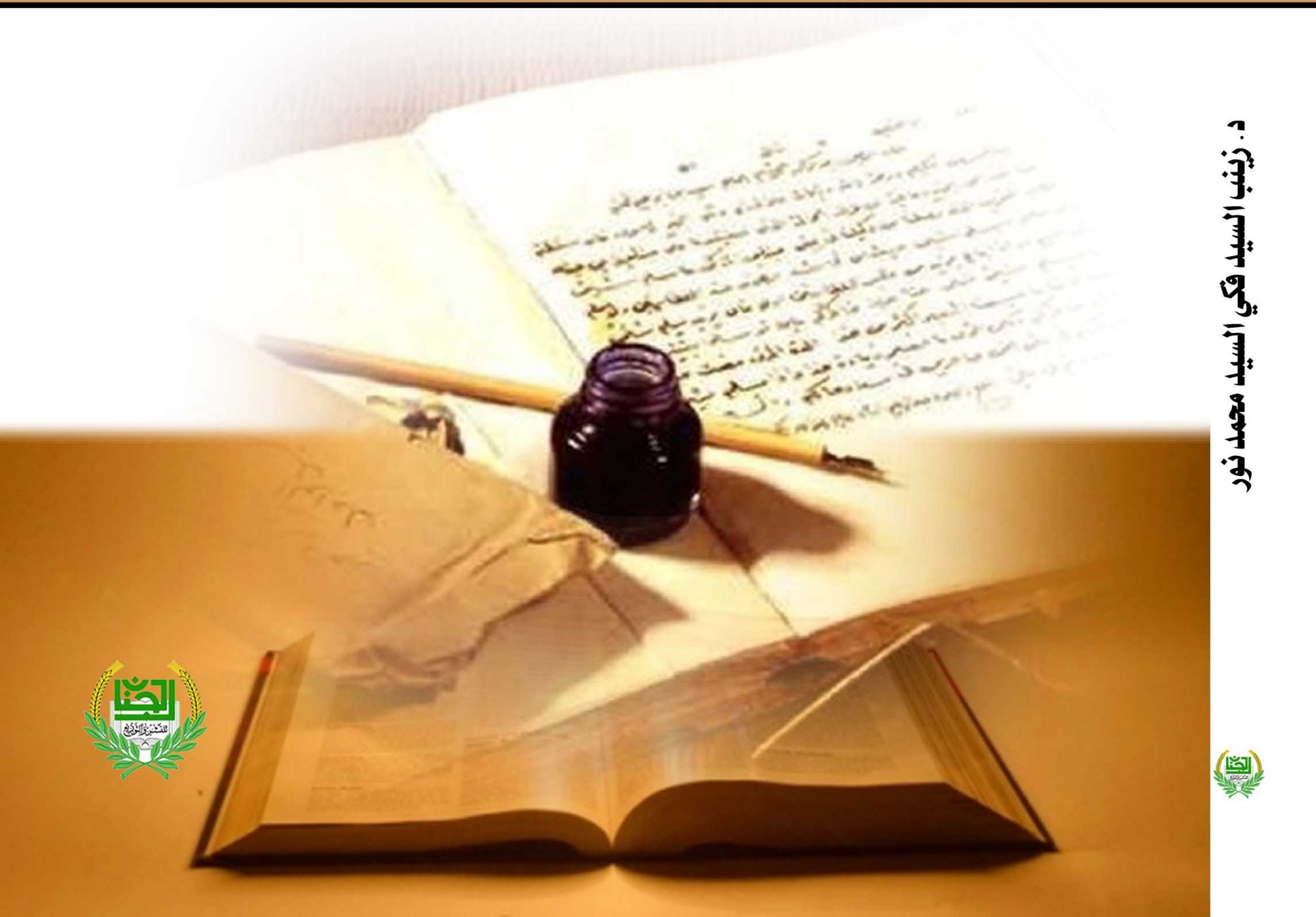
الدكتورة
زينب السيد فكي السيد محمد نور

شعراء الزهد في العصر العباسي الأول

شعراء الزهد في العصر العباسي الأول
د. زينب السيد فكي السيد محمد نور



شعراء الزهد في
العصر العباسي الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

٢٠١٦

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

٤٦١٨/٩/ ٢٠١٥مركز الإيداع ٨١١,٥

شعراء الزهد في العصر العباسي الأول

الدكتورة : زينب السيد فكي السيد محمد نور

دار الجنان للنشر والتوزيع

عمان – العبدلي - مجمع جوهرة القدس التجاري – ط(M)

- هاتف: ٤٦٥٩٨٩١ ٦ ٠٠٩٦٢ تلفاكس: ٤٦٥٩٨٩٢ ٦ ٠٠٩٦٢
- موبايل: ٧٩٥٧٤٧٤٦٠ ٠٠٩٦٢ موبايل: ٧٩٦٢٩٥٤٥٧ ٠٠٩٦٢
- هاتف السودان – الخرطوم ٩١٨٠٦٤٩٨٤ ٠٠٢٤٩
- ص.ب ٩٢٧٤٨٦ الرمز البريدي ١١١٩٠ العبدلي
- البريد الإلكتروني: **dar_ jenan@yahoo.com**

daraljenanbook@gmail.com

شعراء الزهد في

العصر العباسي الاول

الدكتورة

زينب السيد فكي السيد محمد نور



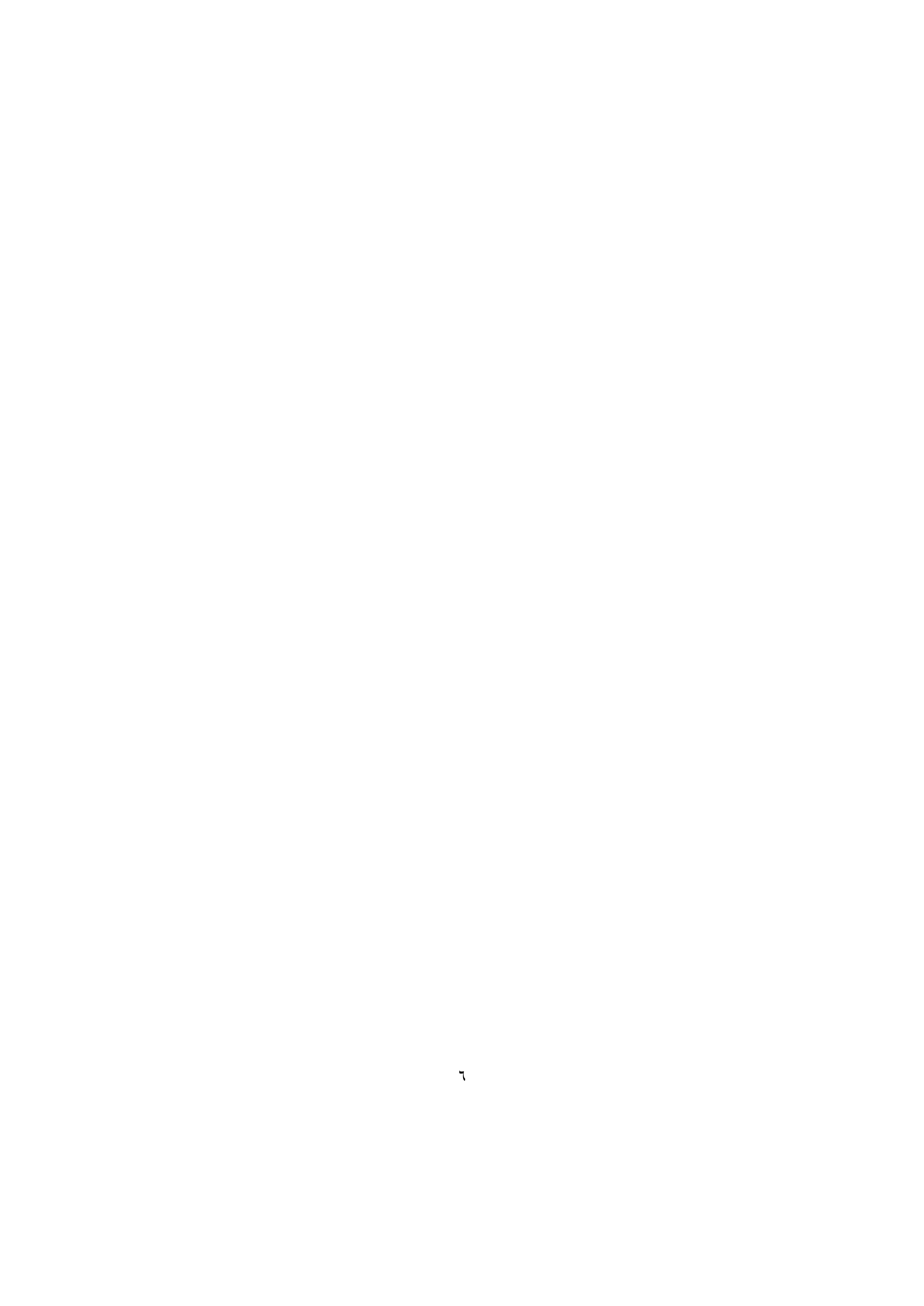
المقدمة

هذا البحث يتناول في الباب الأول قضية الزهد مستعرضا أراء المفسرين والأصوليين واللغويين، كما يعرج على التطور التاريخي للفظة الزهد، ويبحث في جذوره وروافده هل هي إسلامية أم غربية.

ويتناول في الباب الثاني فصلا كاملا عن البيئة العباسية لبيان أثرها في انتشار الزهد، ثم يدرس ثلاثة من أبرز شعراء الزهد في العصر العباسي الأول، وهم عبد الله بن المبارك، محمود الوراق، أبو العتاهية، متتبع حياتهم وشيوخهم وتلاميذهم، وأراء العلماء فيهم، موضح السمات الزهدية لكل منهم على حدا، متوقفا عند روافدهم اللغوية والدينية.

وقد ختمت بالصورة الفنية في ثلاثة دواوين هي ديوان عبد الله بن المبارك، وديوان محمود الوراق، وديوان أبي العتاهية، كما تتبعت عمق فهمهم للتعاليم الدينية وتدبرهم في الذكر الحكيم، الذي أهلهم لمحاولة اقتباس ألفاظ القران وقوافيه وجرسه الموسيقي.

وهذه الدراسة بمجملها لم توف الزهد ولا شعرائه حقهم ولا بعض حقهم، ولكنها محاولة لكشف بعض جوانب هذه القضية الشائكة، التى كانت ولا تزال مثار نقاش في الساحة الثقافية، لما يثار حولها من أسئلة كثيرة مغرضة أو غير مغرضة.



الفصل الأول

البيئة العباسية

المبحث الأول

الحياة السياسية

قامت الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ[١]، واعتمدت في تكوين نسيجها الاجتماعي على العباسيين وأبناء عمومتهم العلويين والموالى بقيادة الفرس ورغم نجاح تلك القوى المتباينة في إسقاط الدولة الأموية إلا أنهم لم يظلوا يداً واحدة بل تفرقت قلوبهم تبعا لاختلاف أهوائهم، وتنافس العلويين والموالى على المناصب العليا، ووقع العباسيين في حيرة من أمرهم أي الفريقين ينصرون العلويين أم الموالى وقر قرارهم على اصطفاء الموالى بقيادة الفرس وإبعاد العلويين خوفا من منازعتهم على الخلافة، ولم يكتفوا بذلك بل عمدوا إلى ظلم العلويين وتشريدهم والتنكيل بهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وأصبحوا في هروبهم من بني مروان إلى بني العباس كالمستجير من الرمضاء بالنار وفي هذا الصدد يقول شاعرهم :

ليت ظلم بني مروان عاد لنا　　　وليت عدل بن العباس في النار

تمكن الموالى بقيادة الفرس بعد استقرر الدولة العباسية وأخذوا يصبغون الحياة السياسية والدواوين الحكومية بالصبغة الفارسية، حتى أنهم رتبوا أزياء الداخلين على الخليفة كل حسب وظيفته ودرجته ولم يكتفوا بذلك بل سربوا ثقافتهم رويدا رويدا إلى المجتمع العباسي طمعا في إعادة أمجادهم الكسراوية، ولكن الخلفاء العباسيين كانوا ذوو فطنة ودهاء فوقفوا لهم بالمرصاد واغتالوا كل من تجاوز حدود وزارته أو طمع في الخلافة، أمثال الوزير أبو سلمة الخلال، واسمه حَفْص بن سليمان، ويلقب بوزير آل

---

[١]/ الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب، تأليف د. صالح آدم بيلو، ط١سنة ١٤٠٨هـ، ص٥.

محمد، وكـان أبـو مُسـلم يلقـب أمـين آل محمد. فقَتـل أبـو العبـاس[1] أبـا سَـلمة الخـلاّل عام١٣٢هـ. وقتل أبو جعفر المنصور أبا مسلم عام ١٣٧هـ، وكان أبو مُسلم يقول لقواده إذا أخرجهم: "لاتُكلموا الناسَ إلا رَمْزا، ولا تَلحظوهم إلا شزرا، لتمتلـىء صدورُهم من هَيبتكم"[2]، وبعد مقتل الوزيرين خاف العامة قبل الخاصة حتى قال سليمان بن المهاجر البجلي فيه:

إن الـــــوزير وزيـــــر آل محمـــــد   أودى فمـــن يشـــناك صـــار وزيـــرا

أما الوزير يحي بن خالد البرمكي[3] فقد حظي بما لم يحظ به غيره من الوزراء، فقد كان والد الخليفة هارون الرشيد من الرضـاع، ولكن ذلك لم يغن عنه شيئا فقد حبسه هارون الرشيد مع ابنه الفضل وقتل ابنه جعفر وصلبه وصادر جميع ممتلكاتهم عام١٨٧هـ، دون سبب سوى خشية الخلفاء العباسين من طمع وزرائهم في الحكم، وبرغم ذلك لم يضعف النفوذ الفارسي بل ازداد قوة بانتصـار المـأمون ابن مراجل الفارسية على أخيه الأمين ابن زبيدة العربية الهاشمية[4]، "حتى ليروى أن رجلا تعرض للمامون بالشام مرارا فقال له ياأمير المؤمنين انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم خرسان، فقال المأمون: أكثرت عليا يا أخا أهل الشام، والله ما أنزلت قيسا عن ظهور الخيل إلا وأنا أرى أنه لم يبق في بيت مالي درهما واحدا!.. أما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتني قط، أما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني وخروجه، فتكون من أشياعه. أما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث نبيه من مضر..."[5].

رغم كل ما ذكرنا من احتلال الفرس للمناصب العليا وتصرفهم في شوؤن الحكم إلا أن الوجود العربي لم يغب كليا عن الساحة فقد كان للقادة العرب أمثال

---

[1]/ عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عم رسول الله ﷺ. وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي، بويع له بالخلافة يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

[2]/ الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب، ص١٤.

[3]/ البرمك هو الذي يعمر بيت النور، وأصلها مجوسي وتعني حارس النار المقدسة.

[4]/ اسمُها أمَة العزيز، وتُكنى أمَّ الواحد، وزُبيدة لقب لها. وهي ابنة جعفر بن المَنصور، وأم محمداً الأمين

[5]/ الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب، ص١٤.

الوزير الفضل ابن ربيع[1]، وأحمد ابن أبي داود، ويزيد ابن مزيد الشيباني قائد الجيوش الذي هزم الروم، وفرق الخوارج وقتل قائدهم ابن طريف، ومدحه الشعراء بذلك. فكان أحسنهم مدحاً مسلم بن الوليد[2] الذي قال:

يفتر عند افترار الحرب مبتسماً	**إذا تغير وجه الفارس البطل**
موفٍ على مهجٍ في يوم ذي رهجٍ	**كأنه أجل يسعى إلى أمل**
اسلم يزيد فما في الملك من أودٍ	**إذا سلمت ولا في الدين من خلل**
لولا دفاعك بأس الروم إذ مكرت	**عن بيضة الدين لم تأمن من الثكل**
والمارق ابن طريفٍ قد دلفت له	**بعارضٍ للمنايا مسبل هطل**

ولم يلبث النفوذ الفارسي أن تضاءل أمام النفوذ التركي الذي دخل البلاد على يد الخليفة المعتصم[3] سنة٢١٨ـ٢٢٧هـ، فقد اشترى قوما من سمرقندا ونواحيها يقدروا بحوالى ثمانية عشر ألف مملوك تولوا حراسة الخليفة وقيادة الجيوش وكانوا أشداء فحطموا خصومهم، وقساة فشكا منهم الناس فبنى لهم الخليفة مدينة سامراء، ولكنهم أحكموا قبضتهم على الخلفاء أنفسهم، الذين وهنوا ولم يكونوا في قوة أسلافهم، بل أصبحوا مجرد أسماء وصورا يحركها المماليك الأتراك وقد صور ذلك دعبل الخزاعي في قصيدته التى مطلعها:

بَكى لِشَتاتِ الدينِ مُكتَئِبٌ صَبُّ	**وَفاضَ بِفَرطِ الدَمعِ مِن عَينِهِ غَربُ**

إلى أن يقول:

لَقَد ضاعَ أَمرُ الناسِ إذ ساسَ مُلكَهُم	**وَصَيفٌ وَأَشناسٌ وَقَد عَظُمَ الكَربُ**

---

[1]/ الذي ولى الوزارة لهارون الرشيد بعد نكبة البرامكة حتى وفاة هارون، وظل الفضل وزير للأمين إلى أن قتل.

[2]/ هو مسلم بن الوليد من أبناء الأنصار وكان مداحاً محسناً وجل مدائحه في يزيد بن مزيد وداود بن مزيد المهلبي والبرامكة ولّي في عهد المأمون بريد جرجان فلم يزل بها حتى مات عام ٤٠٨هجرية وكان يلقب بصريع الغواني لبيت قاله.

[3]/ محمد بن هارون، أبو إسحاق المعتصم بن الرشيد؛ ولد سنة ثمانين ومائة، وأمه أم ولد اسمها ماردة، بويع بعد المأمون بعهد منه إليه في رابع عشر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين. وكان أبيض أصهب اللحية طويلها ربع القامة، ذا شجاعة وقوة وهمة عالية؛ وكان يقال له"المثمن" لأنه ثامن خلفاء بني العباس.

مما أدى إلى ضعف الدولة العباسية، وسقوط مدنها واحدة تلو الأخرى حتى سقطت بغداد في أيدى بنو بويه سنة ٣٣٤هـ.

المبحث الثاني

الحياة الاجتماعية والاقتصادية

كانت حياة المجتمع العباسي متنوعة وفيها ألوان من الصور، التي تميزت عما كان عليه حال المجتمع العربي منذ العصرالجاهلي إلى بدايات الدولة العباسية، فقد ارتقت الحياة في جانب العمران، وتشكلت أعراقٌ بشرية ممزوجة من العرب والعجم، كما مزج هذا في الجانب السياسي للحكم، إضافةً إلى تنوع طبقاته البشرية، فكانت هناك طبقة عليا متنعمة، وأخرى فقيرة معدمة، وبينهما طبقة استفادت من كلا الطبقتين، فمن الأولى المال، ومن الأخرى الأيدي العاملة. ولا يمكن تجاهل التنوع الثقافي وما فيه من امتزاجٍ فكري حصل على مستوى جميع طبقات المجتمع العباسي. ولا غرابة من هذا التنوع، إذا تنبّهنا إلى العوامل التي ساعدت على حدوث هذا التنوع. فلقد اتسعت المساحة الجغرافية للدولة العباسية، وما يحمله هذا الاتساع من احتواءٍ لبيئاتٍ اجتماعية مختلفة في عاداتها وثقافاتها، وتصوراتها. وقد كانت دولة بني عباس قد أعطت الضوء الأخضر أمام كل ثقافة أدبية مكتوبة، لتنقل إلى العربية. واستفادت من كل من نبغ في جانب من الجوانب. فكان يقرب من بلاط الخلفاء، ويقدم له الدعم. وهذا دافع له ليقدم الجديد. وقد تنافس في هذا المضمار خلق كثير، كل يقدم ما يتميز به عن غيره. وكان لهذا أثره في تنوع الحياة.

أبرز الظواهر الاجتماعية في العصر العباسي:

أولاً: الحضارة:

هي كلمة تدل عادةً على البناء. ولا يتعارض هذا مع دلالتها على الثقافة؛ لأن البناء يعكس طبيعة العقلية التي صممته، وطبيعة الأيدي العاملة التي نفذته. وفي العصر العباسي غلبت على الدولة حضارة الفرس، بكل ما تحويه، من بناءٍ، أو ثقافة.

ففي جانب البناء، يظهر ذلك جلياً في بناء بغداد. فقد أقامها المنصور مستديرةً على شاكلة عاصمة الفرس المدائن[1]، وبنى قصوره على شاكلة قصورهم. وفي الجانب الثقافي، فقد ورثت الدولة العباسية ثقافات أمم متنوعة، على رأسها الثقافة الفارسية في مجال الحكم والسياسة، بالإضافة إلى ثقافات الهند، واليونان، وثقافة الشرائع السماوية، من يهودية، ونصرانية، وثقافة الدين المجوسي.

ويمكن القول بأن تحول الحياة آنذاك نحو البناء، كان له أثره في تحول مجموعة من العرب، إلى الاستقرار في المدينة، وتحول حياتهم من حياة البداوة والتنقل، إلى الثبات والتحضر، وخاصة الشعراء، الذين اقتربوا من بلاط الخلفاء بحثاً عن الأعطيات. وقد أثر هذا في فكرة الأطلال المعهودة في بناء القصيدة العربية الجاهلية، وحلّ محلها ذكر القصور، التي أصبحت في وقت لاحقٍ يوقف على أطلالها، ويبكى على أهلها.

ثانياً: الثراء:

كانت طبقات المجتمع في العصر العباسي تنقسم إلى ثلاث طبقات أولها الطبقة الخاصّة وكانت تنعم بالحياة إلى غير حد وتتكون من الخلفاء، ومن حولهم من الحاشية، ومن أفراد الرعية، الذين تميزوا إما بالعلم، أو الأدب، أوالتطبيب، أو الفن، ونحو ذلك. ثانيها الطبقة العامّة: وكانت في عوز وفاقة، إلى أبعد حد. وثالثها الطبقة الوسطى: وهي طبقة ناشئة بسبب هذا الانقسام الحاد في طبقات المجتمع العباسي، حيث احتاج العلية من القوم إلى من يصنع لهم أغراضهم ويأتي لهم بطلباتهم المترفة، فكان الصانعون، والتجار. واستفاد هؤلاء من أجور الخلفاء، وترفهم، كما استفادوا من الأيدي العاملة من الطبقة العامة. وكانت رؤوس أموالهم تختلف قلة، وكثرة. وكان

---

[1]/ المدائن على مسافة يوم من بغداد، ويشتمل مجموعها على مدائن متصلة مبنية على جانبي دجلة شرقاً وغرباً، ودجلة يشق بينهما، ولذلك سميت المدائن، فالغربية منها تسمى بهرسير، والمدينة الشرقية تسمى العتيقة وفيها القصر الأبيض الذي لا يدرى من بناه ويتصل بهذه المدينة العتيقة المدينة الأخرى التي كانت الملوك تنزلها وفيها إيوان كسرى.

أكثرهم ثراءً: البزازين، والعطارين، وتجار التحف النفيسة، وكان مصدر ثراء هؤلاء الخلفاء، وحاشيتهم، خزائن الدولة، والتي كانت تحصل على هذه الأموال، من الفيء والغنائم، كما كانت تحصل عليها من خراج أراضي الدولة. ويذكر أن دخل بيت المال في عهد الرشيد بلغ سبعين مليون دينار.

أما المستفيد الأول من هذه الأموال فكان الخلفاء، والوزراء، ومن اختلط بهم من الشعراء، والعلماء، والأطباء، والمغنين، ويشار إلى أن كل فرد من أفراد الأسرة الحاكمة، كان يصرف له راتبا سنويا، فقد وهب المنصور كل فرد من أسرته مليون درهما سنوياً. وكان جزء كبير منها يذهب مكافأت للشعراء، على قصائدهم، أو المغنين لجميل أصواتهم، ونحو ذلك. كما كان يخصص جزء منها للعلماء ليكفيهم مؤونة العيش ويحفزهم على العطاء. ووصل بعض هؤلاء المستفيدين إلى حد الثراء الفاحش، أمثال إبراهيم الموصلي.

ثالثاً: الترف:

ويقصد بالترف: التنعّم[1]، وهو ناتج من الثراء الذي كان يعيشه العباسيون ومن حولهم من الحاشية. وقد شمل جميع جوانب الحياة عندهم، أذكر منها: زخرفة الدور والمنازل وبناء القصور، وفرشها من الوثير. والإسراف في المظاهر الاجتماعية كمراسم الزواج، وما يتخللها من إسراف وبذخٍ في المصاريف، والتجهيزات. وأشير إلى أن المأمون عندما تزوج بوران بنت الحسن بن سهل[2]، قد أنفق أموالاً خيالية[3]، وأعلم

---

[1]/ تاج العروس من جواهر القاموس، ط٢، ج٦،

[2]/ بوران بنت الحسن بن سهل وزير المأمون ذكر الصولي أن اسمها خديجة وتعرف ببوران. تزوجها المأمون وأخبارها في ذلك مشهورة. قالت ترثي المأمون:

أسعداني على البكا معلنينا صرت بعد الإمام للهم قينا *كنت أسطو على الزمان فما مات صار الزمان يسطو علينا‌ولدت بوران ليلة الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة اثنين وتسعين ومائة، وماتت ببغداد أول يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين ومائتين.

[3]/ أعرس المأمون بنهر المبارك إذ بنى على بوران بنت الحسن بن سهل وزيره، وهو من أرض السواد، ووصل الحسن بن سهل أباها بعشرة آلاف ألف درهم وأقطعه الصلح، فلما أن انصرف خرج مشيعاً، فقال له: يا أبا محمد سل حاجتك، فقال له: أسألك يا أمير المؤمنين أن تحفظ لي من قلبك ما لا أستطيع حفظه إلا بك، فتبسم المأمون.

أن الزي في العصر العباسي كان له أهمية كبرى، فقد خصص لكل فئة من فئات الحكم زيّاً خاصاً، فاللوزراء زيهم، وللشرطة زيهم، وهكذا. وفي هذا يقول أبو دلامة[١] مستظفراً:

وكنا نرجي من إمامٍ زيادةً … فزاد الإمام المصطفى في القلانس

تراها على هام الرجال كأنها … دنان يهود جلّلت بالبرانس

وقد استكثروا من أغلى أنواع الطيب، كالمسك والكافور، والعنبر، والنرجس، وكانت نساؤهم يتفنن في الأزياء، والعطور، ويعتنين بأناقتهن، على عكس ما عرفت به النساء العربيات في الجاهلية، اللاتي شغلن بأمور البيت والحياة القاسية، أما في العصر العباسي فقد كثرت النساء اللاتي يتنعمن وعندهن الخدم والحشم، ويظهر ترفهم في كونهم طعموا في أواني الذهب والفضة، وتفننوا في أنواع المطاعم والمشارب. ومن شاكلة هذا الترف، مائدة المأمون حيث كان ينفق عليها ستة آلاف دينار يومياً، وكثرة مجالس السمر، حتى إنه كان للخلفاء مجالسهم التي يجعلون لهم فيها الندماء يسامرونهم، ويعللون نفوسهم. وكان لهذة المجالس آدابها، وقد عرفت بآداب المسامرة. وتجد في هذه المجالس الأشعار، والطرائف والنوادر. ويذكر أن المأمون كان نديمه ثمامة بن أشرس، كما كان أبو دلامة نديم لأبي العباس السفاح، والمنصور والمهدي.

أثر الترف في حياة العباسيين:

نشأة طبقة وسطى هي طبقة التجار والصناع، الذين كانوا يقومون على أدوات الترف ومطالبه، وزيادة السخط على العباسيين بسبب هذا التناقض الصريح في الحياة العباسية التي قسمت المجتمع إلى قسمين، أحدهما مترف مرفه، والآخر ذو فقر وعازه، وبينهما طبقة وسطى لا هم لها سوى جمع المال. وهذا دفع بالحركات

---

[١]/ أبو دُلامَة هو زند بن الجون الأسدي. - ١٦١ هـ / ؟ - ٧٧٧ م، شاعر مطبوع من أهل الظرف والدعابة، أسود اللون، جسيم وسيم كان أبوه عبداً لرجل من أسد وأعتقه. نشأ في الكوفة واتصل بالخلفاء من بني العباس، فكانوا يستلطفونه ويغدِقون عليه صِلاتِهم، وله في بعضهم مدائح. وكان يتهم بالزندقة لتهتكه، وأخباره كثيرة متفرقة.

المناهضة لحكم العباسين إلى تنظيم التحركات السرية، محاولين إجهاض الدولة وإضعافها. وتحولت الطبقة الفقيرة إلى ما يشبه الرقيق، وأثر الترف في الشعر من خلال ما أدت إليه الحضارة من النعومة، والرقة في الطبع، ولين في الخلق، فانعكس ذلك على الشعر، فجاءت أساليبهم رقيقة، لينة، تتذوق فيها بساطة الأسلوب، ورقة المعاني.

رابعاً: الرقيق:

كان الرقيق كثيراً في العصر العباسي؛ بسبب كثرة من يؤسرون في الحروب والفتوح الإسلامية حتى ظهرت تجارة مربحة هي تجارة الرقيق، ولقد كان في بغداد شارعٌ خاصٌ يعرف باسم شارع الرقيق، ويقوم عليه موظف يسمى قيّم الرقيق، وكان الرقيق يجلب من بلاد الزنج وإفريقية الشرقية، ومن الهند، وأوسط آسيا، وبيزنطة، وجنوبي أوروبا. وكان الزنج غالباً، يعملون في فلاحة الأرض، وغيرهم يعملون في الأعمال اليدوية، والخدمة في المنازل، والقصور وشاع فيهم الخصيان من الرقيق، وقد غصت بهم قصور بعض الخلفاء، واشتهر المعتصم[١] بتقريبه للرقيق التركي؛ لأنهم من عرق أخواله الأتراك وقد أثرت ظاهرة الرقيق هذه في تشكّل ظاهرة شعرية عرفت بظاهرة التغزل بالغلمان المرد، ومن روّادها أبو نواس[٢].

---

[١]/ ثامن خلفاء بني العباس، وكان شديد القوة، ما كان في بني العباس مثله في القوة والشجاعة والإقدام. وقيل: إنه أصبح ذات يوم، وكان برده شديداً وثلجه عتيداً، فلم يقدر أحد على إخراج يده، ولا إمساك قوسه، فأوتر المعتصم في ذلك اليوم أربع آلاف قوس، وكان يدعى المثمن.

[٢]/ أبو نُوّاس هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء. ١٤٦ - ١٩٨ هـ / ٧٦٣ - ٨١٣ م، شاعر العراق في عصره. ولد في الأهواز من بلاد خوزستان ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها، وعاد إلى بغداد فأقام بها إلى أن توفي فيها. كان جده مولى للجراح بن عبد الله الحكمي، أمير خراسان، فنسب إليه، وفي تاريخ ابن عساكر أن أباه من أهل دمشق، وفي تاريخ بغداد أنه من طيء من بني سعد العشيرة. هو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية، وقد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعره خمرياته.

خامساً: الجواري:

كانت الجواري أكثر عدداً من الغلمان، وذخرت بهن القصور، والحانات، ودور النخاسة وكن مرغوبات أكثر من النساء الحرائر؛ لأن الرجال كانوا قادرين على ملاحظة مفاتنهن وبالتالي سهل عليهم الاختيار من بينهن، على العكس من الحرائر اللاتي كن متحجبات. ومن مميزات هؤلاء الجواري، أنهن كن من أجناس وثقافات وحضارات متنوعة. فامتد تأثيرهن على المحيط الذي عشن فيه، حتى في قصر الخلافة، إذ كان من الخلفاء، من هم من نسل الجواري. فأم المنصور كانت حبشية، وأم الرشيد خيزران الرومية، أما المعتصم فأمه ماردة التركية، وقد شُغل الخلفاء بهؤلاء الجواري، إلى حد العشق، كما يصور العباس بن الأحنف[1] ولع الرشيد بثلاث جاريات . هنّ: سحر وضياء وخنث . في قوله:

ملك الثلاث الآنسات عناني	**وحللن من قلبي بكل مكانِ**
ما لي تطاوعني البرية كلها	**وأطيعهن وهن في عصيانِ**
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى	**- وبه عززن- أعز من سلطاني**

وباتت قيمة الحياة السعيدة هي بمقدار ما عندك من الجواري، ويصور ذلك أبو دلامة مستطرفاً:

إن كنت تبغي العيش حلواً صافياً	**فالشعر أعزبه وكن نخاساً**
تنل الطرائف من ظراف نهّدٍ	**يحدثن كل عشية أعراساً**

وقد غصت بهن الحانات، وكن يحيين لياليها بالغناء والرقص والمجون. وكانت قيمة الجارية ترتفع إذا اتقنت مع حسن هيئتها الغناء والرقص، ما دفع أصحاب دور النخاسة إلى تعليم ما لديهم من الجواري الغناء والرقص، ليزيد دخلهم، فكان لإبراهيم

---

[1]/ العبّاس بن الأحنف بن الأسود، الحنفي (نسبة إلى بني حنيفة)، اليمامي، أبو الفضل. - ١٩٢ هـ / ؟ - ٨٠٧ م، شاعر غَزِل رقيق، قال فيه البحتري: أغزل الناس، أصله من اليمامة بنجد، وكان أهله في البصرة وبها مات أبوه ونشأ ببغداد وتوفي بها، وقيل بالبصرة. خالف الشعراء في طرقهم فلم يمدح ولم يَهجُ بل كان شعره كله غزلاً وتشبيباً، وهو خال إبراهيم بن العباس الصولي، قال في البداية والنهاية: أصله من عرب خراسان ومنشأه ببغداد.

الموصلي أكثر من ثمانين جارية يعلمهن الغناء. وقد تجاوز ثمن الجارية منهن الآلاف من الدنانير. وقد تسابق الخلفاء والوزراء على امتلاك المتميزات منهن. ومن الجاريات من كن يجدن نظم الشعر مثل (سكن) جارية محمود الوراق، و(عنان) جارية الناطفي. ومن المغنيات (عَرِيب) جارية المأمون والأمين. ومع كثرة الجواري كثرت معاشرة الرجال لهنّ، والتلطف معهن، مع مظاهر التزين والسمر والتهادي بينهن وبين القوم، وظهرت المراسلات بينهم، وكن يحببن إهداء التفاح والمناديل إلى عاشقيهن، والتهادي بالتحف النفيسة.

سادساً: الغناء:

يشار إلى أن الغناء قد انتقل من الحجاز، إلى العراق، على يد ابن رامين الكوفي. واستقدم معه المغنيات، وأقام لهن الدور الخاصة واشتهر الغناء، واهتم به الخلفاء، وأقبلوا على تعلمه هم وأبناؤهم. حتى لقد طلب الرشيد إلى إبراهيم الموصلي وإسماعيل بن جامع، أن يختاروا له الأصوات المئة التي أدار الأصفهاني عليها كتابه الأغاني. ومن أشهر المغنين: إبراهيم الموصلي، وإسحاق الموصلي.

سابعاً: المجون:

ورد في مختار الصحاح أن المجون هو أن لا يبالي الإنسان ما يصنع. ويؤكد هذا المعنى قول الرسول ﷺ" إذا لم تستح فاصنع ماشئت"[1]. ويتمثل المجون في العصر العباسي في وجوه عدة، منها: الخمر، الإباحية، الغزل الصريح، التغزل بالغلمان المرد. وتفصيل هذه المظاهر فيما يلي:

الخمر: يمكن القول بأن المجون هو مرحلة متقدمة ناتجة عن الإسراف في الحرية، التي ورثها المجتمع العباسي من الفرس، بعد الثورة. مما أدى إلى تحول في المفاهيم، ثم ارتكاب الأمور التي كانت تعدّ من المحرمات، فاعتبرت من المباحات. وساعد على ذلك اجتهاد بعض الفقهاء في تحليل بعض أنواع الأنبذة، كنبيذ التمر. فانتشر

---

[1]/ صحيح البخاري،

الخمر، وشاع، وكان له شعراؤه الذين عرفوا بالشغف به، وكثر وصفه ومدحه في أشعارهم، كشعر أبي نواس. ولقد وصف الشعراء الخمر، ووصفوا أثرها في العقل، ووصفوا مجالسها، ودنانها، وكؤوسها، وعاداتهم في الذهاب إلى الحانات، والقائمين على سقياهم إياها من يهود، ونصارى، ومجوس.

يقول أبو نواس:

ودار نـــــدامى عطلوهــــا وأدلجــــوا	بهــــا أثـــــر مـــــنهم جديــــد ودارس
مســاحب مــن جــرّ الزقـــاق علـــى الثـــرى	وأضــــغاث ريحـــانٍ جـــنيٍ ويـــابسٍ
حســبت بهـــا صـــحبي فجـــدد عهـــدهم	وإنـــي علـــى أمثـــال تلـــك لحـــابس
أقمنـــا بهـــا يومـــاً ويومـــاً ثالثـــاً	ويـــومٌ لـــه يـــوم الترحـــل خـــامس
قرارتهـــا كســـرى وفي جنباتهـــا	معـــىً تـــدّريها بالقســـيّ فـــوارس
فللخمـــر مـــا زرعليـــه جيوبـــا	وللمـــاء مـــا دارت عليـــه القلانـــس

وكانت أماكن شربها تتعدد، لأن عشاقها كُثُر. فتجدها في الحانات الكبيرة، ومن أشهرها دار ابن رمين، وهناك البساتين، مثل حانة بستان صباح. وحتى الأديرة فقد كانت تقدم الخمر لروادها، و في ذلك يقول أبو نواس:

يـــا ديـــر حنـــة مـــن ذات الأكـــيراح	مـــن يصـــح عنـــك فـــإني لســـت بالصـــاح
رأيـــت فيـــك ظبـــاءً لا قـــرون لهـــا	يلعـــــبن منـــــا بألبـــــابٍ وأرواحِ

الإباحية: وقد شجع عليها كثرة الجواري والقيان، اللاتي كن يُبعن ويشترين، وكن لا يشعرن بأي نوع من الكرامة، ولا يتحشمن. وكان يجتمع للقينة الواحدة أربعة أو خمسة معشوقين، فتبكي لواحدٍ بعين، وتضحك لآخر بالأخرى.

الغـزل الصـريح: وهذا النوع لا يصون للمرأة كرامتها، ولا حتى للرجل. وقد ظهر له شعراؤه، ولعل من بينهم بشار بن برد الذي له قصيدة يصف فيها لقاء الرجل بالمرأة، من بدايتها ومروراً بمجرياته، وحتى الفراق.

الغزل بالغلمان المرد: يمكن الإشارة إلى أن سبب هذا الميل الشاذ يعود إلى كون خلفاء بني العباس في ذهابهم إلى مناطق الفتوح لم يكونوا يصطحبون معهم النساء، بل كان

الغلمان، يحيطون بهم من كل جانب، فأثر هذا في نفسيات الجند الشعراء، وحتى الخلفاء، وقد اشتهر أبو نواس بأنه شاعر الخمريات، والتغزل بالغلمان.

ثامناً: الشعوبية:

هي نزعة كانت تقوم على مفاخرة الشعوب الأعجمية، وفي مقدمتها الشعب الفارسي، للعرب، مفاخرةً تقارن بين حضارتهم، وما كان فيه العرب من بداوةٍ وحياة خشنة قاسية. متخذين من ذلك ذريعة للانتقاص من شأنهم. والشعوبية نتيجة انحراف الأمويين عن جادة الصواب في معاملة الموالي، وما فرضوه عليهم من ضرائب، وعدم المساواة بينهم وبين العرب في الحقوق إضافة إلى إيمان هؤلاء الموالي بأن زوال حضارتهم، كان على يد العرب. فقد هدموا حضارة الفرس، وحولوهم إلى رقيق ذليل. وعندما تحولت مقاليد الحكم وصارت للفرس يد في الدولة العباسية، كشروا عن أنيابهم، واعتزوا بأصولهم، مع إظهار الازدراء للعرب.

يمكن تصنيف الشعوبيين إلى قسمين: المعتدلون والمتطرفون ومن أهم مطاعنهم في العرب: أنهم كانوا ينقلون طبيعة الحياة العربية التي كانوا عليها من رعيٍ للغنم وقساوة في العيش، وتنقل بين مواطن الكلأ، كانوا يحولونها إلى نقاط هجاء واحتقار، مقارنين بينهم وبين طبائعهم وقد كانوا أصحاب حضارة، وملك، وحياة فارهه. وما النعيم الذي يعيشه العرب الآن إلا من فضلهم هم. وتتبعوا ما وجد في نقائض العرب من هجاء، وجددوا توجيهه لهم على ألسنتهم، وزادوا عليها. ولم يكتفوا بذلك بل وصلوا إلى درجة تحقير خصال العرب التي كانوا يفاخرون بها مثل الكرم، وتقبيحها. وحاولوا جر قريش في النسب إلى الفرس ليبعدوا الرسول، ﷺ، عن اتصاله بالعرب. وقد اعتمدوا على أحاديث غير موثوقة في كل ما قالوه. ومن أهم شعرائهم بشار بن برد[1]. وله في الشعوبية شعر وفير.

---

[1]/ بشار بن برد العُقيلي، أبو معاذ. ٩٥ - ١٦٧ هـ / ٧١٣ - ٧٨٣ م، أشعر المولدين على الإطلاق. أصله من طخارستان غربي نهر جيحون ونسبته إلى امرأة عقيلية قيل أنها أعتقته من الرق. كان ضريراً. نشأ في البصرة وقدم

يقول عن أصله، وافتخاره به:

هـــــل مـــــن رســــول مخــــبرٍ	عـــــني جميـــــع العــــــربِ
أنـــــي ورثـــــت المجـــــد	عــــــــن خـــــــير أبِ
وقبســـــــت الـــــــدين	عـــــن خــــير نــــبي
وقيصـــــــر خـــــالي إذا	عـــــددت يومـــــاً نســـــبي

وقد قال قصيدة بعد أن استفزه رجل من الأعراب في مجلس مجزأة بن ثور السدوسي، فاستأذن بشار مجزأة للرد على الأعرابي، فقال، قصيدة هي أوضح ما تصورشعوبية بشار:

ســـأخبر فـــاخر الأعـــراب عـــني	وعنـــه حـــين بـــاز للفخـــار
أنـــا ابـــن الأكـــرمين أبـــاً وأمـــاً	تنـــازعني المـــرازب مـــن طخـــار

ويقول فيها:

تفـــاخر يـــا ابـــن راعيـــة وراعٍ	بـــني الأحـــرار؟ حســـبك مـــن خســـار
وكنـــت إذا ظمئـــت إلى قـــراحٍ	شـــركت الكلـــب في ذاك الإطـــار

وتصدى لهم نفر من الموالي أنفسهم، مثل الجاحظ[1] في البيان والتبيين، وابن قتيبة في رسالته كتاب العرب.

بغداد، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية، وشعره كثير متفرق من الطبقة الأولى، جمع بعضه في ديوان. اتهم بالزندقة فمات ضرباً بالسياط، ودفن بالبصرة.

[1]/ هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الفقيمي البصري، الملقب بالحاجظ لجحوظ عينيه أي بروزهما، و كان هذا اللقب لا يعجبه، و كان يقال له الحدقــي ايضا، و ينسب الجاحظ إلى كنانة، وروي ان احد اجداده كان حمالا لسيد من كنانة بالبصرة عمرو بن قلع. ولد الجاحظ سنة ١٦٠هـ – ٧٧٧م بالبصرة، ونشأ يتيما فقير، ميالا إلى العلم، فكان يخالط طائفة من العلماء تجتمع في مسجد البصرة تارة، كما كان يختلف إلى أحد الكتاتيب طورا، وقد اكب الجاحظ على تحصيل علوم العربية، فاخذ اللغة و الأدب عن أبي عبيدة و الاصمعي و ابي زيد الانصاري و اخذ النحو عن الاخفش، و أخذ علم الكلام عن شيخ المتكلمين ابراهيم ابن سيار المعروف بالنظام، و للجاحظ مؤلفات عدة بلغت عند بعض الرواة ستين و ثلاثمائة كتاب، أكد بعضهم أنها جاوزت ثمانين و مائة كتاب و رسالة، توفى، حوالي ٢٥٥هـ/٨٦٩م عن عمر يتجاوز التسعين .

تاسعاً: الزندقة:

هي كلمة معربة، من مصطلح إيراني، كان يطلقه الفرس على صنيع من يؤولون كتاب الأفستا، لداعيتهم زرادشت، تأويلاً ينحرف عن ظاهر نصوصه. ثم اتسع المفهوم ليشمل كل من استظهر نحلةً من نحل المجوس واتسع كثيراً فشمل كل إلحادٍ في الدين الحنيف، وكل مجاهرة بالفسق والإثم. وقد قامت جماعة الزنادقة معتمدين على تعاليم مختلطة من المانوية نسبة إلى ماني[1]، والمزدكية نسبة إلى مزدك[2]. وأساسهم زرادشت. وقد كانت المانوية أخطر هذة المذاهب؛ لأن فيها خلط من تعاليم الزرادشتية في الإيمان بعقيدة إله الخير وإله الشر، والإباحية من المجوس، والزهد من النصرانية، فكان يصعب اكتشاف خبثهم بسهولة. وقد وقفت الدول العباسية موقفاً مشرفاً من هذة الفئة المفسدة في الأرض، فكانوا ينشرون المناظرات لبيان حقيقتهم والتحذير منهم، وارجاع من يثوب منهم إلى رشده. والذي تثبت عليه تهمة الزندقة، فإن القتل هو خير ما يعالج به.

دفعت مثل هذ التوجهات الفكرية، بحركة الشعر إلى الازدهار، وبروز ظاهرة الشعراء الشعوبيون، والزنادقة، الذين نافحوا عن فكرتهم. و في الطرف الآخر كان الشعراء يفندون شعرهم، ويردون عليهم، ما أثرى الحركة الشعرية. ويضاف إليه أيضا ما أضيف إلى الظواهر الاجتماعية، السابقة، التي استفادت من ثقافة العصر

---

[1]/ ماني بن فتك المولود في عام ٢١٦ م في بابل. وهو مؤسس الديانة المانوية وقيل أن الوحي أتاه وهو في الثانية عشر من عمره كما حاول ماني إقامة صلة بين ديانته والديانة المسيحية وكذلك البوذية والزرادشتية، ولذلك فهو يعتبر كلاً من بوذا وزرادشت ويسوع أسلافاً له، وقد كتب ماني عدة كتب من بينها إنجيله الذي أراده أن يكون نظيرا لإنجيل عيسى. أتباع المانوية هم من تعارف عليهم أولا بإطلاق لقب الزنادقة.

[2]/ فإن المزدكية منسوبة لمزدك المولود عام ٤٨٧م بـ (نيابور) وهي دعوة إباحية هادمة للقيم وتحريضية فوضوية تقوم على الغريزة ولا تأبه بالعلاقات الأسرية والمعايير الأخلاقية وخارجة عن كل العقائد والأديان، بل هي أصل الشيوعية وأصل نظرية كارل ماركس، وقد أعلنت هذه الدعوة أن الناس ولدوا سواء، فينبغي أن يعيشوا سواء لا فرق بينهم وأن أهم ما تجب فيه المساواة والاشتراك عند أصحاب هذه الدعوة هما المال والنساء.

وتحضره، في توليد المعاني، ودقة التصوير، وابتكار الأخيلة، والصور الشعرية، والتفنن في استخدام اللغة، فيما يناسب المعنى، والمقال.

عاشراً: الزهد:

الزهد في اللغة يعني قلة الشيء، ويمكن القول بأن الزهد في العصر العباسي كان بسبب أمرين ظاهرين:

الأول: أنه ردة فعل مباشرة لما كان يشيع في المجتمع من مجون وفسق. فقد كان المجتمع آنذاك فيه عدة جوانب اجتماعية: مجتمع المسجد، وفيه حلقات الوعظ والإرشاد، ومجتمع قصر الخلافة، وفيه: خلط بين الوعظ والإرشاد حيناً، ومجتمع السمر واللهو، ومجتمع الحانات ودور القيان، وما فيها من مجون وفسق وانحلال. وقد كانت طبقة الزهاد، من الفئة الفقيرة المعدمة، غير المترفة. أما الثاني: فهو تسرب فكري متعمد من قبل زعماء التيارات الفكرية الفاسدة مثل المانوية، وكذلك هو تأثر بالعقائد المجاورة اجتماعياً مثل النصرانية، حيث يوجد لهم اختلاط مع المسلمين، ولا بد من أثر لهذا الاختلاط.

ويعتبر الزهد هو المرحلة الأولى، في التعامل مع شؤون الدنيا، ثم إذا تقدمنا قليلاً، كان لدينا التنسّك، إلى أن نصل إلى مرحلة التصوف، الذي يزهد فيه المرء في الحياة على جميع المستويات، فلا يشبع شيئاً من رغباته، وإن كانت من الضروريات. وإن منهم من يشرب الماء العكر، مبالغة في حرمان نفسه، وليس لهذا الحرمان المبالغ فيه أصلٌ في ديننا، فقد قال تعالى في محكم تنزيله (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[1]، وقد حاول المستشرق جولد تسهير، الربط بين مقدمات نزعة التصوّف الإسلامي، وبين التعاليم الأفلاطونية، وما فيها من مذهب

---

[1]/ سورة الأعراف ، الآية ٣٢..

الفيض ووحدة الوجود، وبين البوذية الهندية. وإنني أوافق الدكتور شوقي ضيف[١] بحكمه على جولد بالمبالغة، بل وأضيف بأن هذا يدعم فكرة أن ظهور نزعة الزهد التي تطورت إلى التصوف، هو تسرّب متعمّد يهدف إلى زعزعة العقيدة الإسلامية في نفوس أبنائها؛ حيث أن وجود قواسم مشتركة بين نزعة التصوف وهذه التعاليم سيؤثر في النفس الإنسانية لتقبل من تلك التعاليم المخالفة، ما يفسد العقيدة، بحجة، أن القواسم المشتركة تبرر ذلك، وهذ ما أقف أمامه موقف المعارض؛ لأن من أراد الخوض في هذا الغمار، يجب أن يكون معبأً تعبئةً ثقافيةً عقديةً لا سبيل إلى اختراقها، من أي قوة كانت.

من كل ما سبق يتبين لنا أن للزهد ثلاثة اوجه: أولا زهد ديني صحيح، يخلص فيه المرء دينه لله تعالى.

ثانيا: زهد مال إليه نفر من الناس بسبب الحرمان، وعدم توفر الأمور التي زهدوا فيها. ثالثا زهد مانوي مارق، وهذا الذي يمكن ربطه بالبوذية. وللزهد آثارٌ واضحة في الشعر، منها: اهتمام الناس بشعر الزهد وخاصة العامة منهم. وكان القصاص والوعاظ يكثرون من إنشاد أبيات الشعر في ثنايا خطبهم وقصصهم، وهذا حفزهم على نظمه، كما نجد ذلك عند ابن المبارك.

---

[١]/ ولد شوقي ضيف في يوم ١٣يناير ١٩١٠ في قرية اولاد حمام في محافظة دمياط شماليّ مصر .يعد علامة من علامات الثقافة العربية. ألف عددا من الكتب في مجالات الأدب العربي، وناقش قضاياها بشكل موضوعي. كان الدكتور شوقي ضيف عضوا في مجمع اللغة العربية في سوريا، وعضو شرف في مجمع الأردن والمجمع العراقي. ونال أكثر من جائزة، منها جائزة مبارك للآداب عام ٢٠٠٣، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٧٩، وجائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي عام ١٩٨٣. كذلك منح دروعا من عدة جامعات كالقاهرة والأردن وصنعاء، توفي مساء يوم الخميس *١٤مارس ٢٠٠٥ عن عمر يناهز ٩٥ عاما*

المبحث الثالث

الحياة العقليـة والعلمية

أثّرت الثورة السياسية بدورها في تنمية الحياة العقلية والعلمية والأدبية، حتى تفتّحت أجوائها؛ والسبب الأول هو امتزاج ثقافات متعددّة أثّرت تأثيرا مباشرا على سير حركة الفكر والعلم والأدب فى العصر العّباسي الأوّل[1]؛ والسبب الآخر هو تشجيع الخلفاء لحركة الترجمة والنقل[2]، فشاعت فى تلك الأيام الثقافة العربية الإسلامية، كما انتشرت الثقافة اليونانية والثقافة الهندية ولاسيّما الثقافة الإيرانية بفصل المدارس والترجمات، وتشجيع الخلفاء، كما يقول جرجي زيدان[3]: «يمتاز العصر العبّاسى الأوّل بأن من تولّى فيه عرش بغداد كان من الخلفاء العلماء، فرغبوا في العلم وإجلاس العلماء والأدباء وسهّلوا نزوحهم إليهم وأجروا الأرزاق عليهم وبالغوا في إكرامهم وقرّبوهم وجالسوهم وآكلوهم وحادثوهم وعولّوا على آرائهم. فلم يبق ذو قريحة أو علم وأدب إلّا يمّم دار السلام ونال جائزة أو هدية أو راتبا... وخلفاء العصر العباسى الأوّل من أكثر الملوك رغبةً فى العلم[4].

وقد لعبت الثّقافة الإيرانية دوراً مهما في تلك الحقبة من الزّمن، وفي الحقيقة كانت الدولة العباسية على أكتاف الإيرانيين من النّاحية السيّاسية ومن الناحية الثقافية، وتوغّل الإيرانيّون فى صلب الدولة العباسيِة، فكان منهم القواد والوزراء والحجّاب والولاة والكتاب، فلا غرابة أن تأخذ الدولة العباسيّة وجها فارسيا في حياتها السياسية وفى حياتها الثقافية. وقامَ بتشديد هذا الوجه انتقال عاصمة الخلافة من الشام إلى

---

[1]/ الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب، ص١٨.

[2]/ فقد درج الخلفاء العباسين على مكأفة كل مؤلف كتاب أو مترجمه بالآف الدنانير.

[3]/ جورجي زيدان أديب ومؤرخ عربي مسيحي ولد في بيروت عام ١٨٦١ م. أجاد -بالإضافة للعربية - العبرية والسريانية والفرنسية والإنجليزية. وأصدر مجلة الهلال التي كان يقوم بتحريرها بنفسه في/١٨٩٢، ونشر فيها كتبه. له من الكتب كتاب "تاريخ التمدن الإسلامي" و"تاريخ آداب اللغة العربية" و"تراجم مشاهير الشرق" وغيرها، بالإضافة إلى اشتهاره برواياته التاريخية كالمملوك الشارد –أسير المتمهدي – ١٧ رمضان – شارل وعبد الرحمن .توفي في ٢١ من يوليو ١٩١٤م.

[4]/ أنظر تاريخ الأدب العربي، لشوقي ضيف، ط١، ص١٤٩.

العراق فى مدينة جديدة بناها المنصور وسمّاها بغداد، بجوار مدائن كسرى؛ إثر هذا التوغل أدخل الإيرانيون في نظام الخلافة، سياسة الحكم المطلق وجعلوا قصور الخلفاء فى بغداد أشبه بقصور الأكاسرة في المدائن كما أدخلوا في التنظيمات الإدارية الأنظمة المتّبعة في التنظيمات الفارسية ونرى هذه الظاهرة بوضوح كامل في الدواوين، ونظام الحكم، وأسلوب الحرب والحياة الاجتماعية والأكل والشرب واللبس، كما بدلت مراسيم الأعياد، مجالس اللهو واللعب. وأصبحت بغداد مركزا ثقافيا متقدما، واشتدّ هذا الوجه الفارسي وامتد اللسان الأعجمي بألفاظ غريبة عن اللغُة العربية، التصقت بالغناء وآلات الطرب والمأكل والملبس وأنواع الزينة حتى ذهب الجاحظ إلى أن دولة بنى العباس أعجمية خراسانية.

أصبحت حاجة المسلمين فى هذا العصر شديدة إلى الانفتاح على تراث الأمم المتطورّة وقد اهتمّ الخلفاء العبّاسيون بترجمة جوانب مهمّة ممّا كانوا يحتاجون إليه في الشؤون السياسيّة والاجتماعية والطّب والفلك والنجوم والرّياضيات والفلسفة والمعارف والعلوم الأخرى. ولم يقتصر الأمر على تشجيع الخلفاء فحسب، فقد كان الاهتمام عاما وشاملاً بين فئات الناس في بغداد و البصرة و الكوفة وسائر أرجاء الامبراطورية الإسلامية. والسبب هو اتّساع الحياة العقلية التي ذكرناها والتي هي أدّت إلى ثورة سياسية. وممّا يؤيد هذا الكلام إنما نجد لدى مختلف العلماء المسلمين اطلاعا واسعا على مناهج البحث وأساليبه عند الأمم المختلفة ولاسيما الفرس واليونان. ولم تمض مدة طويلة من الزمن استطاع المسلمون فيها أن ينقلوا جوانب عديدة من تراث الأمم المختلفة؛ تلك الجوانب المعروفة التي كانت فى مجالات العادات، والفلسفيات، والعلوم، والصناعات والمعارف عامةً، ممّا كان له الأثر البالغ فى نشأة اليقظه الفكرية إبّان هذا العصر، حيث ازدهرت إلى حّد لم تكن مقصورة على العلوم النقليّة وإنما تجاوزتها لتشمل فروع الثقافة والمدنية الشائعة آنذاك.

ظل المترجمون يمارسون نشاطهم فى أماكن مختلفة ومراكز متباينة وأوّل من فتح باب الترجمة واعتنى به هو المنصور العباسي كما يقول المسعودى[1] وقد أصاب الترجمة شيء من الفتور بعد وفاة المنصور حتى عصر الرشيد إلى أن نشأت الترجمة وتطورت برعاية الرشيد والبرامكة. وأسّس الرشيد خزانة الحكمة وجعلها مركزا للترجمة. وقد غنم المسلمون فى هذه الفترة مخطوطات كثيرة أثناء غاراتهم على بلاد الروم وبادروا إلى ترجمتها إلى العربية. كما شجّع البرامكة حركة الترجمة، بترجمة الكتب الهندية، التى نقلت الأفكار الوثنية والدهرية والتناسخية إلى الثقافة العربية الإسلامية، فكان لها الأثر الكبير فى المجالات الفكرية والعقائدية. وفى هذه الفترة أيضا ترجمت بعض الكتب فى مجال الزراعة ليحيى بن خالد البرمكي. وقد اهتم البرامكة بترجمة التراث الفارسي. فنقلو آلاف الكتب مثل إلى العربية. ومن أشهر المترجمين فى مجال التراث الفارسي إلى العربية هم عبدالله بن المقفّع،[2] وآل نوبخت،[3] وموسى ويونس ابنا خالد،[1] واسحق بن يزيد وآل سهل،[2] وبنو شاكر وبنو موسى والبلاذري والفزاري.

---

[1]/ هو أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي الكوفي، وهو من العلماء والمؤرخين المشهورين، ولد ٣٤٥ أو ٣٤٦ – وتوفي سنة٩٥٧ من ذرية عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل .فأما منشؤه فان الثقات من المؤرخين يروون انه نشأ في بغداد، على أن ابن النديم يروي أنه من أهل المغرب، فلعله شخص آخر، أو لعل بعض أجداده نزحوا إلى المغرب .وعلى أية حال فقد قضى زهرة شبابه في بغداد، ولكنه غادر إقليم العراق وإرضاء لميوله وأذواقه، ورغبة منه في التجول، فخرج عن بغداد سنة ٣٠١ ليقوم برحلة قيل إنها استمرت أعواما ثلاثة، وقد قضاها متنقلا بين ربوع فارس وكرمان .ثم بعد ذلك جاب بلاد الهند وصيمور، قطن أخيرا في مدينة بومباي حتى سنة ٣٠٤، ومن المحتمل أن يكون قد أقام حينذاك في جزيرة سيلان .ومن ثم وصل إلى مدينة عمان، ويمكن أن نستنتج أنه ذهب إلى قناطر ماليسية العجيبة العظيمة، وشارف الصين .ومع أنه خاطر بتلك الرحلة وخصص لها نفسه ووقته، فإنه تعمق في دراسات الحدود الاسلامية، واستعان على ذلك بالآيات العلمية، التي كانت معروفة في حياته.

[2]/ هو عبد الله بن المقفع، فارسي الأصل، وُلِد في قرية بفارس اسمها (جور) كان اسمه روزبه پور دادويه) روزبه بن دادوية)، وكنيته"أبا عمرو"، فلما أسلم تسمى بعبدالله وتكنى بأبى محمد ولقب أبوه بالمقفع لأن الحجاج بن يوسف الثقفى عاقبه فضربه على يديه حتى تقفعتا أى تورمتا واعوجت أصابعهما ثم شلتا، ولد سنة١٤٢هـ الموافقة سنة٧٢٤م. وتوفي سنة ١٠٦هـ الموافقة ٧٥٩م . درس الفارسية وتعلّم العربية في كتب الأدباء واشترك في سوق المربد .نقل من البهلوية إلى العربية كليلة ودمنة .وله في الكتب المنقولة الأدب الكبير والصغير والأدب الكبير فيه كلام عن السلطان وعلاقته بالرعية وعلاقة الرعية به والأدب الصغير حول تهذيب النفس وترويضها على الأعمال الصالحة ومن أعماله أيضاً مقدمة كليلة ودمنة.

[3] / آل نوبخت كان آل نوبخت معروفين بالعلم والفضل، والفلسفة، والكلام، والنجوم، والادب وغير ذلك من صنوف العلم، وكانوا نقلة الكتب من الفارسي إلى العربي. وأشهرهم الحسن بن موسى بن الحسن بن محمد بن العباس بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت ويعرفون يجدهم نوبخت الفارسي. فقد كان نوبخت مشهورا في بلاده. وقد اشتهر بسبب علمه بالنجوم، وكان في علم النجوم نهاية، وكان ينجم ويترجم لخالد بن يزيد بن معاوية كما قيل في أواخر الدولة الاموية، وفي أوائل الدولة العباسية. وصحب

تـأثّر الأدبـاء والكتّـاب فـى كتابـاتهم، بـبعض الأفكـار الفارسـية المسـتمدة مـن الكتـب المترجمة على يد ابن المقفّع وأمثاله ممّن ذكرناهم. وقد ظهر أثر السلوك الفارسي فى الإكثار من شرب الخمر والإقبال على الملذّات والغناء. وإذا كان هذا يشكّل خطرا مؤكدا على الخُلق الإسلامي الذي يدعو إلى المحافظة على الشخصية الإنسانية، فقد ظهر سلوك الزهد، ليتدارك خطر السلوك الأوّل ويحدُّ من انحراف الناس وفسقهم، بالتوجيه والإرشاد والدعوة إلى العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله بدأ التيّار الفارسى جليا واضحا فى العادات والتقاليد العربية، حين أصبح عيد النيروز، من الأعياد التي يحتفل بها العرب ويذكرونها فى تآليفهم ومدوناتهم وصار ينسبُ كلّ عمل فكري إلى النهضة الفارسية وآدابها. وهناك من ادّعى أنّ العرب الكتاب - إن وجدوا - فهم في الأصل من جذور فارسية وما كادت الثقافة الفارسية تنشر ملامحها الثقافية على الوجه العربي. حتّى بدأت الثقافة الهندية تدخل رويدا رويدا إلى الحياة الإسلامية عن طريق بلاد فارس المحكمة الاتّصال بالعرب حيث التجارة المزدهرة والتأثير الفكري والفتح الإسلامي. تناول الجاحظ المؤثّرات الهندية فى الفكر العربى فيقول عن الهند:« إنها اشتهرت بالحساب وعلم النجوم وأسرار الطلب، والخرط والنجر والتصاوير والصناعات الكثيرة العجيبة. والقصص الهندي واضح الأثر فى بعض الأعمال

المنصور الدوانيقي في محبس الاهواز عندما كان المنصور محبوسا، ونبأه بثبوت الملك له، فلازمه وأكرمه، وأقطعه ألفي جريب من اراضي الحويزة. وتولى مع المنصور بناء بغداد وتأسيسها كعاصمة، ووضع أساسها في وقت إختاره له نوبخت المنجم.

[1] / موسى بن خالد الترجمان هو من الأطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره، من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي وذكر الذين نقل لهم . وجدت من نقله كتباً كثيرة من الستة عشر لجالينوس وغيرها وكان لا يصل إلى درجة حنين أو يقرب منها.

[2] / وأشهرهم الفضل بن سهل السرخسي الوزير وأخو الوزير الحسن بن سهل أسلم أبوهما على يد المهدي وأسلم الفضل سنة تسعين ومئة على يد المأمون وقيل لما عزم جعفر البرمكي على استخدام الفضل للمأمون وصفه بحضرة الرشيد ونطق الفضل فرآه الرشيد فطنا بليغا وكان يلقب ذا الرئاستين لأنه تقلد الوزارة والحرب وكان شيعيا منجما ماكرا أشار بتجهيز طاهر بن الحسين وحسب بالرمل بأنه يظفر بالأمين ويقال إن من إصاباته الكاذبة أنه حكم لنفسه أنه يعيش ثمانيا واربعين سنة ثم يقتل بين ماء ونار فعاش كذلك وقتله خال المأمون في حمام سرخس في شعبان سنة اثنتين وستين وقد امتدحه فحول الشعراء، وازدادت رفعته حتى ثقل أمره على المأمون فدس عليه خاله غالبا الأسود في جماعة فقتلوه وبعده بأيام مات أبوه وأظهر المأمون حزنا لمصرعه وعزى والدته وقال إن الله أخلفني عليك بدل إبنك فبكت وقالت كيف لا أحزن على ولد أكسبني ولد مثلك ثم عاشت وأدركت عرس بنت ابنها بوران على المأمون وكان الحسن بن سهل من كبار الوزراء الممدوحين.

العربية مثل: «كليلة ودمنة» مع الكثير من الحِكَم التي ترجمت من الهندية إلى العرب وتأتي الثقافة اليونانية فى المرتبة الثالثة، من حيث تأثر العرب بها.

وكثرت الترجمة من اليونانية فى أيام الخليفة هارون الرشيد بتشجيع من وزيره المثقّف جعفر البرمكي، وأكثر الكتب التي ترجمت كانت فى الطب. ولعّل السبب فى البداية بالترجمات، فى نطاق كتب الطب، يرجع إلى صلة الأطبّاء بالخلفاء العباسيين فإنّ الخليفة العبّاسى المنصور قد استدعى جبريل بن بختيشوع ليكون طبيبا له وظلّت أسرة بختيشوع الطبيّة قائمة مع ملوك بنى العباس وحين تولّى المأمون الخلافة، أنشأ بيت الحكمة معهدا للترجمة والنقل ونصب عليه حنين بن اسحق واسحق بن حنين وقد ترجمت شوامخ الكتب اليونانية إلى العربية وأشهرها كتاب التنجيم لبطليموس. ومن أشهر المترجمين من اليونانية والسريانيه هم ابن بختيشوع الذي كان من السريان والنساطرة ونقل كتبا كثيرة فى الطب؛ وحنين بن إسحق وابنه إسحق بن حنين اللذان نقلا كتبا كثيرة من السريانية إلى العربية وهذه الترجمات الفارسية والهندية واليونانية كلّها كانت رافدة فكرية تصبُّ في معين الحقل الإسلامي، توّاقا إلى المعرفة ومن ثمّ لم يلبث الحقل الإسلامى إلا قليلاً حتى أضاف إلى معلومات هذه الأمم وارتقى بعلومها سواء فى الكتاتيب والمساجد، أو المكتبات والدكاكين التابعة للورّاقين، وكانت الأموال تنفق لوضع العلم والأدب.

فازدهرت حركة التأليف، ورواج التصنيف العلمي في التاريخ والجغرافيا والفلسفة والعلوم والرياضيات ولمعت أسماء من العلماء الثقاة بقيت حتّى يومنا هذا مصادرُ يُرجع إليها في كلّ دراسة أو بحث. وقد تعطّرت الحياة العباسيّة بنفحة تلك النّسيمات الأعجمية. فأصبحت اللغة العربية قويّةً دقيقة البناء، سهلة المنال، تطاوع إرادة الكتاب للتّعبير عمّا يجول بالخاطر والعقل والنفس ضمن آراء فلسفية علياء. وصارت لغة التخاطب الأدبي في أقطار مترامية الأطراف، تمتدّ من أواسط آسيا إلى شمالي أفريقيا فالأندلس ومن ميزات هذا العصر إطلاق الفكر من قيود التقليد، إلا مايمسّ الدولة أو الخلافة. ولذلك فقد تعدّدت البدع الدينية فى أيامهم من المجوس وغيرهم من الأفكار

الوثنية وما إلى ذلك، غير الفرق الإسلامية وتعدادها؛ فكانت الأفكار من حيث الدين مطلقة الحرية، لا يكره الرجل على معتقده أو مذهبه، فربّما عدة إخوة فى بيت واحد وكلّ منهم على مذهب.

إذن فقد كان العصر العباسي الأول (١٣٢هـ - ٢٣٣هـ) من العصور الذهبية لتنمية الفكر العربي وبسبب نقل العلوم المختلفة من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية وذلك لأن حاجة المسلمين أصبحت فى هذا العصر شديدة إلى الانفتاح على تراث الأمم المتطورّة وقداهتمّ الخلفاء العبّاسيون بترجمة جوانب مهمّة ممّا كانوا يحتاجون إليه في الشؤون السياسيّة والاجتماعية والطّب والفلك والنجوم والرّياضيات والفلسفة والمعارف والعلوم الأخرى. ولم يقتصر الأمر على تشجيع الخلفاء فحسب، فقد كان الاهتمام عاما وشاملاً بين فئات الناس في بغداد و البصرة و الكوفة وسائر أرجاء الأمبراطورية الإسلامية. والسبب هو اتّساع الحياة العقلية التي أدّت إلى ثورة سياسية. وممّا يؤيد هذا الكلام إنما نجد لدى مختلف العلماء المسلمين اطلاعا واسعا على مناهج البحث وأساليبه عند الأمم المختلفة ولاسيما الفرس واليونان.

الفصل الثاني

عبـد الله بن المبـارك

المبحث الأول

نشأة عبد الله بن المبارك

المطلب الأول

نسبه ومولده ووفاته

هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم التركي ثم المروزي الحافظ. فريد الزمان وشيخ الإسلام، كانت أمه خوارزمية وأبوه تركى أما كيفية زواجهما فتستحق الوقوف والتأمل إذ يروى أن أباه كان يعمل لدى قاض اسمه نوح بن مريم، وكانت له بنت ذات جمال خطبها جماعة من الأعيان والأكابر، فذهب يوما إلى البستان فطلب من غلامه شيئا من العنب فأتى بعنب حامض فقال له: هات عنبا حلوا فأتى بحامض فقال القاضي: ويحك ما تعرف الحلو من الحامض. فقال: بلى ولكنك أمرتني بحفظها وما أمرتني بالأكل منها ومن لا يأكل لا يعرف فتعجب القاضي من كلامه وقال: حفظ الله عليك أمانتك. وزوجه ابنته فولدت عبد الله بن المبارك المشهور بالعلم والورع.

قال أحمد بن حنبل: ولد ابن المبارك سنة ثمان عشرة ومائة. وقال بشر بن أبي الأزهر: قال ابن المبارك ذاكرني عبد الله بن إدريس السن فقال: ابن كم أنت فقال: إن العجم لا يكادون يحفظون ذلك ولكني أذكر أني لبست السواد وأنا صغير عندما خرج أبو مسلم قال: فقال لي: قد ابتليت بلبس السواد. قلت: إني كنت أصغر من ذلك،

وكان أبو مسلم أخذ الناس كلهم بلبس السواد الصغار والكبار[1]، وكان أبو مسلم في بداية الدولة العباسية قد ألزم الرعية كباراً وصغاراً بلبس السواد، وكان ذلك شعارهم إلى آخر أيامهم.

له مؤلفات كثيرة طبع منها اثنان كتاب الزهد والرقائق وحقق مرتان مرة على يد حبيب الرحمن الأعظمي سنة ٢٢٨هـ[2]، وأخرى على يد الحسين بن الحسن المروزي سنة٢٤٦هـ[3]، أما كتاب الجهاد فحققه الدكتور نزيه حماد عن نسخة فريدة برواية سعيد بن رحمة المصيصي، وهو أول كتاب ألف في الجهاد، يجمع ما روى عن الرسول ﷺ في فضيلة الجهاد وثوابه وأجره العظيم ومكانته في الإسلام.

واختلف في وفاته فقيل سنة ١٨١هـ، وقيل سنة١٨٢هـ والراجح أنه توفي في مدينة هيت بمحافظة الأنبار بغرب العراق سنة ١٨١ هجرية وقبره معلوم[4] وقد شيد الناس على قبره مقام وجامع مع أنه ضد المقامات على القبور!. وقد فجر المجرمون قبره ومقامه سنة ٢٠٠٥ إلا أن الأهالي أعادوا بناءه.

---

[1]/ تاريخ دمشق (٣٠٥/٣٨)لابن عساكر

[2]/ طبع ببيروت ونشره محمد عفيف الزعبي، مؤسسة الرسالة، وعدد صفحاته ٨٠٢.

[3]/ أيضا طبع في بيروت، ونشرته مؤسسة الرسالة، وعدد صفحاته١٩ صفحة.

[4]/ ديوان عبد الله بن المبارك، تحقيق د. مجاهد مصطفى بهجت دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، ط٣ سنة ١٤١٣هـ، ص١٤.

المطلب الثاني

حياته وحكمته

نشأ ابن المبارك في أسرة متواضعة؛ فقد كان أبوه أجيرًا بسيطًا يعمل حارسًا لبستان أحد الأثرياء، غير أن والده هذا كان سبب رخائه أورثه المال وافرا مدرارا. إن المتأمل لهذا المال الذي وصف بأنه مدرارا ليعلم أنه سبب الخير كله، فقد اكتسبه "والده المبارك" بجد وجهدٍ وكفاح وصبر، فكان ثمرة يانعة مقنعة لرجل ورع، حريص على أداء حق العمل، فلم يرض إلا أن يشغل كل وقته في العمل تحريًا للأجر الحلال، ووعلى هذا الهدي شب ابن المبارك، فقد حفظ القرآن الكريم، وتعلم اللغة العربية، وحفظ أحاديث كثيرة من أحاديث رسول الله -ﷺ- ودرس الفقه، وأنعم الله عليه بذاكرة قوية منذ صغره، فقد كان سريع الحفظ، لا ينسى ما يحفظه أبدًا، يحكي أحد أقربائه واسمه (صخر بن المبارك) عن ذلك فيقول: كنا غلمانًا في الكتاب، فمررت أنا وابن المبارك ورجل يخطب، فأطال خطبته، فلما انتهى قال لي ابن المبارك: قد حفظتها، فسمعه رجل من القوم، فقال: هاتها، أسمعنا إن كنت حفظتها كما تدَّعي، فأعادها عليه ابن المبارك ولم يخطئ في لفظ منها[١].

وفي الثالثة والعشرين من عمره رحل عبد الله إلى بلاد الإسلام الواسعة طلبًا للعلم، فسافر إلى العراق والحجاز.. وغيرهما وكان أول رحيله إلى العراق سنة ١٤١هـ[٢]، والتقى بعدد كبير من علماء عصره فأخذ عنهم الحديث والفقه، فالتقى بالإمام مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وأبي حنيفة النعمان كان يعمل بجوار طلب العلم الذي طلبه وهو ابن عشرين سنة فأقدم شيخ لقيه هو الربيع بن أنس الخراساني[٣]

---

[١]/ ديوان ابن المبارك، ط١، ص١٥

[٢] المرجع السابق، ص١٦.

[٣]/ الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني المروزي بصري، وكان عالم مرو في زمانه وقد روى الليث عن عبيد الله بن زحر عنه ولقيه سفيان الثوري قال أبو حاتم : صدوق . وقال ابن أبي داود :سجن بمرو ثلاثين سنة . قلت :

تحيل ودخل إليه إلى السجن فسمع منه نحوا من أربعين حديثا ثم ارتحل في سنة إحدى وأربعين ومئة وأخذ عن بقايا التابعين وأكثر من الترحال والتطواف وإلى أن مات في طلب العلم وفي الغزو وفي التجارة والإنفاق على الإخوان وتجهيزهم معه إلى الحج.

كان ابن المبارك يجمع مختلف العلوم، من فقه وحديث ولغة وأدب في قلب واع وعقل فطن ويخرجها للناس حكما ملئت الدنيا، من ذلك قوله: قيل لابن المبارك : إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا ؟ قال : أجلس مع الصحابة والتابعين، أنظر في كتبهم وآثارهم فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس وجاء أن ابن المبارك سُئل: من الناس ؟ فقال : العلماء، قيل : فمن الملوك ؟ قال : الزهاد، قيل : فمن الغوغاء ؟ قال: خزيمة وأصحابة (يعني من أمراء الظلمة)، قيل : فمن السفلة ؟ قال : الذين يعيشون بدينهم. وقال أيضا: إن البصراء لا يأمنون من أربع: ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع فيه الرب عز وجل، وعمر قد بقي لا يُدرى مافيه من الهلكة، وفضل قد أُعطي العبد لعله مكر واستدراج، وضلالة قد زينت يراها هدىً، وزيغ قلب ساعة فقد يسلب المرء دينه ولا يشعر عن ابن المبارك قال: من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته. وقال الدنيا سجن المؤمن، وأعظم أعماله في السجن الصبر وكظم الغيظ، وليس للمؤمن في الدنيا دولة، وإنما دولته في الآخرة! وقال أيضا ليس من الدنيا إلا قوت اليوم فقط.سئل عن قول لقمان لابنه: (إن كان الكلام من فضة فإن الصمت ذهب)، فقال: معناه لو كان الكلام بطاعة الله من فضة، فإن الصمت عن معصية الله من ذهب!! وكان يكثر الجلوس في بيته فقيل له: ألا تستوحش ؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي وأصحابه؟ وكان يعتزل مجالس المنكر واغتياب الناس فقيل له: إذا صليت معنا لم لا تجلس معنا؟ قال: أذهب مع الصحابة والتابعين. قيل له: ومن أين الصحابة

سجنه أبو مسلم تسعة أعوام وتحيل ابن المبارك حتى دخل إليه فسمع منه يقال : توفي سنة تسع وثلاثين ومئة حديثه في السنن الأربعة.

والتابعون؟ قال: أذهب أنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم، فما أصنع معكم وأنتم تغتابون الناس! كما كان مستجاب الدعوة، فقد دعا للحسن بن عيسى وكان نصرانياً: اللهم ارزقه الإسلام، فاستجاب الله دعوته فيه. وقال ابن المبارك: (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء).

المطلب الثالث

شيوخه وتلاميذه

اتفقت جميع المصادر على أنه كان طلاّباً للعلم نادر المثال، رحل إلى جميع الأقطار التي كانت معروفة بالنشاط العلمي في عصره. فيه يقول عبد الرحمن بن أبي حاتم: «سمعت أبي يقول: كان ابن المبارك ربع الدنيا بالرحلة في طلب الحديث، لم يدع اليمن ولا مصر ولا الشام ولا الجزيرة والبصرة ولا الكوفة»[1]، وقد شهد له أحمد بن حنبل بذلك أيضاً. وكان ابن المبارك يقول: «خصلتان من كانتا فيه نجا: الصدق، وحب أصحاب محمد»[2]. وقد كان ينشد العلم حيث رآه ويأخذه حيث وجده، لا يمنعه من ذلك مانع، كتب عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وتجاوز ذلك حتى كتب العلم عمن هو أصغر منه. وقد روي أنه مات ابن له فعزاه مجوسي فقال: ينبغي للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد أسبوع. فقال بن المبارك : اكتبوا هذه. وبلغ به ولعه بكتابة العلم مبلغاً جعل الناس يعجبون منه، فقد قيل له مرة: كم تكتب؟ قال: لعل الكلمة التي أنتفع بها لم أكتبها بعد. وعابه قومه على كثرة طلبه للحديث فقالوا: إلى متى تسمع؟ فقال إلى الممات. وعمل على جمع أربعين حديثا وأخذ عن بقايا التابعين كحميد الطويل[3] وهشام بن عروة وإسماعيل بن أبي خالد[1]. ومن شيوخه الأعمش وهو سليمان

---

[1]/ التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، د مجاهد مصطفى بهجت وزارة الأوقاف والشؤن الدينة، بغداد ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص٥٨٢.

[2]/ التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، ص٥٨٠.

[3]/ حميد بن أبي حميد الطويل، الإمام الحافظ أبو عبيدة البصري، مولى طلحة الطلحات، ويقال: مولى سلمى. وقيل غير ذلك. وفي اسم أبيه أقوال أشهرها تيرويه، وقيل: تير. وقيل: زاذويه لا بل ابن زاذويه .شيخ مقل .حدث عنه ابن

بن مهران أبو محمد الأسدى الكاهلى، وكان مولده يوم استشهاد الحسين بن علي بن أبي طالب وذلك يوم عاشوراء في المحرم سنة ستين للهجرة، وأعده أصحاب الطبقات من الطبقة الرابعة من التابعين. وعاش الأعمش في الكوفة، وكان محدث أهل زمانه.

أدرك الأعمش جماعة من الصحابة وعاصرهم وكان الأعمش يسمَّى المصحف من صِدقِهِ، وحدّث عنه أمم لا يحصون، إلا أنه كان متواضعًا شديد التواضع، ولقد جاءه رجل يسأله عن مسألة في العلم، وعنده أبو حنيفة - وهو من تلامذته - فقال لأبي حنيفة: أجبه. فأجابه، فقال له: و من أين لك هذا؟ قال: من حديث حدثتَنيه هو كذا وكذا .فقال الأعمش: حسبك ما حدَّثتُكَ به في سنة تحدِّث به في ساعة، أنتم الأطباء و نحن الصيادلة. وكان الأعمش جريئًا في الحق لا يخشى لومة لائم وإن عرضه ذلك للتلف أو الهلاك، ولقد بعث إليه هشام بن عبد الملك قائلاً له: أن اكتب لي مناقب عثمان ومساوئ علي؟ فأخذ الأعمش (رحمه الله) القرطاس وأدخله في فم شاة فلاكته، وقال لرسوله: قل له: هذا جوابك. فقال له الرسول: إنه قد آلى أن يقتلني إن لم آته بجوابك، وتحمل عليه بإخوانه، فقالوا له: يا أبا محمد نجه من القتل، فلما ألحوا عليه كتب له: بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد، فلو كانت لعثمان مناقب أهل الأرض ما نفعتك، ولو كانت لعلي مساوئ أهل الأرض ما ضرتك، فعليك بخويصة نفسك .

وأيضا حنظلة السدوسي، ومن بعدهم كحيوة بن شريح المصري[2]، والأوزاعي وهو أبو عمرو عبد الرحمٰن بن عمرو بن يُحْمَد الأوزاعي، نسبة إلى الأوزاع وهي قبيلة يمنية نزل أناس منها في قرية من قرى دمشق عند باب الفراديس فسميت باسمهم وظلت

عون، هو يروي أيضا عن أنس وقيل: اسم والد حميد الطويل :داور أو مهران، أو طرخان، أو مخلد، أو عبد الرحمن . مولده في سنة ثمان وستين عام موت ابن عباس .

[1]/ إسماعيل بن أبي خالد، الحافظ الإمام الكبير أبو عبد الله البجلي الأحمسي مولاهم الكوفي واسم أبيه هرمز وقيل سعد وقيل كثير وله من الإخوة أشعب وخالد وسعيد كان محدث الكوفة في زمانه مع الإعمش بل هو أسند من الأعمش، وتوفي سنة ست وأربعين ومئة.

[2]/ *حيوة بن شريح بن* صفوان *بن* مالك التجيبي أَبُو زرعة *المصري* الفقيه الزاهد العابد روى عن ١- إسحاق *بن* أسيد أبي عبد الرحمن الخراساني د ٢ - وبشير *بن* أبي عمرو.

معروفة إلى القرن التاسع الهجري ثم شملها العمران فاندثرت. وقيل إنه سمي بذلك لنزوله في هذه المحلة. وقال بعض النسابين إن الأوزاع في الأصل بطن من ذي الكلاع ملك حِمْير، وبنو حمير من العرب القحطانيين في اليمن، خرجوا وتفرقوا في البلاد بعد حادثة سد مأرب الذي فاضت مياهه فأغرقت القرى، أما ياقوت الحموي فقال إنه ينتسب إلى بني همدان التي هي قبيلة يمنية كان منها رجال أبطال جاهدوا في الإسلام جهادًا عظيما، ولد الإمام الأوزاعي في بعلبك سنة ثمانية وثمانين للهجرة ونشأ يتيمًا في حجر أمه التي كانت تنتقل به من بلد إلى آخر ومن عالم إلى آخر، فنشأ تنشئة دينية صالحة، وكان يتنقل بين الشام واليمن والحجاز والبصرة وغيرها طالبًا العلم يستقيه من مناهله العذبة الطاهرة .

وأبي حنيفة وهو النعمان بن ثابت بن المَرْزُبان، وكنيته أبو حنيفة، من أبناء فارس الأحرار، ينتسب إلى أسرة شريفة في قومه، أصله من كابل[1]، أسلم جده المرزُبان أيام عمر رضي الله عنه، وتحوَّل إلى الكوفة، واتخذها سكنًا وُلِد أبو حنيفة رحمه الله بالكوفة سنة ثمانين من الهجرة على القول الراجح (٦٩٩م). ونشأ رحمه الله بالكوفة في أسرة مسلمة صالحة غنية كريمة، ويبدو أنه كان وحيد أبويه، وكان أبوه يبيع الأثواب في دكان له بالكوفة، ولقد خَلف أبو حنيفة أباه بعد ذلك فيه. حفظ أبو حنيفة القرآن الكريم في صغره، شأنه شأن أمثاله من ذي النباهة والصلاح. وحين بلغ السادسة عشرة من عمره خرج به أبوه لأداء فريضة الحج وزيارة النبي ﷺ ومسجده وكان أول ما اتجه إليه أبو حنيفة من العلوم علم أصول الدين ومناقشة أهل الإلحاد والضلال، ولقد دخل البصرة أكثر من سبع وعشرين مرة، يناقش تارةً ويجادل ويرد الشبهات عن الشريعة تارة أخرى، وكان يدفع عن الشريعة ما يريد أهل الضلال أن يلصقوه بها، فناقش جهم بن صفوان[2] حتى أسكته، وجادل الملاحدة حتى أقرهم على الشريعة، كما ناظر

---

[1] / عاصمة أفغانستان اليوم.

[2] / جهم بن صفوان، رأس الجهمية الذي ينسبون إليه من المجبّرة، ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم بن أحوز المازني، في آخر ملك بني أمية ذهب إلى أن الإنسان لا يوصف بالاستطاعة على الفعل بل هو مجبور بما يخلقه الله تعالى من الأفعال على حسب ما يخلقه في سائرالجمادات وأن نسبة الفعل إليه إنما هو بطريق المجاز كما يقال جرى الماء وطلعت الشمس وتغيَّمت السماء إلى

المعتزلة والخوارج فألزمهم الحجة، وجادل غلاة الشيعة فأقنعهم. ومن شيوخ ابن المبارك أيضا شعبة[1] ومالك[2] والليث[3] وابن لهيعة[4].

أما تلاميذه فجمع كبير من الأئمة والمحدثين، منهم : سفيان الثوري وهو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري الربابي التميمي (٩٧ هـ-١٦١هـ) كان أحد أئمة الإسلام يقول عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء «هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد مصنف كتاب الجامع. قال شعبة وابن عيينة وأبو عاصم ويحيى بن معين وغيرهم: سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث. وقال علي بن الحسن بن شقيق عن عبد الله قال: ما أعلم على الأرض أعلم من سفيان. وقال بشر الحافي: كان الثوري عندنا إمام الناس. وقال: سفيان في زمانه كأبي بكر وعمر في زمانهما وكان

غير ذلك. ووافق المعتزلة في نفي صفات الله الأزليّة وزاد عليهم بأشياء منها: أنه نفى كونه حيّاً عالماً وأثبت كونه عالماً قادراً. ومنها أنه أثبت للباري تعالى علوماً حادثة لا في محلّ.

[1]/ المحدث الحافظ عالم خراسان أبو سعيد إبراهيم بن طهمان بن شعبة الهروي ثم النيسابوري .روى عن أبي إسحاق السبيعي، وعمرو بن دينار، وسماك بن حرب، ومحمد بن زياد الجمحي، وأبي جمرة الضبعي، وثابت البناني، وعثمان بن عاصم، وغيرهم. وقال عنه إسحاق بن راهويه: كان صحيح الحديث، حسن الرواية، كثير السماع، ما كان بخراسان أحد أكثر حديثا منه، وهو ثقة..وقال يحيى بن أكثم: كان من أنبل من حدث بخراسان والعراق والحجاز وأوثقهم وأوسعهم علما..

[2] / هو الإمام المتق الثقة إمام اهل السنة والجماعة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن حارث وهو ذو إصبح بن عوف بن مالك بن شداد بن زرعة وهو حمير الأصغر و'عمرو بن الحارث ذي أصبح الحميري 'من ملوك اليمن، الحميري ثم الأصبحي، المدني، حليف بني تيم من قريش، فهم حلفاء عثمان أخي طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة.[١]وأمه هي العالية وقيل الغالية بنت الشريك الأزدية .ومالك جد الإمام من كبار التابعين وروى عن عمر وطلحة وعائشة وأبي هريرة وحسان بن ثابت وكان من أفاضل الناس وأحد الأربعة الذين حملوا عثمان بن عفان ومات سنة ١٩٧هـ.ولد للإمام أربعة أبناء وبنت هي أم البهاء بنت مالك وكانت ممن يحفظون علمه.ولد مالك بن أنس في ربيع الأول سنة ٩٣هالموافق ٧١٢م بذي المروة نزل أولا بالعقيق ثم نزل المدينة المنورة. توفي مالك بن أنس في ربيع الأول عام ١٧٩هـ الموافق ٧٩٥م عن عمر يناهز ستة وثمانين سنة،

[3]/ الليث بن سعد بن عبد الرحمن بن عقبة الفهمي كان مولى لرجل من بني فهم يقال له الوليد بن رفاعة الفهمي فانتسب لهم، الإمام الفقيه الحافظ الحجة، شيخ الإسلام في مصر، ولد في قرية قلقشندة من أعمال محافظة القليوبية بدلتا مصر سنة ٩٤ هـ.قال ابن بكير وسعيد ابن أبي مريم :توفي الليث للنصف من شعبان سنة ١٧٥ هـ يوم جمعة وصلى عليه موسى بن عيسى. وقال خالد الصدفي :شهدت جنازة الليث فما شهدت جنازة أعظم منها.

[4]/ عبد الله بن لهيعة ابن عقبة بن فرعان بن ربيعة بن ثوبان، القاضي، الإمام، العلامة، محدث ديار مصر مع الليث، أبو عبد الرحمن الحضرمي، الأعدولي ويقال: الغافقي، المصري، ويقال: يكنى أبا النضر، ولم يصح ولد سنة خمس أو ست وتسعين وطلب العلم في صباه، ولقي الكبار بمصر، وقال روح بن صلاح: لقي ابن لهيعة اثنين وسبعين تابعيا .

موته في شعبان سنة إحدى وستين ومائة. وابن وهب[1] وابن مهدي[2] وأبو داود[3] وابن معين[4] وأبو بكر بن أبي شيبة[5] وأحمد بن منيع[1]

---

[1]/ هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم الفقيه المالكي المصري المولود في الفسطاط سنة ١٢٥هـ، لزم الإمام مالكاً أكثر من عشرين سنة، وقضى حياته كلها في طلب العلم. لقّبه الإمام سفيان بن عيينة بشيخ أهل مصر، سمع ابن وهب من شيوخ مصر والحجاز والعراق، قد قيل: إن شيوخه الذين أخذ عنهم يزيدون عن أربعمائة. إلا أنه أطال الجلوس عند الإمام مالك، تعلّم على يديه حتى صار عالماً جليلاً. كان يحبه الإمام مالك ويقدّره حتى قيل: إنه ما نجا أحد من زجر الإمام مالك إلا ابن وهب. وقد كان يلقبه بالفقيه، وكان يسمح له بالكتابة عنه ثم لا يجد مانعاً لمراجعة ما كتبه عليه، وكان ابن وهب أحد ناشري المذهب المالكي في مصر لأن الناس – الأكثر منهم – كانوا لا يستطيعون السفر إلى المدينة المنورة فكانوا يذهبون إلى ابن وهب يتعلمون منه الفقه المالكي، وقد عُرف ابن وهب بكثرة رواية الأحاديث .وعندما كان الناس يختلفون في شيء على الإمام مالك كانوا ينتظرون قدوم ابن وهب من مصر ليسألوه، وقد رفض أن يتولى القضاء في مصر عندما كتب إليه الخليفة بذلك، فحجب نفسه ولزم بيته، فرآه رشدين بن سعد وهو يتوضأ في صحن بيته فقال له: ألا تخرج إلى الناس فتقضي بينهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فرفع ابن وهب رأسه إليه وقال له: إلى هنا انتهى عقلك؟ أما علمت أن العلماء يُحشرون مع الأنبياء والقضاة يُحشرون مع السلاطين؟ توفي ابن وهب سنة ١٩٧ هـ عن اثنين وسبعين عاماً رحمة واسعة.

[2] / عبد الرحمن بن مهدي ..عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن العنبري -وقيل: الأزدي مولاهم - البصري اللؤلؤي، ويُكَنَّى بأبي سعيد تعالى. ولد سنة١٣٥ :هـ كما قال الإمام أحمد. ونشأ في بيت متواضع، فلم يكن أبوه مهدي من العلماء إطلاقاً، بل ربما لم يكن شخصاً صاحب عقل، وسنأتي على قصةٍ له تبين ذلك، بل كان رجلاً عامياً بمعنى الكلمة، ولكنه خرج من صلبه -والله يصطفي من خلقه من يشاء، ويخرج من يشاء ممن يشاء - هذا الرجل العامي إمامٌ عظيمٌ من أئمة المسلمين، وهو عبد الرحمن بن مهدي. وكَوْن بيت هذا الرجل ليس ببيت علم، ثم يخرج منه هذا العالم؛ فإنه يدل على نبوغه وعصاميته في طلب العلم، توفي في جمادى الآخرة، سنة١٩٨هـ، وكان له من العمر (٦٣) سنة.

[3]/ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني المشهور بأبي داود المولود سنة٢٠٢هـ والمتوفي سنة ٢٧٥هـ، إمام أهل الحديث في زمانه وهو صاحب كتابه المشهور بسنن أبي داود.

[4]/ شيخ المحدثين ولد سنة ١٥٨هـ.وهو أبو زكريا، يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام. وقيل: اسم جده غياث بن زياد بن عون بن بسطام الغطفاني ثم المري، مولاهم البغدادي. ولد سنة ثمان وخمسين ومائة. وكان قريناً للإمام أحمد بن حنبل. ولد في خلافة أبى جعفر، أصله من الأنبار، ونشأ ببغداد، وهو أسن الجماعة الكبار، الذين هم:علي بن المديني ,وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، و أبو بكر ابن أبى شيبه، وأبو خيثمة، فكانوا يتأدبون معه، ويعترفون له. وكان إماماً حافظاً من كبار أئمة زمانه ، وكان صديقاً مقرباً لعدد من كبار الأئمة كالإمام أحمد بن حنبل فقد لزم مجلس الإمام أحمد وصاحبه وتتلمذ بين يديه حتى نهل من علمه ، كما كان زاهداً ورعَاً صادقاً ثقةً متمكناً في علم الرجال ، فكان الكثير يطلبه ليكون من تلاميذه

[5]/ هو عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خُوَاسْتَى العبسي مولاهم الكوفي، والمكنى بأبي بكر، والملقب بـ"سيد الحفاظ"، أحد علماء ورواة الحديث عند أهل السنة والجماعة .وصاحب كتاب مصنف ابن أبي

وعلي بن حجر[2] ويعقوب الدورقي[3]، وأمم يتعذر إحصاؤهم ويشق استقصاؤهم.

ولم يكن ابن المبارك يهتم بالجانب الكمي في جمع العلم فحسب، بل كان اهتمامه يتوجّه أيضاً إلى الانتقاء النوعيّ له، دافعه في ذلك أمانة العلم والاستبراء للدين، لذلك كان التثّبت العلمي هو المنهج الذي التزم به ابن مبارك وأخضع له كل ما كان يصل إليه من أحاديث، حيث كان يتحرّى ما يقبل منها وما يرد من خلال اسنادها. كما حرص على دراسة الصّحيح من أحاديث رسول الله والاشتغال بها على غيرها، حيث قال" لنا في صحيح الحديث شغل عن سقيمه"[4]. وقد أورد ابن المبارك في كتاب الزهد بعض الأحاديث الضّعيفة، وذلك لأنه يرى جواز العمل في الحديث الضعيف في فضائل الأعمال.

شيبة .كما جمع مسنداً وصنف تفسيراً للقرآن.نشأ في بيت علم فطلب العلم وهو صبي، ونشأ هو وأخواه) الحافظ عثمان بن أبي شيبة، والقاسم بن أبي شيبة) على طلب الحديث وروايته. وكذلك كان ولده الحافظ إبراهيم بن أبي بكر، وإبن أخيه الحافظ أبو جعفر محمد بن عثمان. وكان أبو بكر هو أشهر أهل بيته وأوسعهم علماً، وكان مضرب الأمثال في قوة الحفظ وسعته.وكان من أقران أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني في السن والمولد والحفظ. سمع من عبد الله بن المبارك، وسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، و يحيى بن سعيد القطان، وخلق كثير غيرهم بالعراق والحجاز وغير ذلك. وروى عنه الحديث: الشيخان) البخاري ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، وروى النسائي عن بعض أصحابه. كما روى عنه أيضاً :أحمد بن حنبل، وأبو زرعة الرازي، و ابن ابي عاصم، وبقي بن مخلد، وأبو يعلى الموصلي، وصالح جزرة، وأبو القاسم البغوي، وغيرهم الكثير. توفي في شهر المحرم سنة ٢٣٥ هـ.

[1]/ أحمد بن مَنِيع ابن عبد الرحمن الإمام الحافظ الثقة، أبو جعفر البغوي ثم البغدادي ، وأصله من مَرْو الرُّوذ . رحل وجمع وصنف"المسند ."حدث عن : هشيم ، وعبَّاد بن العوام ، وسفيان بن عيينة ، ومروان بن شجاع ، وعبد العزيز بن أبي حازم ، وعبد الله بن المبارك ، وهذه الطبقة فمن بعدهم . حدث عنه : الستة ، لكن البخاري بواسطة ، وسِبطُه مسند وقته أبو القاسم البغوي ، وعبد الله بن ناجية ، ويحيى بن صاعد ، وإسحاق بن جميل ، وخلق سواهم . وثقه صالح جزرة ، وغيره . وكان مولده في سنة ستين ومائة .قال البغوي : أُخبرتُ عن جدي أحمد بن منيع -رحمه الله -أنه قال : أنا من نحو أربعين سنة أختم في كل ثلاث . قال البغوي : مات جدي في شوال سنة أربع وأربعين ومائتين.

[2]/ علي بن حُجْر ابن إياس بن مُقاتل بن مُخادِش بن مُشَمْرِجى الحافظ العلامة الحجة أبو الحسن السعدي المروزي ، ولجده مشمرج بن خالد صحبة . ولد سنة أربع وخمسين ومائة، وارتحل في طلب العلم إلى الآفاق، وتوفي في جمادى الأولى سنة أربع وأربعين ومائتين.

[4] / ديوان عبد الله بن المبارك، ص١٧،

المطلب الرابع

أراء العلماء فيه

قال الإمام ابن حنبل: لم يكن في زمانه مثله ولا أطلب منه للعلم. وقال العباس بن مصعب: جمع ابن المبارك الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء ومحبة الفرق له. وكان غنياً رأس ماله نحوٌ من أربعمائة ألف درهم وكان من فحول الشعراء ولما بلغ الرشيد موته قال: مات سيد العلماء. قال أبو حسان عيسى بن عبد الله البصري : سمعت الحسن بن عرفة يقول : قال لي ابن المبارك : استعرت قلماً بأرض الشام، فذهبت على أن أرده فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معي، فرجعت إلى الشام حتى رددته على صاحبه. وقال أسود بن سالم : كان ابن المبارك إماماً يُقتدى به، كان من أثبت الناس في السنة، إذا رأيت رجلاً يغمز ابن المبارك فاتهمه على الإسلام.

قال النسائي[1]: لا نعلم في عصر ابن المبارك أجل من ابن المبارك ولا أجل منه ولا أجمع لكل خصلة محمودة منه[2]. وعن الحسن بن عيسى، قال: اجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك مثل الفضل بن موسى، ومخلد بن حسين، ومحمد بن النضر فقالوا : تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا : العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والزهد، والفصاحة، والشعر، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسية، والقوة، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف على أصحابه. وما أصدق قول الشاعر فيه:جمال ذي الأرض كانوا في الحياة، وهم...... بعد الممات جمال الكتب والسير[3]

قال أشعث بن شعبة المصِّيصي: قدم الرشيد الرقة، فانجفل الناس خلفَ ابن المبارك، وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من برج من

---

[1]/ هو الإمام الحافظ الثبت، شيخ الإسلام، ناقد الحديث، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النسائي، صاحب السنن. وُلد بِنَسا سنةَ مائتين وخمس عشرة، اختلف في مكان وزمان وفاته، فقيل: تُوفِّي بمكة سنة ثلاثٍ وثلاثمائة. وقيل: تُوفِّي بفلسطين سنة اثنتين وثلاثمائة.

[2]/ تهذيب التقريب، ج٥، ص ٣٦٧.٣٦٥.

[3]/ من حفظي ولم أقف له على قائل.

قصر الخشب، فقالت : ماهذا ؟ قالوا : عالم من أهل خراسان قدم، قالت : هذا والله المُلكُ، لا ملكُ هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشُرط وأعوان[1].

قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق: سمعت أبي قال : كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويُقفل عليها، ثم يكتري لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال يُنفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مُروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ، فيقول لكل واحد : ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طُرفها ؟ فيقول : كذا وكذا فيشتري لهم، ثم يخرجهم إلى مكة فإذا قضوا حجهم قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالُك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يُخرجهم من مكة، فلا يزال يُنفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجصص بيوتهم وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسرّوا دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صُرته عليها اسمه.

قال سفيان الثوري: إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة مثل ابن المبارك، فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام. وقال ابن عُيينة : نظرت في أمر الصحابة، وأمر عبد الله، فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم النبي، وغزوهم معه. وقال القاسم بن محمد بن عباد: سمعت سُويد بن سعيد يقول: رأيت ابن المبارك بمكة أتى زمزم فاستقى شربة، ثم استقبل القبلة، فقال: اللهم إن ابن أبي الموال حدثنا عن محمد بن المُنكدر عن جابر عن النبي أنه قال: ((ماء زمزم لما شُرب له))[2] وهذا أشربه لعطش القيامة، ثم شربه. وقال نعيم بن حماد: كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق يصير كأنه ثور منحور أو بقرة منحورة من البكاء، لا يجترئ أحد منا أن يسأله عن شيء إلا دفعه.

---

[1]/ ديوان ابن المبارك، ص١٨.

[2]/ التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، ص٤٥٥.

المبـحث الثـاني

أراء عبد الله بن المبـارك الزهدي

المطلب الأول

موقـف عبد الله بن المبارك من الكسب

كما أنّ الصّلاة، والصّيام، والحجّ، والزكاة، فرائض فرضها الله على المسلم، كذلك طلب الحلال فريضةٌ بعد الفريضة، يؤكّد هذا المعنى أنّ رجلاً كان يلازم المسجد طوال النهار، فلمّا رآه النبي عليه الصلاة والسلام سألهُ، (من ينفق عليك ؟ كيف تأكل ؟ فقال: أخي، فقال عليه الصلاة والسلام: أخوكَ أعبدُ منك، لأنّ طلبَ الحلال فريضةٌ بعد الفريضة)[١]، ولأنّ كسب المال الحلال، وإنفاقه في وجهه هو الذي يرقى بالإنسان إلى الله، ولأنّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾[٢]، والعمل الصالح يحتاجُ في أحايين كثيرة إلى المال، فكسْبُ المال الحلال ثمّ إنفاقه في الوجه المطلوب هو الذي يرقى بك إلى الله عز وجل.

ويروى في موضع أخر أن شريكًا اشتكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنّه يعملُ أكْثر من شريكه، فشريكهُ منصرفٌ إلى شيء آخر، فلمّا إلى النبي عليه الصلاة والسلام عن أنّ شريكهُ أقلّ جهدًا منه، قال عليه الصلاة والسلام كلمةً مذهلةً، قال عليه الصلاة والسلام: لعلّك تُرزق به! فقد كان هذا الشريك طالب علم، فالنبي عليه الصلاة والسلام باركَ طلبَ العلم، لأنّ طالب العلم خيرهُ يعمّ المجتمع كلّه، فالشريك الذي يتحمّلُ عبئًا عن شريكه إذا كان طالبًا للعلم، الله سبحانه وتعالى يتولّى هذه الشّرِكَة بِالخَير العميم فقال عليه الصلاة والسلام: لعلّك تُرزق به!.

---

[٢]/ سورة فاطر، الآية ١٠.

ويرى الباحث أنه لابد لنا هاهنا من وقفة ففي العبادة قال: أخوك أعبدُ مِنْك! ولكن في طلب العلم قال: لعلّك تُرزق به! وهذان الحديثان ليسا من باب المتناقضات، ولكن من باب المتكاملات، إنّ طلب العلم من أجل نشره، ولكنّ العبادة من أجل صاحبها، لذلك أخوك أعبدُ منك، أما في طلب العلم لعلّك ترزق به!، وهذا الحديث يظنه البعض أصلا يعتمدون عليه لرفع فريضة العمل عن طالب العلم وهذا خطأ جليا لأن الرسول الكريم تجاوز عن تقصير طالب العلم في العمل ولم يشرع لنا ترك العمل مطلقا لا لطالب علم ولا لسواه .

روى الإمام أحمدُ في مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنّ الله يحبّ العبْد المحترف، وهو من كانتْ له حرفة يكسبُ منها رزقهُ، لأنّ الإمام عليًّا كرّم وجهه يقول: قيمة المرءِ ما يُحسنُ إذا أتقنْتَ عملاً ما فلك عند الله تعالى قيمة، إذا كان لك حِرفة تكسبُ منها قوت يومك فأنت عند الله تعالى مبارك، لذلك إنّ الله تعالى يحبّ العبد المحترف، ومن كدّ على عياله، كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى، هذا الذي يسعى من وقتٍ مبكّر، ولِساعةٍ متأخّرة ليأتيَ برزق عياله، ولِيَكفيَهم، وليُؤمّن حاجاتهم، وليَصرفهم عمّا عند الناس، هذا كما قال عليه الصلاة والسلام كالمجاهد في سبيل الله تعالى.

من حكمة الله البالغة أنه جعل كسْب المال الحلال أصعبُ من كسب المال الحرام، لِيَميز الله الخبيث من الطيّب، وليرى من يؤثرُ رضوان الله تعالى، ومن يؤثرُ المال الوفير، قد يكون كسب المال الحلال صعبًا جدًّا، وقد يكون كسب المال الحرام سهلاً لينظر ماذا تعملون ؟ لذلك قال عليه الصلاة والسلام: (من أمسى كالاًّ في طلب الحلال أمسى مغفورًا له)[1]، فإذا تحمَّل المؤمن متاعبَ جمّة في كسْب الرّزق، فالنبي عليه الصلاة والسلام يبشّرهُ بِمَغفرة من الله ورِضوان. ويقول عليه الصلاة والسلام: (إنّ من الذُنوب ذنوبًا لا تكفّرها الصّلاة، ولا الصّدقة، ولا الحجّ، ولكن يكفّرها الهمّ في

[1]/ المدخل إلى السنن الكبري للبيهقي، ص٢٦٠٤.

طلب المعيشة)[1]، وقال أيضا رواية عن الله عز وجل: (أنّ الله يحبّ أن يرى عبدهُ تَعِبًا في طلب الحلال)[2]، (لأَنْ يحْمِلَ الرَّجُل حبلاً، فيحْتطبُ به، ثمّ يجيءُ فيضَعُه في السّوق فيبيعُه، ثمّ يستغني به فيُنفقهُ على نفسه خيرٌ له من أن يسأل الناس أعْطَوْهُ أو منعوه)[3]، لذلك ضربَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم المَثَل الأعلى في كسْب الرّزق فسيّدنا عبد الرحمن بن عوف عرضَ عليه أحدُ الأنصار أن يُعطيَهُ بُستانًا له، وحانوتًا له، فقال له: باركَ الله فيك، ولكنْ دُلَّني على السّوق، ظهرَ الأوّل بِمَظهر المؤاثرة، وظهر الثاني بِمَظهر التعفّف.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (ما أكلَ أحدٌ طعامًا خيرٌ من أن يأكلَ من عملِ يده)[4]، وقال أيضا: (إذا فُتِحَ لأحدكم باب رزقٍ فلْيلْزمْهُ)[5]، ومعنى هذا الحديث إذا جاءك الرّزق من باب، لا يحقّ لك كَمُسلمٍ أن تسدّ هذا الباب الذي بين يديك، لا يَحِقّ لك أن تتأخّر، لا يحقّ لك أن تضْجر، لأنّ الذي يتأفّف من عمله لا يصْلُح لأيّ عملٍ آخر، كلّ عملٍ فيه إيجابيّات وسلبيّات، كلّ عملٍ فيه ميزاتٌ ومسالك، كلّ عملٍ فيه أشياء ترغّب فيه، وفيه أشياء تنفّرُ منه، فمَن تأفَّفَ من عمله، هذا في نظر علماء النَّفْس لا يصلحُ لأيّ عملٍ آخر، فلذلك إذا فُتِحَ لأحدكم باب رزْقٍ، فلْيلزمْهُ، وإتقان العمل يا أيها الإخوة المؤمنون جزءٌ من الدّين، بل هو الدِّين، وليس هناك تناقضٌ بين عمل الدّنيا، وعمل الآخرة، فالمؤمن يعمل وعملهُ عبادة، فيقول عليه الصلاة والسلام: (إذا قامَت الساعة وبيَدِ أحدكم فسيلةً فاستطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فلْيَغْرسْها، فلهُ بذلك أجْرٌ)[6]، وهذا حض جليا على أهمية العمل حتى أخر رمق في حياتك.

---

[1]/ إتحاف السادة المتقين للزبيدي، ص٢٣١١.

[2]/ صحيح الجامع الصغير، ص ١٧١٨، رواه الديلمي.

[3]/ صحيح البخاري، ص٥١٢١.

[4]/ صحيح البخاري، ص٥٢٠٩.

[5]/المدخل إلى السنن الكبري للبيهقي، ص٢٦٠٤.

[6]/ صحيح البخاري، باب الأدب المفرد، ج١، ص١٦٨.

ويكفى العمل شرفا أنه من سنن الأنبياء والمرسلين، ومن سنن الشرفاء في الأرض، فما من نبي إلا ورعى الغنم، وكان داود عليه السلام حداداً، وكان نوح نجاراً، وسئل رسول الله ﷺ: أي الكسب أطيب أو أفضل؟ قال: (عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور)[1]، وسيدنا عمر رضي الله عنه يقول: أرى الفتى فيعجبني، فإذا قيل: لا حرفة له سقط من عيني، ويقول كذلك: لا يحملن أحدكم على ترك الرزق أن يكتفي بالدعاء، ويقول: يقول أحدكم: اللهم ارزقني، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة[2].قد شوهد خليفة رسول الله ﷺ، وهو الإنسان الأول بعد رسول الله، في اليوم التالي لتوليه الخلافة، وقد جعل على كتفه حزمة من الثياب، متوجهاً إلى السوق ليبيعها، وكان بعض العلماء العاملين كإبراهيم بن الأدهم، رحمه الله، يسقي، ويرعى، ويعمل بالكراع، يعني بالأجرة، ويحفظ البساتين، ويحصد بالنهار، ويصلي بالليل. وعلى هذا النهج سار ابن المبارك رحمه الله رحمة واسعة فقد كان يتكسب من التجارة ولم يتركها لطلب العلم بل عاب ذلك على من يفعله أو يعتقده من زهاد عصره ودعاهم إلى العمل طلبا للرزق الحلال أسوة بالأنبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين. من ذلك قوله:

كل من اروش والز ... ومن خبز الشعير

واجعَلَن ذاك حلالاً ... تنجُ من نار السعيرِ

والتمس رزقكَ من ذي ... العرش والربّ القديرِ

وانأ ما اسطعت هداك ... اللَه عن دار الأميرِ

[1]/ صحيح البخاري، باب أي الكسب أطيب، ص١٣٩.

[2]/ لسان العرب لابن منظور، ج٩، ص١١٨.

المطلب الثاني

موقف عبد الله بن المبارك من الإدخار

كما نعلم جميعا فإن الأصل في الأمور الإباحة لا التحريم، إذن فالكسب والإدخار من المباحات والدليل قوله تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَيكَ اللَّهُ الدَّارَ الاخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الارْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}[1]، وأباح الله سبحانه وتعالى الزينة والطعام والشراب من غير إسراف ولا بذخ فقال: {يَبَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلا تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِين}[2].

ثم شَدَّدَ سبحانه وتعالى على من يُحَرِم زينة الله والطيبات من الرزق فقال: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الايَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[3]، وأمر جَلَّ شأنه المؤمنين باختيار الطيبات من الرزق حين قال: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَتِ مَا رَزَقْنَكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}[4].

فالإسلام قد حذر الناس من الترف والإسراف وعدَّ المترفين سبباً للفساد والهلاك فلقد قال تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا}[5]. ولقد كان الامام عبد الله بن المبارك يقول: (لا يخرج العبد عن الزهد امساك الدنيا ليصون بها وجهه عن سؤال الناس)[6].

---

[1]/ سورة القصص: آية ٧٧.

[2]/ سورة الاعراف: آية ٣١.

[3]/ سورة الاعراف: آية ٣٢.

[4]/ سورة البقرة: آية ١٧٢.

[5]/ سورة الاسراء: آية ١٦.

[6]/ الطبقات الكبرى للشعراني، مطبعة مصطفى الحلبي واولاده بمصر، ط١ ١٩٥٤، ص٦٠.

عن ابن عيينة قال: قال لي معمر: قال لي الثوري هل سمعت في الرجل يجمع لأهله قوت سنتهم أو بعض السنة ؟ قال معمر فلم يحضرني، ثم ذكرت حديثا حدثناه ابن شهاب الزهري عن مالك بن أوس عن عمر رضي الله عنه، (أن النبي ﷺ كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم)[1]. شرحه الإمام النووي - رحمه الله بقوله: في هذا الحديث جواز ادخار قوت سنة، وجواز الادخار للعيال وأن هذا لا يقدح في التوكل، وأجمع العلماء على جواز الادخار فيما يستغله الإنسان من قريته.

قال ﷺ في لحوم الأضاحي: كلوا وأطعموا وادخروا. قال ابن حجر - رحمه الله - : يؤخذ منه الإذن في الادخار أي الجواز، خلافا لمن كرهه، والادِّخار لا يُنافي التوكل إذ لا منافاة بين التوكل على الله وفعل الأسباب المشروعة بل إن فعل الأسباب المشروعة من تمام التوكل، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان أهل اليمن يحجُّون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)[2]، رغم أن التوكل لا يكون مع السؤال، وإنما التوكل المحمود أن لا يستعين بأحد في شيء، وقيل في تعريف التوكل هو قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب، كما قال عليه السلام أعقلها وتوكل.

---

[1]/ صحيح البخاري، ص٥٣٥٧.

[2]/ سورة البقرة، الآية ١٩٧.

المطلب الثالث

موقف عبد الله بن المبارك من الجهاد

الجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أَو اللسان أَو ما أَطاق من شيء وجاهَدَ العدوَّ مُجاهَدة وجِهاداً: قاتله وجاهَد في سبيل الله. وفي الحديث: (لا هِجرة بعد الفتح ولكن جِهاد ونِيَّةٌ)[1]؛ الجهاد محاربة الأَعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أَو فعل، والمراد بالنية إِخلاص العمل لله أَي أَنه لم يبق بعد فتح مكة هجرة لأَنها قد صارت دار إِسلام، وإِنما هو الإخلاص في الجهاد وقتال الكفار[2]، ثم إنه لا يكون صدق الإيمان بالله ورسوله ﷺ، والاستقامة على دين الله، وأمره، إلا بالجهاد في سبيله تعالى، بالمال، والنفس، مصدقاً لقوله تعالى: (إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)[3]، ولا يكون جهادنا في ساحات القتال، إلا ونحن نجاهد أنفسنا جهاداً عظيماً، حتى نتخلى عن رغائب الدنيا، وجواذبها الأرضية، ومن لم يجاهد نفسه، لم ينتصر عليها، فيخرج مقاتلاً للعدو الخارجي :(كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرُ لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرُ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)[4]، وبجهاد النفس يصير ما تكرهه حبيباً إليها، حتى القتال، ومبارزة العدو، وتعريض النفس للخطر، وحينئذ فالمجاهدون لا يفرغون من غزوة، إلا وأعدوا أنفسهم لما بعدها، ولولا هذه الروح الدافعة، والسر العظيم في الجهاد، ما بلغوا في وجيز من الزمان مشارق الأرض ومغاربها.

والجهاد ذروة سنام الإسلام، وهو ركن من أركان الدين.. والنبي ﷺ، أسوة المؤمنين، هو المعظم شأن الجهاد، الواصف له بأنه ذروة سنام الإسلام

---

[1]/ صحيح البخاري، كتاب الهجرة، ج٣، ص٥٥٦.

[2]/ أنظر لسان العرب لابن منظور، ج٩، ص١١٨.

[3]/ سورة الحجرات:١٥

[4]/ سورة البقرة:٢١٦

وحيثما نظرت في تراجم الصحابة رضوان الله عليهم، وجدتهم في المشهورين بالعلم، والزهد، والتعبد، والجهاد، ومن بينهم عدد وافر من الصحابيات العابدات، اللائي اشتركن في جملة من الغزوات، بما تيسر من مشاركة مناسبة، كالسقي، والتمريض، والنقل، والأعمال الإدارية، مع المشاركة الفعلية في القتال أحياناً، وقد شاركت جملة من أمهات المؤمنين في بعض هذه الغزوات، بصحبة النبي ﷺ.

هذان مثلان لرجلين، من هؤلاء الرجال، فأحدهما وهو يصب ماء الوضوء لنبي لله، فيسأله أن يسأل ما يتمنى، فلا يكون جوابه إلا :(أسألك مرافقتك في الجنة)، قال له عليه الصلاة والسلام :(أو غير ذلك) ؟ فأكد ما طلبه أولاً، فقال عليه الصلاة والسلام : (فأعني على نفسك بكثرة السجود، والمثل الثاني لعمير بن الحمام، وقد بلغ به الشوق مداه لدار الخلد، لما سمع النبي ﷺ يحض على القتال، ويبشر الشهداء، فما كان منه إلا أن سارع إلى مبتغاه، وهو يلقي، بتمرات كن معه قائلاً:(لئن أنا عشت حتى آكلهن إنها لحياة طويلة)، إذن فالجهاد في سبيل الله إقتداء بالرسول الكريم وتشبه بالرعيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم جميعا، وطلب لمرضاة الله سبحانه وتعالى وسعيا لنيل الشهادة.

ولقد كان عبدالله بن مبارك مجاهداً في صفوف المسلمين ضد الروم وبذلك يصحح مفاهيم خاطئة انتشرت عن زهاد المسلمين بأنهم يفصلون الدين عن الحياة وهي مفاهيم ساعد المستشرقون على نشرها فقد كانوا يظنون أن زهاد المسلمين مشابهين لرهبان المسيحية المعتزلين الحياة، وكان عبدالله ممن يعدون الجهاد أفضل عبادة وأروعها وأعظمهما حتى من نسك النساك، وهنا يقدم لنا عبدالله وثيقة شعرية ظريفة أرسلها وهو بطرسوس إلى الفضيل ابن عياض الناسك المشهور عام ١٧٧هـ، يقول فيها:

يا عابدَ الحرمين لو أبصرتنا لعلمتَ أنك في العبادة تلعبُ

من كان يَخْضِبُ جِيدَه بدموعهِ فنُحورُنا بدمائنا تتخضَّبُ

أو كان يُتْعب خيْله في باطلٍ   فخيولنا يوم الصبيحة تَتْعَبُ

ريحُ العبيرِ لكم ونحن عبيرُنا   وَهَجُ السَّنابكِ والغبارُ الأطيبُ

ولقد أتانا من مقالِ نبيّنا   قولٌ صحيحٌ صادقٌ لا يكذبُ

لا يستوي غبارُ خيل اللَه في   أنف امرىءٍ ودخانُ نارٍ تلهبُ

هذا كتابُ اللَه ينطق بينَنا   ليس الشهيدُ بمَيّتٍ لا يكذبُ

وقوله أيضا:

أيّها القارئُ الذي لبسَ الصو   فَ وأضحى يُعَد في العُبّاد

الزمِ الثغر والعبُّدَ فيه   فليسَ بغدادُ موضعَ الزُهاد

إنّ بغدادَ للملوكِ محل   ومناخٌ للقارىءِ الصيّاد

المبحث الثالث

موضوعات عبد الله بن المبارك الزهدية

المطلب الأول

الحث على التقوى والتزود للآخرة

إن خير زاد يتأهبُ بهِ الإنسان قبل رحيله عن عالم الأحياء هو التقوى والتقوى في اللغة بمعنى الاتقاء، إي إتخاذ الوقاية، وعند أهل الحقيقة: هو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعلٍ أو ترك، والتقوى في الطاعة يرادُ بهِ الإخلاص وفي المعصية يراد بهِ الترك والحذر وهو أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى ، وقيل مجانبة كل ما يبعدك عن الله،[1] وتقوى الله وطاعته ولزومُ أوامره وكثرةُ مخافته، فالتقوى فضيلة أراد بها القرآن أحكام ما بين الإنسان والخلق وأحكام ما بين الانسان وخالقهِ لذلك تدور هذه الكلمة ومشتقاتها في أكثر آياته الأخلاقية والاجتماعية[2].

أكد القران الكريم معنى التقوى حتى وجدنا الشعراء يتأثرون بالجو القرآني الذي رسم حدود التقوى في آياته المحكمات، فهذا سفيان الثوري يشير إلى هذا الخلق العظيم بقوله:

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التُقى ... ولاقيت قبل الموتِ من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله ... وانك لم ترصد لما كان أرصدا[3]

---

[1]/ أنظر التعريفات، لابي الحسن الحسني الجرجاني، تحقيق د.أحمد مطلوب، ط دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م: (٤١)، والتعرف بمبدا أهل التصوف ابو بكر محمد الكلاباذي (ت٣٨٠هـ) حققه د.عبد الحليم محمود، محمد بن ابراهيم البخاري ، طه عبد الباقي سرور : القاهرة ، ١٩٦٠: (٩٨).

[2]/ اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ط٩، ١٩٧٣: (١٠٨).

[3]/ حلية الاولياء وطبقات الاصفياء: ٢٧٣/٦.

فلقد استمد هذا الزاهد المضمون من قولهِ عز من قائل: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الألْبَابِ}[1].

وغدا لهذا الزادِ لذة عند هؤلاء الشعراء تفوق اللذة المادية ولهذا وجدنا عبد الله بن المبارك يجعله يفوق لذة الخمر التي عُرِف بها من سعى خلف سراب العمر (الزمن) فنراه يقول:

تـنعم قـومٍ بالعبـاد والتقـى ألـذُ النعـيم لا اللـذاذةُ بـالخمرِ

فقـرت بـه طـول الحيـاةِ عيـونهم وكانـت لهـم والله زاداً إلى القبِـر

علـى برهـةٍ نـالوا بهـا العـز والتقـى ألا ولذيـذ العـيشِ بـالبرَ والصـبرِ[2]

ومنبعُ هذه الفكرة في الشطر الثاني من البيت الثاني من قوله تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الألْبَابِ}[3]، ويقول أيضا في المعنى ذاته:

أيـا رَبُ يـا ذا العـرش انـت رحـيمُ وانـت بمـا تخفـي الصـدور عليـمُ

فيـارَبُ هـب لـي منـك حلمـاً فـإنني أرى الحلـم لم ينـدم عليـه حليـمُ

ويـارب هـب لـي فيـك عزمـاً علـى التقـى أقـيمُ بـهِ في النـاس حيـثُ أُقيـمُ

ألا إن تقـوى الله أكـرمُ نسـبةٍ يسـامي بهـا عنـد الفخَـار كريـمُ[4]

---

[1]/ سورة البقرة: الآية ١٩٧.

[2]/ ديوان الامام عبد الله بن المبارك،ص٥٠ .

[3]/ سورة البقرة: آية ١٩٧.

[4]/ ديوان الامام عبد الله بن المبارك، ص٥٩، ووجدتها في ديوان أبي العتاهية، ص٣٤٧.

فلقد أثار الشاعر مسألة اعتماد التقوى أساسا يتفاضل به الكريم بين الناس، فالإنسان ليس بمخلدٍ في هذه الحياة الفانية فلا يبقى به إلا عمله الصالح بتقوى الله والرضا بما لديه يغنيه عن مالٍ يكسبه أو حسب يطلبه أو نسب يفتخرُ به لقوله تعالى: {يَـأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَيكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[1]، وقد رُئي على قبره مكتوباً:

الموت بحرٌ طافحٌ موجُهُ … يذهب فيه حبله السابحُ

يا نفس إني قائل فاسمعي … مقالةً من مشفقٍ ناصحُ

لا ينفعُ الانسانَ في قبرهِ … إلا التُقى والعملُ الصالحُ

[1]/ سورة الحجرات: آية ١٣.

المطلب الثاني

وصف مشاهد القيامة

من الموضوعات الأخرى التي تناولها شعراء الزهد في العصر العباسي بعد التذكير بالموت والحديث عنه هو ذكرُ يوم القيامة ومشاهدها وما سيناله الانسان بعد بعثه جزاء ما قدمت يداه من خيرٍ وشر والذي قال عنه الخالق جل في علاه: {يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا}[1]، لقد كان للتصوير الفني لمشاهد القيامة التي جاء بها القران الكريم أثرٌ عميق في نفوس الزهاد والمتصوفة فصوروا ذلك المشهد العظيم وهو يبدأ بنفخة الصور نفخةً تفزع النفس، ولقد أجاد الإمام عبد الله بن المبارك[2]، في وصف القيامة فقال:

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم	**أو إستلذوا لذيذ النوم أو هجعوا**
والموت ينذرهم جهراً علانية	**لو كان للقومِ أسماعٌ لقد سمعوا**
والنارُ ضاحيةٌ لا بُدَّ موردهم	**وليس يدرون من ينجو ومن يقعُ**
قد أمست الطير والانعام آمنة	**والنون في البحر لم يخشَ لها فزع**
والادميُ بهذا الكسبِ مرتهنٌ	**لهُ رَقيبٌ على الإسرار يطّلعُ**
حتى يوافيه يوم الجمعِ منفرداً	**وخصمه الجلدُ والأبصار والسمعُ**
إذا النبيون والأشهادُ قائمةٌ	**والإنس والجنُّ والأملاك قد خشعوا**[3]

---

[1]/ سورة النبأ: آية ٤٠.

[2]/ هو مولى بني تميم ثم لبني حنيفة مروزي وكنيته أبو عبد الرحمن وكان يقول الزاهد الذي اذا أصاب الدنيا لم يفرح واذا فاتته لم يحزن توفي ابن المبارك منصرفاً من الغزو في سفينة فدفن بهيت في رمضان سنة احدى وثمانين ومائة. ترتيب المدارك: (٣٠٠ - ٣٠٩) وصفوة الصفوة لابي الفرج بن الجوزي (ت٥٩٧هـ) حققه وعلق عليه محمود فاخوري دار الوعي بحلب، ط١ ، ١٣٩٣هـ: ١٣٤/٤ – ١٤٧. والبداية والنهاية: ١٠/ ١٨٤ – ١٨٥.

٣/ ديوان الامام عبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ) جمع وتحقيق ودراسة د. مجاهد مصطفى بهجت، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر، بغداد ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص٥٣.

فقد استعمل الشاعر عبارة (والنار ضاحية لابد موردهم) اشارة الى قوله جلَّ شأنه: {وَإِن مِّنكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا}[1] .

فقد خطط الشاعر مشاهد هذا اليوم العظيم بما استوحاه وفهمه من القرآن الكريم حيث النبيون والاشهاد قائمة والانس والجنُّ قد خشعوا والموت قد شخص ينذر جهراً وعلناً ففي هذا اليوم العظيم أي بعد موت الناس وبعثهم يوم القيامة يجازي الله كل نفس بما عملت في دنياها يقول ابو العتاهية في مقطوعة له:

فمـــا مُـــوِّتَ الأحيـــاءُ إلا لِيُبعَثُـــوا   وإلا لتجـــزى كُـــلُّ نَفْـــسٍ بمـــا سَـــعَت[2]

فالمعنى مأخوذ من قوله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ}[3]، وقوله تعالى: {فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[4]، كما إن احدى تسميات الآخرة عند هذا الشاعر هو دار الثواب، ويقول:

وموعـــدُ كـــلِ ذي عمـــلٍ وسعـــيٍ   بمـــا أســـدى غـــداً دار الثـــواب
همُـــا أمـــران يُوضِـــحُ عنهمـــا لـــي   كتـــابي حـــين انظـــرُ في كتـــابي
فإمـــا أنْ أخَلَّـــدَ في نعيـــمٍ   وإمـــا أن أخلّـــدَ في عـــذاب[5]

ففي هذه الأبيات إشارة الى قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الايَّامِ الْخَالِيَةِ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ

---

[1]/ سورة مريم: آية ٧١.

[2]/ أبو العتاهية اشعاره واخباره: آية ٧٠.

[3]/ سورة آل عمران: آية ٢٥.

[4]/ سورة يس: آية ٥٤.

[5]/ ابو العتاهية أشعاره واخباره: ٣٤.

بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ}[١]، وقوله: {اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}[٢]، ويقول الشاعر ايضاً:

قد سمعنا الوعظ لو ينفعنا وقرأنا جُلَّ آيات الكتبْ

كُلُّ نفسٍ ستوفى سَعيها ولها ميقاتُ يومٍ قد وَجَبْ

جفتِ الاقلامُ من قَبلُ بما ختم الله علينا وكتب[٣]

فالمعنى في هذه الابيات مأخوذ من قوله تعالى: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا}[٤]، وقوله: {وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ بمَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ}[٥]، ويقول الشاعر ايضاً:

حتى متى يستفزني الطمع أليسَ لي بالكفاف متّسعُ

لله دَرُّ الدُّنيا لقد لعبت قبلي بقومٍ فما تُرى صنعوا

بادوا ووفتهم الاهلّةُ ما كان لهم والايامُ والجُمَعُ

وكان ما قَدَّموا لانفسهم أعظم نفعاً من الذي وَدَعوا

غداً ينادى من في القبور الى هولِ حسابٍ عليه يُجتَّمَعُ

غداً توفى النفوس ما كسبت ويحصدُ الزارعون ما زرعوا[٦]

ففي الشطر الاول من البيت الاخير اشارة الى قوله تعالى: {وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُون فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ}[٧]، وفي الشطر الرابع اشارة الى قوله تعالى: {وَمَا تُقَدِّمُوا لانفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ

---

[١]/ سورة الحاقة الايات من ١٩ - ٢٥.

[٢]/ سورة الاسراء: آية ١٤.

[٣]/ ابو العتاهية: ٢٩.

[٤]/ سورة النبأ: آية ٧.

[٥]/ سورة البقرة: آية ٢٨١.

[٦]/ ابو العتاهية اشعاره واخباره: ص ٢٣١.

[٧]/ سورة البقرة: آية ٢٨١.

أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[1]، كما ذكر الله ذلك في كتابه والله لا يخلف الميعاد، ومن هنا وجدنا الشاعر ينظر الى الدنيا نظرة ازدراء فمصيرها الزوال وإن الله سينسفها نسفاً فيقول:

ومـــا الـــدنيا بباقيـــة ســـتنزحُ ثـــم تنتســـف
وقـــول الله ذاك لنـــا ولـــيس لقولـــهِ خلـــف[2]

وحين يلتفت الشاعر ويتطلع الى هول هذا اليوم نجده يخاطب نفسه ب:

أيـــا نفـــس لا تنســـي كتابـــكِ واذكـــري لـــك الويـــل إن اعطيتـــه بشـــمالك[3]

ويقيناً ان الشاعر استمد ذلك من قوله تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَبِيهْ}[4].

ويعد يوم القيامة من الايام العظيمة عند الله سبحانه وتعالى حيث الباري جل شأنه عنه بما يناسبه من مسميات كيوم البعث والنشور ويوم التغابن ويوم الحشر ويوم الوعيد ويوم التلاقي ويوم الفصل ويوم الحساب ويوم التنادي ويوم يقوم الاشهاد ويوم الحسرة ويوم الازمة ويوم الجمع ويوم الدين واليوم الموعود، ومما جاء في تسميات القيامة عند أبي العتاهية يوم الحشر في قوله:

اذكـــر معـــادك أفضـــل الذكـــر لا تـــنسَ يـــوم صـــبيحةَ الحَشْـــرِ
يـــومُ الكرامـــة لـــلالى صبـــروا والخـــيرُ عنـــد عواقـــبِ الصبـــرِ
في كـــل مـــا تلتَـــذُّ أنفسهـــم أنهـــا رُهُـــم مـــن تحـــتهم تجـــري[5]

فلقد استقى ابو العتاهية من قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الانْهَرُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}[6]، وقوله: {قُلْ يَعِبَادِ الَّذِينَ

---

[1] / سورة المزمل، آية ٢٠.
[2] / ابو العتاهية أشعاره وأخباره، ٢٤٣.
[3] / المصدر نفسه، ص ٢٧٢.
[4] / سورة الحاقة: آية ٢٥.
[5] / ابو العتاهية اشعاره واخباره: ص١٧٢.
[6] / سورة محمد: آية ١٢.

آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ}[1]، وقوله ايضاً: {أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الانْهَرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ}[2].

إن الصيغ الشعرية التي قامت بنقل مثل هذه المعاني تدل على ان الشاعر قد تأثر بآي القران الكريم فتسلل اليه هذ التأثر بطريقتين: اما بتضمين المعنى كما ورد أو بالنقل الحرفي لبعض مقاطع الايات المحكمات كما ورد عند ابي العتاهية حين جاء بصيغٍ مثل:

ليت شعري وكيف حالك يا نفس غداً بين سائق وشهيد[3]

وقوله:

غداً توفى النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا[4]

وقوله:

كلُّ نفسٍ ستوفّى سعيها ولها ميقاتُ يومٍ قد وجب[5]

ويمضي ابن الرومي[6]، في وصفِ هذا اليوم المهول الذي يشيب له الولدان فيقول:

تَشَيْبَنَ حين همَّ بأن يشيبا لقد غلط الفتى غلطاً عجيباً

ألا لله من خطبٍ سيمضي له الولدان من شيبان شيبا[1]

---

[1]/ سورة الزمر: آية ١٠.

[2]/ سورة الكهف: آية ٣١.

[3]/ تنظر سورة ق: آية ٢١. ابو العتاهية أشعاره وأخباره: ص١٢٣.

[4]/ تنظرسورة المزمل: آية ٢٠. المصدر نفسه: ص٢٣١.

[5]/ تنظر سورة النبأ: آية ٧. المصدر نفسه: ص٢٩.

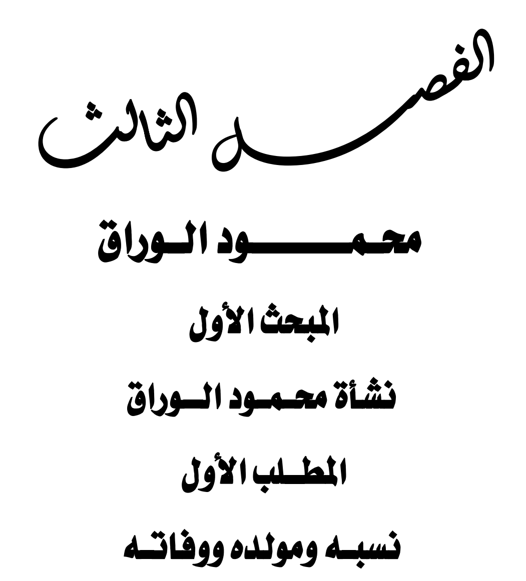
[6]/ هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريح، وقيل جورجيس المعروف بأبن الرومي مولى عبيد الله بن عيسى بن جعفر المنصور الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب توفي سنة ٢٨٣هـ. ووفيات الاعيان لابن خلكان (ت٦٨١هـ) تحقيق د. احسان عباس دار الثقافة بيروت لبنان (د.ت): ٣/ ٣٥٨.

ففي البيت الاخير إشارة الى معنى قوله تعالى: {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا}[2]، وهكذا وجدنا الصورة الفنية ليوم البعث وما تحمل من معانٍ تتكرر عند شعراء معتمدةً الاجواء القرانية التي تصور هذا المشهد وتخطط جوانبه، والحقيقة ان هذه الصور كانت بمثابة محطة تحذير لاولئك الذين جروا وراء السراب (الحياة).

---

[1]/ ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار، القاهرة ، مطبعة دار الكتاب ١٩٧٦: ٢٩٩/١. تشيبن: أي أدعى أنه من قبيلة شيبان، حين هم بأن يشيبا: حين قارب المشيب الذي يشيب بسببه الشبان من قبيلة شيبان

[2]/ سورة المزمل: آية ١٧.



محمـــــود الـوراق

المبحث الأول

نشأة محـمـود الـوراق

المطـلب الأول

نسبـه ومولده ووفاتـه

هو محمود بن الحسن[1] ولا يعرف له أبعد من هذا النسب، وهو من الموالى فقد روى أنه مولى بني زهرة[2]، وكما لم يعرف له نسب ولا أسرة كذلك لم تعرف من أنباء نشأته الأولى سوى أنه شاعر عراقي بغدادي، ولم يخالف ذلك إلا العميدي صاحب الإبانة فذكر أنه كوفي، والأشهر والراجح أنه بغدادي، ولعله كان يأتى الكوفة كثيرا فعلق به لقب الكوفي لأن ما يقوله العميدي دقيقا، وكان الوراق يكنى بأبي الحسن ولانعرف إن كان له حقا ولد يسمي الحسن، أم أنها كنية أتته من أسم أبيه؛ إذ ليس بين أيدينا شيء عن هذا الولد.

وله لقبان الأول الوراق[3] وتعنى الناسخ بالأجرة[4] وهى من المهن المعروفة في عصره وربما يكون قد عمل بها حقبة من الزمن ليست بالطويلة ثم انتقل إلى غيرها لأننا لم نعثر على اليسير من أخباره أبان عمله وراقا إلا أن اسمها التصق به ولم يفارقه طيلة

---

[1]/ ويروي الحسين، وهي رواية شاذة.

[2]/ ديوان محمود الوراق، جمع ودراسة وتحقيق د. وليد قصاب، ط٢ سنة ٢٠٠٤م، ص١٥.

[3]/ ورجل مُورقٌ ووَرَّاق: صاحب وَرَقٍ؛ قال أحد الشعراء:

يا رُبَّ بَيْضاءَ من العِرَاقِ، تأْكل من كِيس امْرئ وَرَّاقِ

[4]/ لسان العرب، م٨، ص٥٨٨.

حياته أما القب الثاني فهو النخاس[1] أي بائع الرقيق[2] وهي مهنة تدر ربحا وفيرا في ذلك الزمن وهي المهنة التى استقر عليها، وله عدد من الرقيق أشتهرت منهم جاريتان هما سكن ونشوى فأما سكن فقد كانت حسناء جميلة أديبة ظريفة، وقد وصفها الحسن العلوي بقوله: (كانت سكن جارية محمود الوراق من أحسن خلق الله وجها، وأكثرهم أدبا، وأطيبهم غناء، وكانت تقول الشعر فتأتي بالمعاني الجياد والألفاظ الحسان)[3]، وقد كان محبوب من جل جواريه لما روى من حسن خلقه ولطف حديثه وحلو عشرته إلا أنه أصفى سكن ونشوى التى ماتت مبكرا فحزن عليها أشد الحزن ورثاها بشعر رقيق قال فيه:

لعمري لئن غال صرف الزمان نشوى لقد غال نفسا حبيبه

ولكن علمي بما في الثواب عند المصيبة ينسي المصيبه

أما سكن فقد ظلت معه إلا أن مات، رغم أنه قد عرض عليها أن يبيعها ليوفر لها رغد العيش بعد ان افتقر ورق حاله فرفضت ورضيت الفقر معه، فرق لها وحررها وأصدقها داره وهى كل ما يملك آنذاك[4]، ومما يذكر أن المعتصم دفع في إحدى جوارى الوراق سبعة آلاف دينار فأبي، فاشتراها من ميراث الوراق بسبعمائة دينار، وعندما أدخلت عليه ذكر لها ذلك فقالت: يا أمير المؤمنين إذا كانت الخلفاء تتربص بلذتها المواريث فسنشترى بأرخص مما اشتريت فأفحمته[5].

يجهل الجميع سنة ميلاد الوراق ووفاته والراجح أنه توفي في خلافة المعتصم سنة٢٢٧هـ؛ وينفرد ابن عبد ربه في رواية قصة شراء المتوكل لاحدى جواري الوراق

---

[1] / النَّخَّاسُ: بائع الدواب، سمي بذلك، لنَخْسِه إياها حتى تَنْشَط، وحِرْفته النِّخاسة والنَّخاسة، وقد يسمى بائعُ الرقيق نَخَّاساً، والأَول هو الأصل.

[2] / لسان العرب، م٨، ص٥٨٨.

[3] / طبقات الشعراء، لابن المعتز، تحقيق عبد الستار فراج ط٢، ص٣٦٧.

[4] / طبقات الشعراء، لابن المعتز، ص٦٢٨.

[5] / التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، ص٦٢٨.

بعد وفاته وهي تفيد أن وفاته في خلافة المتوكل التى تولاها سنة٢٣٢هـ[١]، لكن القصة تذكرها المصادر الأخرى مع المعتصم، أما الزركلي فقد جعل وفاته سنة ٢٢٥هـ[٢]، ويرى الباحث أن هذا أصح الأقوال لموافقة التأريخ خلافة المعتصم التى اتفق المؤرخون على أن وفاة الوراق كانت فيها.

إن المتامل في شعر الوراق يجد ما يفيد أن عمره قد تجاوز السبعين وبلغ الثمانين في نحو قوله:

مني السلام على الدنيا وبهجتها ... فقد نعاها إلى الشيب والكبر

لم يبق لى لذة إلا التعجب من ... صرف الزمان ومايأتى به القدر

إحدى وسبعون لو مرت على حجر ... لكان من حكمه أن يخلق الحجر

وقوله أيضا :

وما صاحب السبعين والعشر بعدها ... بأقرب ممن حنكته القوابل

ولكن آمالا يؤملها الفتى ... وفيهن للرجلين حق وباطل

---

[١]/ المرجع السابق.

[٢]/ الأعلام

المطلب الثاني

أرآء القدماء في شعر الوراق

حظي شعر الوراق عند القدماء، وفطنوا إلى تميز شعره بالحكمة والزهديات وأشادوا بشاعريته وفصاحته، وأشاروا إلى إكثاره إصابته دقيق المعاني بيسر وسلاسة لا تتأتى إلا لشاعر مطبوع، فحفظوا له حقه في كتبهم وأقولهم، كقول ابن المعتز[١] (شعر محمود الوراق كثير، وأكثره أمثال وحكم وموعظ وأدب، وليس يقصر بهذا الفن عن صالح بن عبد القدوس، وسابق البربري)[٢]، وقال عنه البكري[٣] (شاعر كثير الشعر جيده، وعامته في الحكم والمواعظ والزهد)[٤]، وقال عنه الخطيب البغدادي[٥] (

---

[١]/ وهو عبد الله ابن المعتز بالله الخليفة العباسي وكنيته أبو العباس، ولد عام ٢٤٧) هـ، ٨٦١م(، في بغداد، وكان أديبا وشاعرا ويسمى خليفة يوم وليلة، حيث آلت الخلافة العباسية إليه، ولقب بالمرتضي بالله، ولم يلبث يوما واحدا حتى هجم عليه غلمان المقتدر وقتلوه في عام ٢٩٦) هـ،٩٠٩م(، وأخذ الخلافة من بعده المقتدر بالله .رثاه الكثير من شعراء العرب.

[٢]/ ديوان محمود الوراق، ص١٤.

[٣]/ أبو عبيد البكري هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي الأونبي، نسبة إلى بكر بن وائل . ١٠١٤)م ٤٠٤ هـ١٠٩٤– م ٤٨٧ هـ (أديب وجغرافي ومؤرخ ونباتيّ (عالم نبات). وهو أول الجغرافيين المسلمين في الأندلس .قيل إن ملوك الأندلس كانوا يتهادون كتبه. يعتبر أبو عبيد البكري، أكبر جغرافي أنجبته الأندلس، فقد ألّف كتابين جليلين في الجغرافية أوّلهما" معجم ما استعجم "أورد فيه جملة مما ورد في الحديث والأخبار، والتواريخ والأشعار، من المنازل والديار، والقرى والأمصار، والجبال والآثار، والمياه والآبار، والدارات والحرار، منسوبة محدودة، ومبوّبة على حروف المعجم مقيّدة ؛ أما كتابه الثاني فهو "المسالك والممالك" وصف جغرافية الأندلس وأوروبا، وإفريقيا الشمالية. وله في علم النبات: كتاب أعيان النبات والشّجريّات الأندلسية.

[٤]/ ديوان محمود الوراق، ص١٤.

[٥]/ أحمد بن عبدالمجيد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي ٢٤)جمادى الثاني ٣٩٢ هـ ١٠ = مايو ١٠٠٢م ٤٦٣ - هـ١٠٦٩=م (مؤرخ عربي. له مصنفات كثيرة تبلغ ستة وخمسون مصنفا، ومن أشهر مؤلفاته هي كتابه تأريخ بغداد الذي جمع فيه ترجمة العلماء الذين عاشوا فيها حتى أواسط القرن الخامس الهجري. قام العديد من الكتاب بعده باقتفاء أثره وتأليف كتب مشابهة لهذا الكتاب ككتاب تاريخ دمشق لابن عساكر وبغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم.ولد أحمد بن علي بن ثابت في غزية من قرى الحجاز يوم الخميس الموافق ٢٤جمادى الثاني ٣٩٢ هـ، ونشأ في درزيجان، وهي قرية تقع جنوب غرب بغداد .كان أبوه خطيب وإمام درزيجان لمدة عشرين عاما.

أكثر القول في الزهد والأدب)[1]، وقال الثعالبي[2](محمود بن الحسن الوراق، شاعر مشهور، أكثر شعره في المواعظ والحكم)[3]، وروى الياقوتى أن أبو سعيد السيرفي كان كثير ماينشد مقطعات محمود في الشيب، ويبكى عليها[4]، وأثنى عليه الذهبي[5] بقوله: (خير شاعر مجود، سائر النظم في المواعظ)[6]، وأشاد القيرواني[7] بسعة علمه واطلاعه على الثقافات المختلفة في قوله: (كان كثيرا ما ينقل أخبار الماضين، وحكم المتقدمين، فيحلى بها نظامه، ويزين بها كلامه)[8]

---

[1]/ ديوان محمود الوراق، ص١٤.

[2]/ عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي(٣٥٠ - ٤٢٩ هـ، ٩٦١ - ١٠٣٨م)، أديب ولغوي وناقد وصاحب الكتاب الشهير يتيمة الدهر. وُلِد في نيسابور. وهو غير الثعالبي أبو زيد عبد الرحمن كان فرّاءً يخيط جلود الثعالب فنُسب إلى صناعته، ثم انتقل من حياكة الفراء إلى دراسة اللغة والأدب والتاريخ فنبغ واشتهر

[3]/ ديوان محمود الوراق، ص١٤.

[4]/ المرجع السابق، ص١٦

[5]/ ولد أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي بمدينة دمشق في ربيع الآخر ٦٧٣هـ الموافق لشهر أكتوبر ١٢٧٤م .نشأ في أسرة كريمة تركمانية الأصل[بحاجة لمصدر]، يعمل والده في صناعة الذهب، فبرع فيه وتميز حتى عُرف بالذهبي، وكان رجلا صالحًا محبًا للعلم، فعني بتربية ولده وتنشئته على حب العلم .وكان كثير من أفراد عائلته لهم انشغال بالعلم، فشب الوليد يتنسم عبق العلم في كل ركن من أركان بيته؛ فعمته ست الأهل بنت عثمان لها رواية في الحديث، وخاله علي بن سنجر، وزوج خالته من أهل الحديث.وفي سن مبكرة انضم إلى حلقات تحفيظ القرآن الكريم حتى حفظه وأتقن تلاوته

[6]/ سير أعلام النبلاء، لالإمام، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الحادية عشر ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، تحقيق مأمون صاغرجي - علي أبو زيد - نذير حمدان - كامل الخراط - صالح السمر، ص٣٨٩.

[7]/ هو إبراهيم بن علي بن تميم الانصاري، أبو إسحاق الحصري. أديب وناقد وشاعر .من أهل القيروان. نسبته إلى عمل الحصر. له كتاب (زهر الآداب وثمر الالباب) ومختصره هو نور الطرف ونور الظرف، و (المصون في سر الهوى المكنون) و(جمع الجواهر في الملح والنوادر) وله شعر فيه رقة، وهو ابن خالة الشاعر أبي الحسن الحصري ناظم (يا ليل الصب)، نشر كتابه" زهر الآداب وثمر الألباب" بتحقيق زكي مبارك، وللكتاب قيمة أدبية فريدة لأن الحصري جمع فيه كل غريبة.

[8]/ ديوان محمود الوراق، ص١٥.

المبحث الثاني

موضوعات محمود الوراق الزهدية

المطلب الأول

القناعة والرضى بالمقسوم

القناعة جزء من الرضا بقضاء الله وقدره والقناعة خلق رفيع[1]، يقول عبد الله بن المبارك:

كم من وضيعٍ به قد ارتفعا   لله در القنوع من خلقٍ

ومن تأسى بدونه اتسعا[2]   يضيق صدر الفتى بحاجته

فالحرص لا يغني شيئاً هذا ما نراه عند محمود الوراق حيث يقول:

والحرص يورث ذا الغنى فقرا[3]   إن القناعة ما علمت غنى

فالغنى يكون في قناعة النفس يقول القاسم بن يوسف:

وقوت النفس يكفيها   قنوع النفس يغنيها

فما شيءٌ بمرضيهتي الموت يلاقيها   وإن لم يرضها القوت

ففي هذه الابيات يتحقق معنى الزهد الذي هو كما ذكرنا سابقاً القناعة ففيها الغنى. كما ينصح الشاعر احمد بن ابي فنن[4]، بالزهد عن الدنيا والقناعة عما في أيدي الناس فيقول:

سأكتم حاجتي من الناس كلهم   ولكنها لله تبدو وتظهرُ

لمن لم يردُ السائلين بخيبةٍ   ويدنو من الراعي فيعطي ويكثرُ

١/ فقد روي عن التبي انه قال: (قد افلح من اسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما اتاه)، والكفاف: الكفاية بلا زيادة ولا نقص. صحيح مسلم، ج٣، ص٩٣.

٢/ ديوان الامام عبد الله بن المبارك، ص٥٢.

٣/ ديوان محمود الوراق، ص٨١.

٥/ احمد بن ابي فنن هو احمد بن صالح وكنيته صالح ابو فنن ابن ابي معشر كان يظهر القناعة ويبدو ان هذه القناعة جاءته من وقوفه على سيرة سواه من الرجال توفي سنة ٢٧٨هـ تاريخ بغداد، ج ٨، ص٢٤٩.

فالصبر على الفقر بالهمة العالية والارادة الصلبة لاحتمال تبعاتهِ وأذاه وآلامه تحقيقاً لقول الباري عز وجل: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الامَوَالِ وَالانفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}[1]، ومن ثم رضا الانسان بقضاء الله وتقديره الرزق بين عبادهِ فالصبر على قدر يسيرٍ من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشَرَه[2].

المطلب الثاني

التوبة والإنابة

التوبة هي الرجوع الى الله بحل عقدة الاصرار عن القلب ثم القيام بكل حقوق الرب وقيل التوبة في اللغة الرجوع عن الذنب وكذلك التوب قال تعالى: {غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ}[3]، وقيل التوب جمع توبة والتوبة في الشرع الرجوع عن الافعال المذمومة الى الممدوحة وهي واجبة على الفور عند عامة العلماء وقيل التوبة الاعتراف والندم والاقلاع والتوبة على ثلاثة معانٍ اولها الندم والثاني العزم على ترك العود الى ما نهى الله عنه والثالث السعي في اداء المظالم[4].

تعد التوبة من الاخلاق الاسلامية التي دعا إليها ديننا الاسلامي الحنيف وعموده القرآن الكريم، فلقد إرتبطت التوبة بصفات المسلمين العائدين الى رحاب الرحمة الالهية من أخطاء أو ذنوب إرتكبوها في لحظاتٍ من الضعف أو النسيان أو اللهو أو السهو لكن هذه اللحظات لا تنتهي بالسقوط دائماً فهي تعود إلى رشدها ووعيها ويكبح جماحها فإذا أصيبت بالضعف والانهيار والاستسلام لنداء الهوى فهي لا تبقى على حالها ولا يقر لها قرار حتى تعود وتثوب الى وعيها ورشدها وتنتهي الى

٢/ سورة البقرة: الآية ١٥٥ -١٥٦.

٣/ إحياء علوم الدين، ج٤، ص٥٨.

٣/ سورة غافر، آية ٣.

٤/ التعريفات، ص ٤٨ -٤٩، والمحيط في الغة، ج٩، ص٤٧٣.

التوبة النصوح وهي توثيق العزم على أن لايعود لمثله قال بن عباس رضي الله عنه التوبة النصوح الندم بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع بالبدن والاضمار على أن لا يعود لمثله. وقيل التوبة النصوح ان لايبقى على عمله اثراً من المعصية سراً وجهراً وقيل هي ان تورث صاحبها الفلاح عاجلا وآجلا[1].

في هذا المعنى يحث الشاعر العباسي أبو نواس نفسه العاصية الى التوبة قبل فوات الاوان وقبل أن لا ينفع الندم فالباري جل شأنه هو وحده غافر الذنب قابل التوب فهو لا يرضى أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، يقول الشاعر:

يـــــا نفـــــسُ تــــوبي قبـــــل أن لا تســــــــتطيعي أن تتـــــــوبي

واســــــتغفري لـــــذنوبك الـــــــ ــــــرحمن غفـــــار الـــــذنوبِ[2]

فالخالق جل في علاه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وبابه مفتوح لا يغلق فهو يحبُ العبد التائب وفي هذا المعنى يقول جل شأنه: {إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}[3]، فلقد استقى المعنى من قول الباري عز وجل، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الانْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[4].

إن أبا نواس هنا يقف موقف الواعظ لنفسه حاثاً لها على التوبة قبل فوات الاوان وان تطلب الغفران من غافر الذنب قابل التوب لان رحمته وسعت كل شيء رحمةً وعلماً فهو يغفر للذين تابوا واتبعوا سبيله ويقيهم عذاب الجحيم، فهو يأمل في عفو الله

[1]/ أنظر الاتجاه الاسلامي في الشعر الاندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين، منجد مصطفى بهجت، مؤسسة الرسالة، ط١ بيروت ١٩٨٦م، ص٤٠٩.

[2]/ ديوان أبي نواس، ص٦١٦.

[3]/ سورة الفرقان : آية ٧٠.

[4]/ سورة التحريم : آية ٨.

وصفحه فأخذ يناجي الله جل شأنه ويتضرع إليه آملا أن يغفر له وأن يقبل إلتجاءهُ إليه فهو يقول:

يا ربُّ إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظمُ

إن كان لا يرجوك إلا محسنٌ فبمن يلوذ ويستجير المجرمُ

أدعوكَ ربي كما أمرت تضرعاً فإذا رددْت يدي فمن ذا يرحمُ

ما لي إليك وسيلةٌ إلا الرجا وجميل عفوك ثم إني مسلمُ [١]

فالبيت الثالث ملتمس من قول الباري جل شأنه: {ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [٢]، وقوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [٣]، وقوله: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين} [٤]. أما قوله في الشطر الاخير من المقطوعة (ثم إني مسلم) فهو يؤكد فيه انه لم يفارق عقيدة الدين الاسلامي وهي التوحيد ولم يشرك بالله تعالى فهو يأمل في مغفرة الباري فنراه يقول:

أيا من ليسَ لي منه مجير بعفوك من عذابك أستجير

أنا العبدُ المُقرُ بكلِّ ذنبٍ وأنت السيد المولى الغفور

فإن عذبتني فبسوءِ فعلي وإن تغفر فانت به جدير

أفرُّ إليك منك وأين إلا إليك يفرُّ منك المستجير [٥]

فالشاعر لم يصرح بذنبه الذي إرتكبه وإن كان قد أقر بإقترافه له وندمه عليه فهو يأمل بالغفران الذي يرتجيه لزلاته والرحمة التي وسعت ذنوبه كلها والعفو الذي

١/ ديوان ابي نواس، ص ٦١٨.

٢/ سورة الاعراف، ص ٥٥.

٣/ سورة البقرة، ص ١٨٦.

٤/ سورة غافر، ص٦٠.

٥/ زهديات ابي نواس تحقيق د. علي الزبيدي، مطبعة كوستاتسوماس، القاهرة ١٩٥٩م، ص ٧٨.

تعهد به الباري عباده التائبين، لقوله تعالى، {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُون}[1]، وقال أبو العتاهية:

خانـــــك الطـــــرف الطمـــــوح أيهـــــا القلـــــبُ الجمـــــوحُ

لـــــدواعي الخـــــير و الشـــــرِّ دنـــــوٌّ ونـــــزوحُ

هـــــل لمطلـــــوبٍ بذنـــــبٍ توبـــــةٌ منـــــه نصـــــوحُ

لتموتـــــنّ وإن عمّـــــرت مـــــا عمـــــر نـــــوح[2]

فوصفه التوبة بـ(النصوح) إلتمسه من قول الباري عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الانْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[3]. وقد سبق أبا نواس أبو القاسم يوسف بن القاسم فهو يدعو نفسه الى توبة من ذنوب إقترفها فهو يستغفره ويتوب إليه مما جنت نفسه عليه وما قد نساه ولا يذكره أصلا بأن يلقى ربه خالياً من الذنوب فنراه يقول:

الى الله مـــــن عـــــودتي تـــــوبتي أتـــــوبُ إلـــــهِ و أســـــتغفره

وأســـــتغفر الله ممـــــا جنيـــــت ومـــــا قـــــد نســـــيتُ ومـــــا اذكـــــره

وممـــــا أحـــــاط بـــــهِ علمـــــه وأتقنـــــه كاتـــــبٌ يسطـــــره

لالقـــــى الالـــــه ولا ذنـــــب لـــــي أُســـــائل عنـــــه ولا أحـــــذره

إذا كـــــان يـــــأتي الـــــذي لا يريـــــب ويـــــترك منـــــه الـــــذي يفجـــــره

كـــــذاك روينـــــا عـــــن المصـــــطفى وأصحـــــابه في الـــــذي نأثـــــره[4]

---

[1] / سورة الشورى: آية ٢٥.

[2] / ابو العتاهية اشعاره واخباره، ص من ٩٧ – ٩٩.

[3] / سورة التحريم، ٨.

[4] / أخبار الشعراء المحدثين، ص١٤٩.

فهو يستعين بالتعبير القرآني للباري عز وجل الذي يقبل التوبة ويعفو عن السيئات وبابُ التوبةِ مفتوح فهو يحبُ العبد التائب فيقول جل في علاه: {إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}[1]، وقوله: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً}[2]، ويدعو إبنه القاسم الا التوبة قائلا:

فتـــــب الى اللهِ متـــــاب إمـــــريءٍ   إليـــهِ ممـــا قـــد جنـــى مهرُبــــهْ

فإنمـــا الواصـــلُ ســـبيل الهـــدى   مـــن يهجـــر الـــذنب ولا يقربـــُهْ

فاجـــدد فـــإن الامـــر جـــدُ ولا   تنـــه عـــن الـــذنب الـــذي تركبُـــهْ[3]

فالشاعر يدعو الانسان الى التوبة لانه تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}[4]، ويحث المذنب على الاقلاع والابتعاد عن كل ما يغضب الله من الاثام والمعاصي قبل فوات الاوان فالموت لا ينتظر فنراه يقول:

أيهـــا المـــذنب عاجـــل توبـــة   لا تســـوف بغـــدٍ أو بعـــد غـــدْ

فرســـول المـــوت لا ينظـــر ذا   حاجـــةٍ يصـــدرها إمـــا وَرَدْ[5]

ويدعو محمود الوراق الى عدم القنوط من الذنوب العظيمة والمبادرة بالتوبة قبل الموت وقبل حبس الالسن وفوات الاوان فيقول:

قـــدم لنفســـك توبـــةً مرجـــوةً   قبـــل الممـــات وقبـــل حـــبسِ الالســـنِ

بـــادر بهـــا علـــق النفـــوس فإنهـــا   ذخـــرٌ وغـــنمٌ للمـنيـــبِ الحســـنِ[6]

---

[1] / سورة الفرقان، آية ٧١.

[2] / سورة النساء: آية ١٧.

[3] / اخبار الشعراء المحدثين، ص١٧٠.

[4] / سورة الشورى، ص٢٥.

[5] / اخبار الشعراء المحدثين، ص٢٢٠.

[6] / ديوان محمود بن حسن الوراق، ص ١٢٩.

فهو يأمل أن يكتب الله له التوبة فيكون ممن قال فيهم جلَ شأنه: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم}[1] ، ويقول ايضاً:

يـــا ساهـــراً يرنـــو بعينـــي راقـــدٍ ومشـــاهداً للامـــرِ غـــير مشاهـــدِ

تصـــل الـــذنوب الى الـــذنوب وترتجـــي درك الجنـــان بهـــا فـــوز العابـــدِ

ونســـــيت أن الله أخــــرج أدمـــــاً منهـــا الى الـــدنيا بـــذنب واحـــدِ[2]

فهو في هذه الابيات يذكرنا بقصة نبينا آدم عليهِ السلام عندما أخرجه الله من الجنةِ لِمعصيتهِ إياهُ إذ قال جلَّ شأنه في كتابه العزيز: {فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى}[3]، اذ يؤنب الانسان كيف ترتجي درك الجنان وهو يصلُ الذنب تلو الذنب فهو يُذكره بآدم عندما أُخرج منها لاقترافه ذنباً واحد فما باله هو وهو يصلُ الذنب تلو الاخر ماذا سيحلُ بهِ .

[1]/ سورة الزمر، آية ٥٣.

[2]/ ديوان محمود بن حسن الوراق، ص٦١.

[3]/ سورة طه: آية ١٢١.

الفصل الرابع

أبي العتاهية

المبحث الأول

نشأة أبي العتاهية

المطلب الأول

نسبه ومولده ووفاته

إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزي، أبو إسحاق ويعرف بأبي العتاهية، أحد شعراء العصر العباسي، قيل عنه أنه شاعر مكثر، سريع الخاطر، في شعره إبداع، يعد من مقدمي المولدين، من طبقة بشار وأبي نواس وأمثالهما، كان يجيد القول في الزهد والمديح وأكثر أنواع الشعر في عصره، قال عن نفسه (لو شئت أن أجعل كلامي كله شعراً لفعلت)[١]، ولد أبو العتاهية عام ١٣٠هـ - ٧٤٧م بعين التمر[٢]، وهي إحدى القرى الواقعة قرب الأنبار غربي الكوفة وبها نشأ، وسكن بغداد، عندما ضاق الحال بوالده أنتقل بعائلته إلى الكوفة، والتي عرفت في ذلك الوقت كملتقى للعلماء والمحدثين والعباد والزهاد، ومع الرخاء الذي عم المدينة انتشر بها عدد من الجماعات الماجنة والذين يقولون الشعر متنقلين بين مجالس اللهو، ويشتهروا بالزندقة والتهتك، في هذا الوسط نشأ أبو العتاهية فكان يختلف تارة إلى مجالس العلماء والعباد، وتارة أخرى إلى مجالس الشعراء الماجنة، ونظراً لفقره عمل مع والده في بيع الفخار بالكوفة. ظهرت موهبته في نظم الشعر مبكراً واشتهر بهذا وسمع به المتأدبون من الفتيان فكانوا يتوافدون عليه لسماع شعره.

١/ التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، ص٢٠٠.

٢/ المرجع والصفحة السابقتين.

كانت حياة شاعرنا مضطربة فكان يخالط أهل المجون واللهو واكثر الشعراء فسوقاً[١]، وظل كذلك لفترة من حياته حتى أطلق عليه لقب "مخنث أهل بغداد"، وعلى الرغم من حياة اللهو هذه إلا أنه أنصرف بعد ذلك إلى الزهد، فكثر شعره في الزهد ووصف الموت وأحواله، والمواعظ والحكم، انتقل أبو العتاهية إلى بغداد أثناء خلافة المهدي[٢]، وكانت مركزاً للنشاط العلمي والأدبي بالإضافة لكونها دار الخلافة، فكانت المكان المناسب للشاعر لينشر بها أشعاره، أتصل بالخليفة المهدي الذي استدعاه للقصر ولما سمع شعره أعجب به ونال رضاه، ومن أجمل أبياته ما قاله في مدح الخليفة المهدي يوم توليه الخلافة:

مع بداية حكم الرشيد أعرض أبو العتاهيه عن قول الشعر، فطلب منه الرشيد أن يعود إليه فأبى فحبسه في منزل حتى عاد إليه مرة أخرى، ولزم بعد ذلك الرشيد ومن بعده الأمين ثم المأمون. أعجب أبو العتاهية بجارية لزوجة المهدي وتدعى "عتبة" وكان قد أبصرها ذات يوم راكبة مع جمع من الخدم تتصرف في حوائج الخلافة، فتعلق بها قلبه وذكرها في شعره، ولما علم أمير المؤمنين هم أن يدفع بها إليه، ولكنها قالت "يا أمير المؤمنين مع حرمتي وخدمتي تدفعني إلى بائع جرار متكسب بالشعر؟"، فبعث إليه قائلاً" أما عتبة فلا سبيل لك إليها وقد أمرنا لك بملء برنية مالاً"[٣]، فقال في عتبة:

ظل أبي العتاهية متغزلاً في عتبة ينظم فيها الكثير من الأشعار، حتى أمر المهدي بجلده وإدخاله السجن، إلى أن تشفع فيه خاله وأخرجه، وعلى الرغم من ذلك ظل حب عتبة مشتعلاً بقلبه حتى جاءت خلافة الرشيد، والذي حاول بدوره التوسط من أجل زواج أبو العتاهية من عتبة ولكن لم يفلح الأمر أيضاً، وأصاب أبو العتاهية اليأس ومما قاله في ذلك:

---

[١]/ أمثال والبة بن حباب.

[٢]/ التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، ص٣١١.

[٣]/ ويروى أنها رفضته لقيحه ودمامته.

أما سبب تسميته بأبي العتاهية فيروى أن الخليفة المهدي قال له يوماً وهو يمازحه: أنت رجل متحذلق، متعته[1] فغلب عليه هذا اللقب، ويقول ابن منظور: لأن المهدي قال له أراك متخلطاً متعتهاً وكان قد منعه عتبة واعتقله بسببها وعرض عليها المهدي أن يزوجها له فأبت، وقيل لقب بذلك لأنه كان طويلاً مضطرباً، وقيل أيضاً لأنه يرمي بالزندقة ولأنه كان محباً للمجون والتعته، وكلمة عتاهية لها أكثر من معنى ففي لسان العرب يقول ابن منظور: عته في العلم: أولع به وحرص عليه، والعتاهة والعتاهية مصدر عته مثل الرفاهة والرفاهية، والعتاهية: ضلال الناس من التجنن والدهش والتعته المبالغ في الملبس والمأكل ورجل عتاهية أي أحمق[2]، توفي أبو العتاهية في خلافة المأمون بعد أن بلغ الثمانين من عمره عام ٢١١هـ - ٨٢٦م[3].

المطلب الثاني

حياته وحقيقة زهده

لا ندري حقيقة زهد شاعرنا أبو العتاهية، فهناك من يقول أنه زهد حقيقة في أخريات حياته، وهناك من يقول أنه سار مع التيار الجديد فقد أصبح شعر الزهد غير مقتصر على النساك والوعاظ بل امتد إلى المُجان كأبي نواس ومحمد بن يسير وقد كان محمد هذا ماجناً هجاء، وبرغم من ذلك فقد ذكر مرة في مجلس أبي محمد الزاهد صاحب الفُضيل بن عياض، أبياتاً في الزهد تقول:

وَيْلٌ لمن لم يرحم اللهُ ... ومن تكون النارُ مَثْوَاهُ

واغَفْلَتنا في كل يومٍ مضى ... يُذكرني الموتَ وأنساه

---

[1]/ أي متطرف.

[2]/ لسان العرب، ص٦٣٨.

[3]/ التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، ص٣١١

كما أن الماجن محمد ابن حازم الذي انغمس في اللهو والمجون، عندما بلغ الخمسين قرر ترك شرب الخمر والابتعاد عن طريق الحرام واللجوء لشعر الزهد ويقول في ذلك:

ومنتظــرٍ للمــوت في كــل ســاعةٍ يَشـيد ويــبني دائمــاً ويحصِّــنُ

لـــه حـــين تلـــوه حقيقــةُ مـــوقنٍ وأفعالــه أفعــالُ مــن لــيس يــوقنُ

وسواء كان أبو العتاهية قد قال شعر الزهد حقيقة أو إدعاء فقد أجاد وأبدع حتى ألان القلوب واستدر الدموع، من ذلك مايروى أنه دخل على الرشيد حين بنى قصره، وزخرف مجلسه، واجتمع إليه خواصه، فقال له هارون: صف لنا ما نحن فيه من الدنيا فقال:

عـــش مـــا بـــدا لـــك آمنـــاً في ظـــلّ شـــاهقة القصـــور

فقال الرشيد: أحسنت، ثم ماذا؟ فقال:

يســـعى إليـــك بمـــا اشتهيـــت لـــدى الـــرواح وفي البكـــور

فقال: حسن، ثم ماذا؟ فقال:

فـــإذا النفـــوس تقعقعـــت في ضـــيق حشـــرجة الصـــدور

فهنـــاك تعلـــم موقنـــاً مـــا كنـــت إلاّ في غـــرور

فبكى الرشيد بكاء شديداً حتى رُحِم، فقال له الفضل بن يحيى: بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فأحزنته، فقال له الرشيد: دعه فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا عمى، قال عنه أبو العلاء المعري[١]:

---

[١]/ هو أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي ، عربي النسب من قبيلة تنوخ إحدى قبائل اليمن ، ولد في معرة النعمان بين حماة وحلب في يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة للهجرة (٩٧٣م) وكان أبوه عالما بارزا ،وجده قاضيا معروفا.

اللَـهُ يَنقُلُ مَن شاءَ رُتبَةً بَعدَ رُتبَه   أَبدى العَتاهِيُّ نُسكاً وَتابَ مِن ذِكرِ عُتبَه[1]

وقد قدم أبو العتاهية في شعره الزهد والموعظة والرثاء والهجاء والمدح والوصف والحكم والأمثال والغزل، تميز شعره بسهولة الألفاظ وقلة التكلف، ويقال عن سبب اتجاهه للزهد وتوقفه عن قول الغزل والهجاء والمديح، واقتصار شعره على الزهد والحكمة، ما روي عن أبي سلمة الغنوي الذي سأل أبا العتاهية: ما الذي صرفك عن قول الغزل إلى قول الزهد؟. فأجابه: إذن والله أخبرك. إني لما قلت:

اللَـــهُ بَـــيني وَبَـــينَ مَـــولاتي   أَبـــدَت لِـــيَ الصَـــدَّ وَالمَـــلالاتِ

لا تَغفِـــرُ الـــذَنبَ إِن أَسَـــأتُ وَلا   تَقبَـــلُ عُـــذري وَلامُؤاتـــاتي

مَنَحتُهـــا مُهجَـــتي وَخالِصَـــتي   فَكـــانَ هِجرانُهـــا مكافـــاتي

يَّمَـــني حُبُّهـــا وَصَـــيَّرَني   أُحدوثَـــةً في جَميـــعِ جـــاراتي

نمت في تلك الليلة فرأيت كأن آتيا أتاني فقال: ما أصبت أحدا تدخله بينك وبين عتبة يحكم علينا بالمعصية إلا الله تعالى؟، فانتبهت مذعورا وتبت إلى الله تعالى من ساعتي من قول الغزل.

---

[1]/ ديوان أبو العلاء المعري، دار صادر بيروت، ط١، ص١٣٢.

المطلب الثالث

أرآء العلماء فيه

لقد اختلف الباحثون والنقاد في قضية زهد أبي العتاهية وترددت الآراء بين نافٍ ومنكر لزهده وبين مؤيد له، وهذه القضية قد تناولها الأقدمون تماما كما تناولها المحدثون، ومن بين أولئك المحدثين الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي الذي ألف كتابا بعنوان "أسطورة الزهد عند أبي العتاهية" وقد ذهب فيه إلى أن زهد أبي العتاهية ليس حقيقيا ولكنه أسطورة صاغها الأقدمون وقد نفى زهده نفيا قاطعا معتمدا في ذلك على نصوص تاريخية وليس على نصوص شعرية!! وهذا أمر غريب فالصحيح أن يحكم على الرجل من خلال أقواله وشعره..لا من خلال نصوص تاريخية أو حتى رويت على لسانه.

لكن حينما نظر الباحث لشعر أبي العتاهية وجد أن شعره نابع من تجربة صادقة لكثرة تأثره بمعاني الزهد من الدعوة للقناعة والرضا بالقليل وذكر الموت والترهيب من النار والترغيب بالجنة، وقد وجدت أن معاني الزهد عنده تتفق مع التعليمات الإسلامية وأنه سار على الطريقة التي سار عليها النبي ﷺ والصحابة والتابعون.

ثم إن معظم الروايات التي اعتمد عليها الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي وغيره من الباحثين سواء كانوا مستشرقين أم غير مستشرقين نُقلت وأخذت من كتاب أبي الفرج الأصفهاني وهذا خطاء بين لأنه لابد في كل بحث من الأعتماد على عدد غير يسير من المراجع طلبا للحقيقة وتوخيا للدقة، وليس أدل على زهده من قوله في الموت:

فلو أنا إذا متنا تركنا ... لكان الموت غاية كل حيّ

ولكنا إذا متنا بعثنا ... لنُسْأل بعدها عن كلّ شيّ

وقال عنه أبو الفرج[1] "قال الشعر فبرع به وتقدم"، وقال عنه الأصمعي[2] " شعر أبي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب، والتراب والخزف والنوى"، كما قيل عنه: "أنه أقدر الناس على وزن الكلام حتى أنه يتكلم بالشعر في جميع حالاته"، وقال عنه المبرد[3]: كان أبي العتاهية حسن الشعر قريب المآخذ لشعره ديباجة ويخرج القول منه كمخرج النفس قوة وسهولة واقتداراً.

---

[1]/ علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني: من أئمة الأدب، الأعلام في معرفة التاريخ والأنساب والسير والآثار واللغة والمغازي .ولد في أصبهان، ونشأ وتوفي ببغداد(٢٨٤ - ٣٥٦ هـ = ٨٩٧ - ٩٦٧ م)

[2]/ عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي (١٢١ هـ- ٢١٦ هـ/ ٧٤٠ - ٨٣١ م) راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان.

[3]/ أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبرد ينتهي نسبه بثمالة، وهو عوف بن أسلم من الأزد.(ولد ١٠ ذو الحجة ٢١٠ هـ/٨٢٥ م، و توفي عام ٢٨٦ هـ/٨٩٩ م) هو أحد العلماء الجهابذة في علوم البلاغة والنحو والنقد، عاش في العصر العباسي في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). كان المبرِّد واحدا من العلماء الذين تشعبت معارفهم، وتنوعت ثقافاتهم لتشمل العديد من العلوم والفنون، وإن غلبت عليه العلوم البلاغية والنقدية والنحوية، فإن ذلك ربما كان يرجع إلى غيرته الشديدة على قوميته العربية ولغتها وآدابها في عصر انفتحت فيه الحضارة العربية على كل العلوم والثقافات، وظهرت فيه ألوان من العلوم والفنون لم تألفها العرب من قبل.ولد المبرد بالبصرة، ولقب بالمبرد قيل: لحسن وجهه، وقيل: لدقته وحسن جوابه، ونسبه بعضهم إلى البردة تهكما، وذلك غيرة وحسدا.

المبحث الثاني

موضوعات أبي العتاهية الزهدية

المطلب الأول

الإيمان بالله وحده

يعد التوحيد[1] ركناً أساسياً في الاديان السماوية، وقد عرفه العرب قديماً في الجزيرة العربية فالاحناف امنوا بأن الله واحد لا شريك له، ومن هنا انتقل هذا الركن الاساس الى بنية الشعر العربي بعد ان عمق القران الكريم روحه في قلوب المسلمين ولهذا وجدنا ان فكرة التوحيد الاساس الذي تقوم عليه المعاني الاخرى في الفكر الاسلامي[2]، يقول القاسم بن يوسف[3]:

إلى الله مــــن عــــودتي تــــوبتي   أتــــوب إليــــه وأســـــتغفره

وأثــــني عليـــهِ بالائـــــه   ثنـــاءَ الشــكورِ لا أكْفـــره

وأخلُــع مِـــنْ دونـــه مـــن دَعَـــا   إلهـــاً ســـواه وَمَـــن يَفْجـــره

وأشــــهدْ أن لا ألهــــاً ســــواه   وأنَّ الثَّـــوابَ لِمـــا يَـــذْكره[4]

أن هذه الابيات تعكس إستيحاءً دينياً يعتمد على الفكر الديني القديم الذي رسخ في مخيلة الشاعر العربي ولا سيما التيار التوحيدي الاسلامي الذي استطاع أن

---

[1]/ التوحيد في اللغة : الحكم بأن الشيء واحد ، والعلم بأنه واحد ، وفي أصطلاح أهل الحقيقة : تجريد الذات الألهية عن كل ما يتصور في الافهام ويتخيل في الاوهام والاذهان .التعريفات ،للشريف الجرجاني (ت ٨٦٤هـ) ،ط١، دار الكتب العلمية ، يروت،لبنان ،١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م : (٧٣)

[2]/ للاستزادة ينظر تاريخ الادب العربي في الجاهلية وصدر الاسلام، رينولد نكلسن ترجمة وتحقيق د. صفاء خلوصي ، مطبعة دار المعارف بغداد ١٩٦٩م: (٢٤٥) . وقد تحدث فيه عن الاحناف.

[3]/ يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب مولى بني عجل يكنى ابا القاسم، منازلهم سواد الكوفة وهو ابو احمد وكان يوسف يكتب لعبد الله بن علي عم المنصور. توفي سنة ١٨٠هـ.معجم الشعراء للمرزباني (ت٣٨٤هـ) تحقيق عبد الستار احمد فراج دار احياء الكتاب العربي ١٩٦٠م: ٥٠٤.

[4]/ اخبار الشعراء المحدثين (من كتاب الاوراق) تحقيق: ج. هيورث دن، دار المسيرة ١٩٧٩م : (١٤٨ – ١٤٩).

يقضي على القلق الغيبي الذي عاشه الانسان في حقبة الاولى.ان القران الكريم عَمَّقَ فكرة التوحيد وقد منح ذلك الابيات الشعرية سمة الاسلامية التي تمثل الهوية العربية الخالصة ومن هنا شكل هذا العنصر الموضوعي في قصيدة هذا الشاعر او غيره عنصراً اساسياً ينفذ من خلاله الى دعم فكرة الزهد. وعلى الرغم من قلة الشاعرية في هذه الابيات وغيرها لانها تقرر حقيقة معروفة تبقى ملمحاً لهذا الشعر، يقول ابان اللاحقي[1] بعد ابيات تعليمية:

أشـــــهد أن الله فــــــرد واحـــــد   أقـــــــر أو أنكـــــــر جاحـــــــد

لـــــيس لــــه كَفــــوءٌ ولا نِـــدُّ أحـــد   لم يولــــــد الله ولا لــــــه ولــــــد

وإنــــــني بمــــا عملـــت مرتهــــن   مــا كـــان منـــه مـــن قبـــيح وحســـن[2]

فلقد اخذ الشاعر المعنى في البيتين الاول والثاني من قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [3] أي مرهونة بكسبها عند الله.

ولهذا جاز لنا ان نقتطع ما جاء في التوحيد تذكرنا قول ابي العتاهية:

الحمـــــدُ لله الواحـــــد الصمـــــدِ   هــــو الــــذي لم يولــــد ولم يلــــد

عليـــه ارزاقنـــا فلـــيس مـــع الـــ   ـــلَّه بنـــا حاجـــة الى أحَـــــدِ[4]

ويقول ايضاً:

تعـــالى الواحـــدُ الصـــمدُ الجليـــلُ   وحاشـــى ان يكـــون لـــه عـــديل

١/ ابان بن عبد الحميد اللاحقي الشاعر مولى رقاش بن ربيعة كان بينه وبين ابن المعذل اهاجي ومناقضات ورد الى البصرة قاصداً البرامكة فاختص بالفضل وهو شاعر مكثر واكثر شعره مزدوج ومسمط وقد نقل من كتب الفرس وغيرها ونظم كتاب (كليلة ودمنة) وكتاب (الصيام والاعتكاف وغيرها) توفي سنة ٢٠٠هـ. الوافي بالوفيات، صلاح الدين بن ايبك الصفدي دار صادر بيروت ١٩٧٠م: ٣٠٢/٥.

٢/ اخبار الشعراء المحدثين ابان اللاحقي شعره التعليمي ق١: (٤٨).

٣/ سورة الاخلاص: (١ - ٤).

٤/ أبو العتاهية أشعاره وأخباره تحقيق د. شكري فيصل ،دمشق، مطبعة جامعة دمشق،١٩٦٥م: (١١٩) وينظر كذلك (١٠٤).

هو الملك العزيز وكلُّ شيء سواه فهو منتقصٌ ذليلُ
وما من مذهبٍ إلا إليه وإن سبيله لهو السبيلُ
وإنَّ لهُ لمناً ليس يحصى وإن عطاءَهُ لهوَ الجزيلُ
وكلُّ قضائه عدلٌ علينا وكلُّ بلائِه حسنٌ جميلُ
وكلُّ مفوه أثنى عليه ليبلغه فمنحسرٌ كليلُ
أيا من قد تهاون بالمنايا ومن قد غرَّهُ الامل الطويل
ألم تر أنما الدُنيا غرورٌ وأن مقامنا فيها قليل[1]

فهي من مجموعها تصبُّ في مجرى واحد ألا وهو توحيد الله عز وجل وحمدِه وشكره.

المطلب الثاني

الحديث عن الموت

جاء الحديث عن الموت عند شعراء ما قبل الاسلام وهو حديث لا يمت إلى عالم الاخرة التي رسمها الاسلام بصلة بل اتسم هذا الحديث بانه بكاء على الميت وتعداد صفاته واخلاقه (فان الشاعر او الشاعرة لا يعرفان أمام جثة هامدة سوى الدعوة الى الثأر او مدح الميت)[2]، بل اتسم هذا الحديث بأنه بكاء على الميت وتعداد صفاته واخلاقه وما أن جاء الاسلام حتى أخذ الحديث عن الموت ثوباً جديداً، فاصبح السبيل الى حياة أخرى حيث الجنة او النار ومن يَعُد الى قصائد حسان بن ثابت، أو كعب بن مالك يجد ذلك، وحين نتأمل ابيات الزهد في العصر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين نجد ان الحديث عن الموت بوصفه فكرة منحىً آخر يعتمد

---

[1]/ / أبو العتاهية أشعاره وأخباره: (٢٩٠).

[2]/ تاريخ الادب العربي، د.بلاشير ترجمة د. ابراهيم الكيلاني، منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٣م : ٢٦٧/٢.

على الابداع القراني في هذا الميدان، يقول ابن ميادة[1]:

وأرنـــا كـــالزرع يحصـــده الدهـــــ ـــر فمـــن بـــين قـــائم وحصيـــد
وكأنـــا للمـــوت ركـــبٌ مخبـــوّ نَ ســـراعٌ لمنـــهلٍ مـــورود[2]

فهذان البيتان يستمدان مادتهما من قوله تعالى: {ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ}[3]، ولكن الشاعر استطاع بمخيلته الخصبة ان يصب البناء القراني ضمن ابداعه وبوجهةٍ تختلف في التخطيط عما جاء في الاية الكريمة.

وعند مطالعتنا الصور التي قدمها شعراء الزهد نجد ان هؤلاء أكدوا ان هذا الموت هو السبيل المشترك الذي لا بُدَّ ان يسلكه كلُّ حيّ، يقول يحيى بن المبارك اليزيدي[4]:

تصـــرمت الـــدنيا فلـــيس خلـــودُ وما قـــد تـــرى مـــن بهجـــةٍ سيبيـــدُ
لكـــل أمـــرئٍ منّـــا مـــن المـــوتِ منهـــلٌ وليـــس لـــه الا عليـــهِ ورودُ[5]

فالدنيا منتهية لا محالة ولا خلود فيها وكل ما فيها من بهجة وسرور فانٍ ولا بد لكل إنسانٍ أن يدركه الموت فهو يصوره بالمنهل الذي لا بد أن يرده كل إنسان شاء ذلك ام ابى، إن هذه الوجهة التي اختطها الشاعر والتي تختلف عما جاء في البناء القراني

---

[1]/ اسمه الرماح بن ابرد بن ثوبان بن سراقة بن حرملة وامه ميادة ام ولد بربرية ويكنى أبا شرحبيل وقيل بل يكنى أبا شراحيل توفي سنة ١٤٩هـ، الاغاني: ٢/٢٥٦.

[2]/ شعر ابن ميادة جمع وتحقيق محمد نايف الدليمي، مطبعة الجمهورية، الموصل ١٩٦٨م (٤٤).

[3]/ سورة هود: (١٠٠).

[4]/ بصري يكنى أبا محمد مولى لبني عدي بن عبد مناف سمي باليزيدي لصحبته يزيد بن منصور الحميري خال المهدي لانه كان مؤدب ولده توفي سنة ٢٠٢هـ. معجم الشعراء: (٤٨٧). والورقة لابن الجراح (ت٢٩٦هـ) تحقيق عبد الوهاب عزام، عبد الستار احمد فراج دار المعارف مصر ١٩٥٣م: (٢٨) نزهة الالباء في طبقات الادباء ابو البركات الانباري (ت٥٧٧هـ) تحقيق د. ابراهيم السامرائي مكتبة الاندلس بغداد ١٩٧٠م : (٦٩).

[5]/ شعر اليزيديين، جمعه وحققه د. محسن غياض النجف مطبعة النعمان ١٩٧٣م : (٤٣).

قد استمدها من قوله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالاكْرَامِ}[1].

وقد أطال الشاعر ابي العتاهية الحديث عن الموت فكان للموت وقع شديد في نفسه فأكثر فيه الحديث فنراه يقول مؤكداً ان الموت حق والدنيا فانية زائلة وبعد الموت ستجزى كل نفس بما علمت يوم القيامة مستلهماً المعنى القراني في ذلك:

الموتُ حقٌ والدارُ فانيةٌ وكلُّ نفسٍ تجزى بما كسبت[2]

وكان لكرب الموت أثرٌ عظيمٌ في نفس الشاعر فهو يتدرج في بناء هيكلية هذا الكرب العظيم فيقول بأن السقم والمرض هو بداية التهيؤ للموت ثم يعقبه نزول الموت ثم النزول الى مثواه الاخير يعقبه البعث والنشور حيث الخوف والجلب من الحساب اذ يأتي كل انسان بكتابه اذ تُجزى كل نفس.

ولسكرة الموت معنىً في ذهن الشاعر فهذه السكرة التي لا بد أن يُمرَّ بها كل انسان والتي لا مهرب منها تدفع بالشاعر العباسي الى الخوف وتخطيط مشهد يوم الحساب حيث الادانة والحساب مستوحياً ذلك من الكتاب العظيم (القران) يقول ابو العتاهية:(من الطويل)

لكلِ إمرئٍ من سكرةِ الموت سكرةٌ

وأي إمرئٍ من سكرةِ الموت يفلتُ[3]

فالمعنى في البيت الاول قد استوحى معناه من قوله: {وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيد}[4]، والمعنى في الشطر الثاني قد استمده من قوله: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصلَّى سَعِيرا}[5].

---

[1]/ سورة الرحمن الايتان: (٢٦ – ٢٧).

[2]/ أبو العتاهية اشعاره واخباره: (٥٤).

[3]/ أبو العاتهية أشعاره وأخباره، ص٧٤.

٢/ سورة ق، آية ١٩.

[5]/ سورة الانشقاق الايات (٨ - ١٢) وينظر سور الجاثية الاية (٢٨) قوله تعالى: (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ).

ويغدو الموت عند هذا الشاعر فارساً بطلا لا تستطيع الجن أو الانس أن تغلبه بل وحتى الملوك، إنه القوة الاسطورية التي ما بعدها من قوة، يقول ابو العتاهية:

ما يدفُع الموتَ أرصادٌ ولا حرسُ	**ما يغلبُ الموتَ لا جِنٌ ولا أنسُ**
ما إن دعا الموتُ أملاكاً ولا سوقاً	**إلا ثناهم إليه الصرعُ والخُلَسُ**
للموت ما تلدُ الاقوامُ كلهم	**وللبلى كلّ ما بَنَوا وما غرسوا[1]**

هذه الفكرة قد استنبط الشاعر معناها من قوله تعالى: {أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ}[2]، وقوله تعالى: {قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ}[3]، فالانسان عنده ضعيف يدركه الموت اينما حلَّ وان كل شيء سيؤول الى بِلى ويقول ايضاً في المعنى ذاته:

ولم يُنجِ مخلوقاً من الموتِ حيلةٌ	**ولو كان في حصنٍ وثيقٍ وأحراسِ[4]**

وفي معرض حديثه عن الموت يذكر أن الموت لا بُدَّ أن يقع لكل الناس في هذه الدنيا (دار البلى) ليبعث الله الناس من قبورهم ويحيي عظامهم بعد ان بليت فيقول:

لا بُدَّ من موتٍ بدار البلى	**والله بعد الموتِ يحيي العظـام[5]**

وانت ترى أن الشاعر استمد معناه هذا من قوله تعالى: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ}[6].

---

[1]/ ابو العتاهية اشعاره واخباره: ص ١٨٨.

[2]/ سورة النساء: آية ٧٨.

[3]/ سورة الجمعة: آية ٨.

[4]/ أبو العتاهية أشعاره وأخباره، ص١٩٢.

[5]/ المصدر نفسه: ص ٣٤٣ وقد كرر ابو العتاهية هذه الفكرة ينظر ص ١١١.

[6]/ سورة يس، ص ٧٩.

والموتُ عند القاسم بن يوسف هو السبيل المشترك الذي لا بد ان يسلكه كل حي فقوم يهلكون أسىً مثل من سبقهم وكل شيء مصيره للفناء يقول:

سبيلُ الموتِ مشتــرك	**بهِ الورّاد قد سلكـوا**
فقومٌ يهلكون أســىً	**وقومٌ قبلهم هلكـوا**
ويفنى الخلق كلّهــم	**ويبقى الخـالقُ الملـكُ**[1]

ويتبين من نسيج هذه الابيات أن الشاعر استمد معناه من قوله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالاكْرَامِ}[2].

---

[1]/ اخبار الشعراء المحدثين من كتاب الاوراق: ١٩٨ – ١٩٩.

[2]/ سورة الرحمن الايتان: (٢٦ – ٢٧).

الفصل الخامس

رابعة العدوية

المبحث الأول

نشأة رابعة العدوية

المطلب الأول

نسبها ومولدها ووفاتها

هي رابعة بنت إسماعيل العدوي، ولدت في مدينة البصرة، ويرجح مولدها حوالي عام (١٠٠هـ - ٧١٧م)[١]، ولدت لأب عابد فقير، في "رابعة العدوية" تتجلي صفات الزهد و الورع و التقوى كلها، و لو كان لهذه المعاني قصة والصفات أن تتجسد في شخص إنسان لكان هذا الشخص هو "رابعة" – رحمها الله، علم، زهد، ذكر، تواضع، خشية، حب، بكاء، بصيرة، تهجد و قيام. كم من الناس في أي زمان أو مكان يمكن أن تجتمع فيه هذه الخصال كلها ممثلة في أجلي صورها و أعظم معانيها كما تجسدت بحقيقتها في "رابعة أم الخير."كانت نموذجاً فريداً للمرأة المسلمة الصالحة.. فكانت رأس العابدات، ورئيسة الخاشعات، وزعيمة الناسكات حتى عُرفت في زمانها بعظيم فضلها ومزيد علمها وكمال أدبها.وكانت تصلِّي مئات الركعات في اليوم والليلة، وإذا سُئلت: ما تطلبين من هذا؟ قالت: لا أريد ثواباً بقدر ما أريد إسعاد رسول الله ﷺ حتى يقول لإخوته من الأنبياء: انظروا هذه امرأة من أمتي.. هذا عملها[٢]. وكانت أول من استعمل كلمة "الحب الإلهي" استعمالاً صريحاً فيما تناجي به الله عز وجل وإقبالها عليه وإيثارها له سبحانه.

---

[١]/ طبقات الشعراء، لابن المعتز، تحقيق عبد الستار فراج ط٢، ص٣٦٧.

[٢]/ التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، ص٦٢٨.

لها خمسة ألقاب أو أكثر فهي"رابعة القيسية العدوية البصرية" سميت رابعة لأنها كانت الرابعة في الميلاد يسبقها ثلاثة، و سميت بالقيسية لأنها من بطن من بطون قبيلة قيس، وسميت بالعدوية لأن أسرتها من بنى عدوة، و سميت بالبصرية لأنها ولدت في البصرة وعاشت بها ردحاً من الزمن، ولُقِّبت بأم الخير لسعيها في أوجه الخير. لقد كان لرابعة ثلاث أخوات بنات سبقنها إلي الحياة، و أبواها يشكوان قسوة الفقر و شدة الحياة. وهكذا نشأت رابعة بين أبوين فقيرين، يعيشان في كوخ بطرف من أطراف البصرة، وكان الناس يسمون هذا الكوخ"كوخ العابد" و ذلك لتقوى الوالد و إيمانه. في هذه البيئة الإسلامية الصالحة وُلدت رابعة العدوية وحفظت القرآن الكريم وتدبَّرت آياته وقرأت الحديث وتدارسته وحافظت على الصلاة وهي في عمر الزهور. وعاشت طوال حياتها عذراء بتولاً برغم تقدم أفاضل الرجال لخطبتها لأنها انصرفت إلى الإيمان والتعبُّد ورأت فيه بديلاً عن الحياة مع الزوج والولد. وليس كما يحاول بعض المستشرقين تشويه سيرتها ووصمها بالانحراف والرذيلة[١].

كانت رابعة منذ صغرها فتاة لبيبة عاقلة ذكية، زاهدة عابدة متهجدة، و كانت كثيرة الهم و الحزن، طويلة التفكير والتأمل، منطوية علي نفسها قليلة الكلام عازفة عن لغط الحياة. لقد عنيت رابعة منذ صغرها بحفظ القرآن الكريم و ترتيله، و كلما حفظت سورة من السور أخذت تكررها و تعيدها في ترتيل و تجويد مع الخشوع و تدفق الدموع. وما لبث أن مات أبيها ثم لحقت به زوجته و بقيت رابعة يتيمة مع أخواتها البنات الثلاث و لم يتركوا للوالدان لبناتهما من أسباب الحياة ووسائل العيش سوى قارب ينقل الناس في نهر دجلة من شاطىء إلي شاطىء مقابل دراهم معدودة. وصحيح أنها وقعت في الرِّق بعد وفاة والدها ووالدتها وما أصاب البصرة من قحط ومجاعة وتفرُّقها عن شقيقاتها الثلاث وهي ما زالت صغيرة، حتى انها بيعت بستة دراهم لرجل غليظ القلب قاسي المشاعر أذاقها العذاب ألواناً، وظلَّت تنتقل من هوان

١/ التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، ص٦٢٨.

إلى هوان، غير ان هذا لم يطفئ ذلك القَبَس الإيماني في قلبها مصداقاً لقوله تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)[١]، فكانت تهرب من شظف العيش وضيق الدنيا إلى سعة الإيمان ورحمة الله. فكانت تناجي ربها باكية: إلهي.. أنا يتيمة معذَّبة أرسف في قيود الرِّق وسوف أتحمَّل كل ألم وأصبر عليه، ولكن عذاباً أشدّ من هذا العذاب يؤلم روحي ويفكِّك أوصال الصبر في نفسي، منشؤه ريب يدور في خَلَدي: هل أنت راضٍ عنِّي؟ تلك هي غايتي[٢].

وكانت تؤدي عملها في بيت سيدها بما يرضي ضميرها وتؤدي فريضة ربِّها في إخلاص وتفانٍ حتى إذا استيقظ سيدها ذات ليلة سمعها تناجي وهي ساجدة فتقول: إلهي أنت تعلم أن قلبي يتمنَّى طاعتك، ونور عيني في خدمتك، ولو كان الأمر بيدي لما انقطعت لحظة عن مناجاتك.. لكنك تركتني تحت رحمة مخلوق قاسٍ من عبادك. وبينما هو يراقبها، إذ يخطف انتباهه انبلاج ضوء حولها يفزع له فتعرف الرحمة طريقها إلى قلبه، وفي الصباح يدعوها: أي رابعة، وهبتك الحرية فإن شئت بقيت هنا ونحن جميعاً في خدمتك، وإن شئت رحلت أنَّى رغبت. فما كان منها إلا أن ودَّعته وارتحلت لتبدأ مرحلة جديدة[٣].

وهذه هي المرحلة التي يحاول المستشرقون تشويهها والإساءة فيها إلى سيرتها، فقد احترفت مهنة العزف على الناي حيناً من الزمن، وهي مهنة لم تكن فيها شبهة، ولكنها سرعان ما اعتزلتها واعتزلت الناس جميعاً وبنت لنفسها خلوة انقطعت فيها للعبادة. وقد استوعب حب الله لذاته كل خلجات قلبها حتى قالت فيه لما سُئلت عن حبها للرسول الكريم: إني والله أحبه حباً شديداً ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين. وأجملت نظرتها إلى هذا الحب الإلهي شعراً رقيقاً تقول فيه:

---

[١]/ سورة الحجرات، الآية ٧.

[٢]/ التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، ص٦٨٨.

[٣]/ المرجع والصفحة السابقتين.

أحبـــــك حــــــبين حـــــب الهـــــوى	وحبــــــاً لأنـــــك أهـــــل لـــــذاكا
وأمـــــا الــــذي أنـــت أهـــل لــــه	فكشـــــفك للحجـــــب حتــــى أراكـــــا
فأمـــــا الـــــذي هـــو حــــب الهـــوى	فشـــــغلي بــــــذكرك عمَّــــن ســـواك
فـــــلا الحمــــد في ذا ولا ذاك لـــــي	ولكــــن لـــــك الحمـــــد في ذا وذاكـــــا

توفيت رابعة وهي في الثمانين من عمرها سنة ١٨٠ هـ[١]، ورابعة تختلف عن متقدمي الصوفية الذين كانوا مجرد زهاد ونساك، ذلك أنها كانت صوفية بحق، يدفعها حب قوي دفاق، كما كانت في طليعة الصوفية الذين قالوا بالحب الخالص، الحب الذي لا تقيده رغبة سوى حب الله وحده[٢].

المطلب الثاني

حياتها وتقواها

كانت رابعة تخاف أكل الحرام، ومن أقوالها لأبيها: (يا أبت لست أجعلك في حل من حرام تطعمنيه، فقال لها متعجباً: أرأيت يا رابعة إن لم نجد إلا حراما؟، قالت: نصبر يا أبي في الدنيا علي الجوع، خير من أن نصبر في الآخرة علي النار)[٣]. أما قصة رقها وعتقها فمن أغرب القصص لأنها كانت حرة حتى توفي أبواها وحدثت مجاعة وقحط في البصرة علي عهدها، فتشردت رابعة في الأرض وتشتت أخواتها وذهبت كل واحدة منهن إلي جهة من الأرض، حيث لم تلتق رابعة بواحدة منهن بعد ذلك....رآها لص أثيم فتربص لها حتى وجدها مشردة منفردة، فأخذها مدعياً رقها وباعها إلي أحد التجار الذي أذاقها طعم البلاء، و سامها سوء العذاب.

---

[١]/ التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، ص٦٢٨.

[٢]/ دائرة المعارف الإسلامية في الجزء ١١ من المجلد التاسع

[٣]/ التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، ص٦٢٨.

وذات ليلة رآها التاجر وهي تتعبد في خشوع وإخلاص طالبة من الله أن يخلصها من قسوة ذلك التاجر الذي يذيقها الألم و المهانة حتى تتفرغ للعبادة و الطاعة، و يقال أن التاجر رأي فوق رأسها مصباحاً مضيئاً غير معلق بشيء فآمن بصلتها العميقة بربها، فأعتقها. وأتاها رجل بأربعين ديناراً فقال لها: تستعينين بها علي بعض حوائجك، فبكت ثم رفعت رأسها إلي السماء فقالت: هو يعلم أني أستحي منه أن أسأله الدنيا و هو يملكها فكيف أريد أن أجدها ممن لا يملكها[1].

وقال لها رجل: يارابعة ادع الله لي، فالتصقت بالحائط و قالت: من أنا يرحمك الله؟ أطع ربك و ادعه، فإنه يجيب دعوة المضطرين. قال لها سفيان الثوري مرة: يا أم عمرو أرى حالاً رثة فلو أتيت جارك فلاناً لغير بعض ما أرى، فقالت يا سفيان "وما ترى من سوء حالي؟ ألست على الإسلام فهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه، والأنس الذي لا وحشة معه، والله إني لأستحي أن أسأل الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها؟وكانت رابعة إذا وثبت من مرقدها فزعة تقول "يا نفس إلى كم تنامين؟ وإلى كم تقومين، يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور.

ومن أقوالها: محب الله لا يسكن أنينه وحنينه حتى يسكن مع محبوبه، وقولها اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم، وأيضا إني لأرى الدنيا بترابيعها في قلوبكم، إنكم نظرتم إلى قرب الأشياء في قلوبكم فتكلمتم فيه[2].

---

[1]/ المرجع والصفحة السابقتين.

[2]/ التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، ص٦٢٢.

المطلب الثالث

أرآء العلماء فيها

لقد اختلف الباحثون والنقاد في حقيقة وجود رابعة العدوية وترددت الآراء بين نافٍ ومنكر لوجودها وبين مؤيد لها، مما حدا ببعض المنكرين أن يحمل على السيدة رابعة العدوية الزاهدة الصالحة المشهورة ويقول إنها أسطورة اخترعها الصوفية لينسبوا إليها ما لا يُقْبَل ولا يُعْقَل من الأقوال والأشعار مثل قولها فى مناجاة الله تعالى:

فليتك تحلو، والحياة مريرة وليتك ترضى، والأنام غضابُ

وليت الذى بينى وبينك عامرٌ وبينى وبين العالمين خرابُ

وقولها:

كلهم يعبدوك من خوف نارٍ أو لأن يدخلوا الجِنَان فيَحْظَوْا

ليس لى فى الجنان والنار حظ

وقولها:

ويَرَوْنَ النجاة حظا جزيلا بنعيمٍ ويشربوا سلسبيلا

أنا لا أبتغى بحبِّى بديلا

وقولها:

فشُغْلى بذِكْرِكَ عما سواكَ فكَشْفُك لى الحُجْبَ حتى أراكَ

ولكنْ لك الحمد فى ذا وذاكَ

وأكثر المعارضين من إنكار هذه الأشعار وماتضمنته من كفر وضلال حسب قولهم. والسوئل الذي يؤرق الباحث هنا هل ما ذكروه صحيحٌ ومُسَلَّم به، وأنه لا وجود لهذه المرأة الصالحة؟ وهل هذه الأشعار تتضمن ضلالا و كفرا حقا؟

والراجح أن هؤلاء المنكرين قد أخطاؤا خطأين كبيرين: أولا أنهم اتخذو مجرد الجحود والإنكار سلاحا فى نفى الوقائع التاريخية، وهذا أمر مرفوض فى منطق العلم،

وإلا لقال من شاء ما شاء. ولكن يُقْبَل منهم في هذا المقام أن يقولوا إنهم رجعوا إلى كتب التاريخ وكتب التراجم والطبقات التى عُنِيَتْ بالأعلام عامة، وبالزُّهّاد والعُبّاد خاصة، فلم يجدو ذكرا لهذه العابدة الصالحة التى اخترعوها وسَمَّوْها: رابعة العدوية.

لكنهم لم يستطيعوا أن يقولوا ذلك لأن الحقائق العلمية تكذبهم، والوقائع التاريخية تدينهم، فكتب التاريخ والتراجم تثبت وجود رابعة العدوية وتترجم لها وتذكر بعض أقوالها وأعمالها وأشعارها، فضلا عن كتب الصوفية أنفسهم: فقد ترجم لها أبو نعيم[1] فى "حلية الأولياء"، وابن الجوزى[2] فى "صفة الصفوة"، وابن خلكان[3] فى "وَفَيَات الأعيان"، والذهبى فى "سِيَر أعلام النبلاء"، وابن كثير[4] فى "البداية والنهاية"، وابن

---

[1]/ أحمد بن عبد الله بن مهران بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، وذكر أبو نعيم أن أول من أسلم من جدوده هو مهران، وكان مولاً لعبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، نسبته التي اشتهر بها الأصبهاني، نسبة إلى مدينة أصبهان .وكنيته التي اشتهر بها : أبو نعيم. ولد في شهر رجب سنة ست و ثلاثين وثلاثمائة للهجرة. ويروى أنه مات يوم الاثنين العشرين من شهر محرم سنة ثلاثين وأربعمائة للهجرة ،وجاءت أقوال أخرى أن وفاته كانت في الثامن والعشرين من شهر محرم.

[2]/ هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري .فقيه حنبلي محدث ومؤرخ ومتكلم ٥١٠)هـ١١١٦/م ١٢ - رمضان ٥٩٢ هـ (ولد وتوفي في بغداد .حظي بشهرة واسعة، ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ والتصنيف، كما برز في كثير من العلوم والفنون.يعود نسبه إلى محمد بن أبي بكر الصديق. عرف بابن الجوزي لشجرة جوز كانت في داره بواسط، ولم تكن بالبلدة شجرة جوز سواها.

[3]/ أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان يكنى"أبو العباس "مؤرخ وقاض وأديب يعد من اعلام مدينة دمشق وهو صاحب كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان وهو أشهر كتب التراجم العربية، ومن أحسنها ضبطا وإحكاما، ولد في إربيل سنة ٦٠٨هـ ١٢١١/م، وعاش واستقر في دمشق، واقام فيها وكانت حياته حتى وفاته في دمشق، ونبغ في الاحكام والفقه واصول الدين وعلومه وعرف من اعلام دمشق وشيوخها فولاه الملك الظاهر قضاء الشام، وعزل بعد عشر سنين. تولى التدريس في مدارس دمشق وكان من الاعلام، وتوفى ودفن في سفح جبل قاسيون ب دمشق سنة ٦٨١هـ ١٢٨٢/م.

[4]/ هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير، عماد الدين، أبو الفداء ,البصروي، ثم الدمشقي، القرشي المعروف بابن كثير، فقيه، مفت، محدث، حافظ ,مفسر، مؤرخ، عالم بالرجال ولد في سوريا سنة ٧٠٠هـ كما ذكر أكثر من مترجم له أو بعدها بقليل كما قال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة. وكان مولده بقرية" مجدل "من أعمال بصرى من منطقة سهل حوران درعا حاليا في جنوب دمشق توفي إسماعيل بن كثير في يوم الخميس ٢٦شعبان سنة ٧٧٤هـ في دمشق عن أربع وسبعين سنة وكان قد فقد بصره في آخر حياته، وقد ذكر ابن ناصر الدين أنه "كانت له جنازة حافلة مشهودة، ودفن بوصية منه في تربة شيخ الإسلام ابن تيمية بمقبرة الصوفية.

العماد[1] فـى "شَـذَرات الـذهب"، وصـاحبة "الـدُّرّ المنثـور فـى طبقـات ربـات الخـدور"، والزِّرِكْلـى فـى"الأعـلام". كمـا ذكرهـا القُشَيْرى[2] فـى "الرسـالة"، وأبـو طـالـب المكـى[3] فـى "قـوت القلـوب"، والغزالـى فـى "الإحيـاء"، والسـهروردى[4] فـى "عـوارف المعـارف"، والشعرانى[5] فى "طبقاته"، وغيرهم.

والخطـأ الثـانى أنهـم عـالجوا الموضـوع الـذى يريـدون معالجتـه بطريقـة تعتمـد علـى الإثـارة والتهيـيج والتحقيـق، والواجـب علـيهم أن يسـلكوا أحـد طـريقين: الطريـق الأول التحقيق فيمـا يُنْسَـب إلـى رابعـة العدويـة، فليس كل مـا نُسِـب اليهـا صـحيحا موثقـا، من ذلك أنهم نسبوا اليها هذه الأبيات المشهورة تناجى بها ربها سبحانه:

فليتـــك تحلـــو، والحيـــاة مريـــرة	**وليتـــك ترضـــى، والأنـــام غضـــابُ**
وليـــت الـــذى بينـــى وبينـــك عـــامرٌ	**وبينـــى وبـــين العـــالمين خـــرابُ**

والأبيات ليست لرابعة بل البيت الأول من شعر أبـى فراس الـحَمْدانى فى خطاب ابن عمه الأمير المشهور سيف الدولة، وهما مذكوران فى ديوانه من قصيدة مطلعها:

أَمـــــا لجميـــــلٍ عـــــدكنّ ثـــــوابُ   **لقـــد ضَـــلَّ مـــن تَحْـــوِى هـــواه خريـــدةٌ**

[1]/ ابن العماد الحنبلي هو عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي أبو الفلاح ١٠٣٢)هـ ١٠٨٩ - هـ (مؤرخ، فقيه، عالم بالأدب، ولد في صالحية دمشق، وأقام في القاهرة مدة طويلة، ومات بمكة حاجاً.

[2]/ عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري إمام الصوفية، وصاحب الرسالة القشيرية في علم التصوف، ومن كبار العلماء في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر، الملقب بـ "زين الإسلام، ولد القشيري بقرية تدعى "إستو" من قرى "نيسابور" في ربيع الأول من سنة ٣٤٦هـ، توفي القشيري سنة ٤٦٥هـ.

[3]/ الإمام الزاهد العارف، شيخ الصوفية أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي، المكي المنشأ، العجمي الأصل. صاحب كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب المشهور في التصوف، الذي أخذ منه الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين. توفي في جمادى الآخرة سنة ٣٨٦ هـ.

[4]/ هو الإمام العالم الزاهد المحدّث، شيخُ الإسلام، شهاب الدين أو حفص: عُمر بن محمد بن عبدالله وينتهي نسبه إلى أبي بكر الصدّيق، السهروردي البغدادي الشافعي الصوفي. ولد الشيخ في رجب سنة ٥٣٩هـ بسُهرورد، ونشأ بها، ولما بلغ من العمر ستة أشهر قُتل أبوه - رحمه الله - فنشأ في حجر عمه أبي النجيب وعنه أخذ التصوف والوعظ.

[5]/ الإمام أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي المشهور بالشعراني، العالم الزاهد، الفقيه المحدث، المصري الشافعي الشاذلي الصوفي الأنصاري. يسمونه الصوفية بالقطب الرباني. (٨٩٨ هـ - ٩٧٣

ولا لمســــئٍ عنـــــدكن متـــــابُ؟ وقـــد ذَلَّ مـــن تَقْضـــي عليـــه كَعَـــابُ

وأبو فراس كان فى القرن الرابع الهجرى، ورابعة فى القرن الثانى. أما البيت الثاني فهو من قصيدة المتنبى فى مدح كافور، وفيه "المال" مكان "الكُلّ". وكل مافى الأمر أن الصالحين وجدوا أن هذا الشعر لا يجوز أن يخاطَب به إلا الله ﷻ فنسبوا الخطاب فيه لمن هو أهله، ولا أدرى من نسب الشعر إلى رابعة، خاصة ولم أقرأ هذا فى كتاب معتبر، وإن كان مشهورا على الألسنة، وليس كل مشهور على الألسنة حجة. وكذلك ماينسب اليها من الشعر الذى تقول فى آخره:

لـــيس لى فـــى الجِنَـــان و النـــار حَـــظٌّ أنـــا لا أبتغـــى بحبـــى بـــديلا

والواقع أن هناك أشياء كثيرة تنسب إلى رابعة لا يمكن أن تكون صحيحة، وبخاصة أن أقرب من ترجموا لها، وهو الجاحظ الذى عاش فى القرن التالى لقرن وفاتها، لم يذكر عنها إلا أنها كانت من النساء الناسكات الزاهدات من أهل البيان، وذلك فى "البيان والتبيين" و"الحيوان" و"المحاسن والأضداد"، ثم أورد عنها فى الكتاب الأول الحكايتين التاليتين: "قيل لرابعة القيسيّة: لو كلّمتِ رجالَ عشيرتِك فاشتَرَوْا لكِ خادما تكفيك مهنةَ بيتِك؟ قالت: والله إني لأستحي أن أسأل الدُّنيا مَن يملك الدنيا، فكيف أسألها من لا يملكُها؟"، "وقيل لرابعة القيسية: هل عملتِ عملا قطُّ تَرَيْنَ أنَّه يُقْبَلُ منك؟ قالت: إنْ كان شيءٌ فخوفي من أن يُرَدَّ عليَّ"، وهذا كل ما هنالك.

والسؤال هنا إذا كان الجاحظ المستقصِى، وهو أقرب من كتبوا عنها إلى عصرها، لم يزد فى الكتابة عنها على هذه السطور القلائل، فضلا عن أن أحدا آخر من كتاب عصره أو من العصر الذى يليه لم يكتب شيئا فى هذا الموضوع، فمن أين أتى من جاؤوا بعده بهذا الذى يُعْزَى إليها من أشعار وأنثار ومواقف وحكايات؟ ومن نقله إليهم يا ترى؟

والراجح عند الباحث إن بعض هذا المنسوب إليها قد يكون صحيحا، إذ لعله كان موجودا فى كتب مبكرة ضاعت فلم تصل إلينا أو لعله استمر يُتَنَاقَل شفويا حتى سجله بعض من أتى بعد الجاحظ. ولا أريد أن أجادل فى هذا رغم غرابته، لكننى فى ذات

الوقت لا أستطيع أن أقبل ما يمتلئ من تلك الأخبار بالمبالغة التى لا يقبلها العقل أو التى تتعارض مع ما نعرفه من الطبيعة البشرية، مع أخذنا فى الاعتبار أن هناك دائما استثناءات من الطابع الشائع لهذه الطبيعة، إلا أن هناك دائما سقفا لا يمكن أن ترتفع فوقه تلك الطبيعة.

وأرجو أن يتنبه القارئ إلى أن الاختلاف فى سنة وفاة رابعة يبلغ خمسين عاما، إذ يقول بعض إنها ماتت سنة ١٣٥هـ، وبعض آخر سنة ١٨٥هـ. فإذا كان الشك فى تاريخ وفاتها يبلغ هذا المدى، فما بالنا بأخبارها وأقاويلها وأشعارها، التى لم تسجل إلا بعد تلك الوفاة بزمنٍ جدِّ طويل؟

المبـــحث الثـاني

أشعـار رابـعة العدويـة

المطلب الأول

أغراضها وقصائدها ومقطوعاتها

الرقم	القافية	عدد المقطوعات	عدد القصائد
١	الهمزة	-	-
٢	الباء	١	-
٣	التاء	٢	-
٤	الثاء	-	-
٥	الجيم	-	-
٦	الحاء	-	-
٧	الخاء	-	-
٨	الدال	-	-
٩	الذال	-	-
١٠	الراء	-	-
١١	الزاي	-	-
١٢	السين	١	-
١٣	الشين	-	-
١٤	الصاد	-	-

١٥	الضاد	-	-
١٦	الطاء	-	-
١٧	الضاء	-	-
١٨	العين	-	-
١٩	الغين	-	-
٢٠	الفاء	-	-
٢١	القاف	-	-
٢٢	الكاف	١	-
٢٣	اللام	-	-
٢٤	الميم	-	-
٢٥	النون	-	-
٢٦	الهاء	-	-
٢٧	الواو	-	-
٢٨	الياء	-	-

المطلب الثالث

الموسيقى الشعرية

ولكل بحر من هذه البحور الشعرية ما يشاكله ويوافقه من المعاني، فما يصلح لغرض ما لا يصلح لبقية الأغراض ولذلك نجد شاعرتنا رابعة بما لها من ذائقة أدبية تخيرت من البحور ما وافق غرض الزهد واسقطت ما لم يوافق غرضها، فأتت أشعارها على ثمانية أبحر فقط بيانها كالاتى

الرقم	البحر	عدد القصائد	عدد الأبيات
١	الطويل	١	٢
٢	الكامل	١	٢
٣	المتقارب	٢	١١
٤	الوافر	١	٢
المجموع	٤	٥	١٧

المبحث الثالث

أراءها الزهدية

المطلب الأول

الحب الإلهي

هناك من يرى أن رابعة هى رائدة الحب الإلهى، إذ كان التصوف قبلها، كما يقولون، قائما على الرجاء فى الجنة والخوف من النار، إلى أن ظهرت على المسرح الصوفى رابعة العدوية فانتقل التصوف معها من الرجاء والخوف إلى الحب، الذى كانت أول من استعمل لفظه، بعدما كان المتصوفة السابقون يتحدثون عن الشوق أو العشق مثلا، والذى أصبح كل همها معه هو مشاهدة حقيقة الله العلية واجتلاء طلعة جماله القدسية دون طمع فى جنته أو خوف من ناره، وإن كانت قد بدأت أولا بنفس الطريقة التى كان عليها المتصوفة الذي سبقوها، أما من جاؤوا بعدها فصاروا يستعملون مثلها لفظ "الحب" و"المحبة" ويؤكد الباحث أنه حيثما وجه وجهه فى آثار رابعة رأى رسالة المحبة ومدرستها[1].

ولم تكتفِ بذلك بل واصلت في هذا الصدد حتى علَّمت الناس أن الحياة محبة: محبة للناس جميعا، ومحبة للكون بكل ما فيه وبكل ما اشتمل عليه لأنه من صنع الله، ومحبة للقضاء والقدر لأنهما من أمر الكريم الحبيب، كما علمتْهم أن عبادة الله ﷻ أساسها الحب، مقمية بذلك صلة العبد بربه على أقوم نهج تعبدى، نهج الشوق والأنس والرضا[2].

---

[1]/ انظر الحب الإلهى فى التصوف الإسلامى، لد. محمد مصطفى حلمى، دار القلم، سلسلة المكتبة الثقافية، العدد ٢٤، أول نوفمبر ١٩٦٠م/ ٨٢ وما بعدها.

[2]/ (انظر كتابه: "رابعة العدوية والحياة الروحية فى الإسلام/ ٣٢)

المطلب الثاني

التوبة

التوبة مصدر مأخوذ من الرجوع والأوبة، وهي في حقيقتها تحتوي على ثلاثة معانٍ إذا اجتمعت حصلت التوبة، فإذا كانت التوبة مستوفية الأركان والشروط فهذه لابد أن تُقبَل حسب سنن الله، وسُئلت السيدة رابعة العدوية يوماً: هل إذا تُاب المرؤ تاب الله عليّه، فقالت: بل إذا تاب الله علي الفتى تاب، أوما قرأتم قوله تعالى (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)[1]، فكونه وفّقك للتوبة دليل على قبولها.

يرى الإمام الغزالي رحمه الله رحمة واسعة أن التوبة سنة من سنن الله، ويقول أيضا كما أن الصابون يزيل الأوساخ فأن التوبة تزيل الذنوب، وتحرقها، فالندم والعزم يحرق الذنوب ويغسلها غسلاً، وهناك دلائل على صدق التوبة، من هذه الدلائل أن يكون بعد التوبة خيراً من ما قبل التوبة، فيجد الفتى نفسه أحسن من السابق فمثلاً إن كان ثقيل الصلاة، وثقل الصلاة من صفات المنافقين لقوله تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)[2]، فسيجد نفسه نشيطا، وإن كان يغلبه شح نفسه فلا يُخرج الزكاة فالآن تغلبه الأريحية ويُخرج الزكاة، وكان أبان الصيام يتكلم عن الناس والآن أصبح صيامه مطهراًمن اللغو والرفث فيشعر أنه أحسن حالاً من قبل، أيضاً من دلائل قبول التوبة أنه يجد إيمانه أقوى وهذا شعور، فكما قلنا أن التوبة تجدد الإيمان فالقرآن يقرن التوبة بالإيمان دائما كقوله تعالى: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا)[3]، وبيان سبب إقترانهما موضحوا في الأحاديث أن الإنسان

---

[1]/ سورة الأنفال، الآية ١١٧.

[2]/ سورة النساء، الآية ١٤٢.

[3]/ سورة مريم الآية ٦٠.

لما يُذنب الذنب من زنى أو كذا، يرتفع الإيمان ويكون عليه مثل الظُلَّة، وإذا عاد رجع إليه الإيمان، فالتوبة ترد إليه الإيمان، فإذا شعر بأن إيمانه تجدد هذا أيضاً من قبول التوبة، أيضاً الخوف فإذا شعر أنه لا يفارقه الخوف دائماً يتذكر ذنبه الذي مضى وكلما كثر الذنب شعر بالفقر إلى الله شعر بالانكسار إلى الله كما جاء في الحديث القدسي "أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي"[1]، كسرة القلب هذه من أثر التوبة النصوح، فشعوره بالانكسار إلى الله وبالحاجة إلى الله عز وجل، هذا كله من دلائل قبول التوبة أيضاً رغبته في مجالسة الصالحين وأنه كان سابقاً له ناس وشِلل معينة يحاول يزورها ويقعد معها ويتباهى بهم لا، غيَّر طريقته وغيَّر جلسائه وغيَّر أصدقائه فهذا كله من دلائل قبول التوبة ودليل أنها توبة نصوح إن شاء الله

كان من الصالحين من يستغفر الله من المباحات لانه يرى أن حاله مع الله هو طلب إرتقاء في سائر الأحوال .. فإذا عمل مباحاً دون أن ينوي في عمله هذا طلب القرب من الله تعالى استغفر الله من عمله الطاعات كان بعض الصالحين يتوب ألى الله من بعض الطاعات يتوب من معنى قد يرد على قلبه عند الطاعة ولم يشعر بفضل الله عليه أنه وفقه لتلك الطاعة، أرقى من كل ذلك قول رابعة العدوية رحمها الله: أن استغفارنا يحتاج إلى استغفار هذه هي التوبة تبدأ من هذه الليلة ولا منتهى لها كلما ارتقيت بالقرب من الله معنى تطلب التوبة من المعنى الذي قبله؟ قال أحدهم لرابعة العدوية ادع لي أن أتوب إلى الله ليتوب علي قالت بل أدعو لك أن يتوب عليك الله لتتوب.

---

[1]/ صحيح البخاري

المطلب الثالث

المراقبة

راقبَ اللهَ تعالى في أَمرِهِ أَي خافَه، أما رابعة فكانت مراقبته لله شوقا لا خوفا من ذلك ما يروى أن رابعه العدوية كانت تشتاق إلى لحظة الانتقال من هذه الحياة لأنها ستلقى بعدها من يملأ قلبها وروحها، وقد عاشت حتى الثمانين من عمرها تضع أكفانها أمام ناظريها فوق مشجب من قصب فارسي حتى لا يغيب عن بالها أبدا ذكر الموت، وتذكر خادمتها عبده بنت أبي شوال إنها عندما حضرتها الوفاه قالت لها: (يا عبده لا تؤذي أحداً بموتي ولفيني في جبتي هذه)[1]، وهي جبه من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون، وقالت في لحظاتها الأخيرة لمن حولها: (اخرجوا ودعو الطريق مفتوحه لرسل الله)[2]، فخرجوا وأوصدوا الباب فسمعوا صوتها وهي تنطق بالشهادة، فأجابها صوت مسموع (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً *فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي)[3]، وقوله تعالى: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)[4].

---

[1]/ انظر الحب الإلهى فى التصوف الإسلامى، لد. محمد مصطفى حلمى، دار القلم، سلسلة المكتبة الثقافية، العدد ٢٤، أول نوفمبر ١٩٦٠م/ ٨٢ وما بعدها.

[2] / المرجع والصفحة السابقتين

[3]/ سورة الفجر، الآيات من ٢٧ ـ ٣٠ .

[4]/ سورة التوبة، الآية ١١٧.



الفصل السادس

الصورة الفنية عند شعراء الزهد

المبحث الأول

ديوان عبـــد الله بن المبــــارك

أغراضه وقصـــائده ومقطـــوعاته

المطلب الأول

أغراض عبد الله بن المبــــارك الشعرية

اتسمت القصيدة العربية منذ بداياتها بتعدد أغراضها، ويتجلى هذا المذهب في النتاج الشعري للجاهليين، فقد زخرت قصائدهم بمختلف الأغراض دون أن تنبو عن الذوق أو تخل بوحدتها الشعرية، وقد تميز الشعراء الجاهلين بموهبة فطرية وذكاء متقد فتمكنوا من الإمساك بزمام الأبيات في وحدة موضوعية، فلا تجد بيتا يمكن استبداله ببيت آخر إلا واختل المعنى، وفقدت القصيدة رونقها وبهاءها.

فالقصيدة الواحدة يمكن أن تحوي عدداً من الأغراض كالمعلقات ويمكن أن تقتصر على غرضين فأكثر كغالبية القصائد، لأنها تبدأ بالنسيب ثم تخلص إلى المدح أو أي غرض آخر وقد يفصل الشاعر بين النسيب والمدح بصفة طول رحلته وما لقيه من عنت وشقاء ليحمل الممدوح على العطاء.

ولم يحد الشعراء عن هذا النمط حتى نهايات القرن الأول الهجري وبدايات القرن الثاني الهجري، فقد ظهر عدد من الشعراء قصروا القصيدة على غرض واحد ولم يتعدوه إلى سواه، ولم يقفوا عند هذا الحد بل ذهب بعضهم إلى الترفع عن قول غرض بعينه، وغالبا ما يكون غرض الهجاء لما فيه من سوء الأثر وقبح السمعة، فقد سئل العجاج وهو عبد الله بن رؤبة لم لا تهجوا؟ فقال: (ولم أهجوا؟! إن لنا أحسابا تمنعنا

من أن نُظلم، وأحلاما تمنعنا من أن نَظلم، وهل رأيتم بانيا لا يُحسن أن يهدم؟ ثم قال أتعلمون أني أحسن أن أمدح؟ قيل نعم، قال: أفلا أحسن أن أجعل مكان "أصلحك الله" "قبحك الله"، ومكان "حياك الله" "أخزاك الله"؟)[1]، وسئل نصيب بن رباح الأسود عن مثل ذلك فقال: (إنما الناس أحد ثلاثة رجل لم أعرض لسؤله، فما وجه ذمه؟! ورجل سألته فأعطاني فالمدح أولى به من الهجاء، ورجل سألته فحرمني فأنا أولى بالهجاء منه)[2].

رغم كثرة من سمى بشعره عن الهجاء، فإن بعض الشعراء قد تركوا المدح أيضا لما فيه من شبهة التكسب والاتجار بالشعر. وهذان الغرضان هما عمدة الشعر وما بقي من الأغراض فعيال عليهما ما عدا الغزل؛ لذلك لاذ به عدد من الشعراء بدء بعصر صدر الإسلام إلى العصر العباسي، وأضاف الشعراء العباسيون عدداً غير قليل من الأغراض الشعرية فظهر لدينا قصائد كاملة في الحكمة أمثال قصيدة صالح بن عبد القدوس[3] التي يقول فيه:

صرمت حبالك بعد وصلك زينبُ	والدهرُ فيه تصرمٌ وتقلب
نشرت ذوائبها التي تزهو بها	سوداً ورأسُك كالثغامة أشيب
واستنفرت لما رأتك وطالما	كانت تحن إلي لقاك وترغب
وكذاك وصلُ الغانيات، فإنه	آلٌ ببلقعة وبرقٌ خلب
فدع الصبا، فلقد عداك زمانه	وازهد فعمرك مر منه الأطيب

[1]/ العمدة في صناعة الشعر ونقده، ج١، ص١٧٦.

[2]/ العمدة في صناعة الشعر ونقده، ج١، ص١٧٦.

[3]/ صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس الأزدي الجذامي، أبو الفضل. ؟ - ١٦٠ هـ / ؟ - ٧٧٦ م، شاعر حكيم، كان متكلماً يعظ الناس في البصرة، له مع أبي الهذيل العلاف مناظرات، وشعره كله أمثال وحكم وآداب، اتهم عند المهدي العباسي بالزندقة، فقتله في بغداد. قال المرتضى: (قيل رؤى ابن عبد القدوس يصلي صلاة تامة الركوع والسجود، فقيل له ما هذا ومذهبك معروف؟ قال: سنة البلد، وعادة الجسد، وسلامة الولد!) وعمي في آخر عمره.

ذهـــب الشـــبابُ، فمـــا لـــه مـــن عـــودةٍ — وأتـــى المشـــيبُ، فـــأين منـــه المهـــرب

دع عنـــك مـــا قـــد كـــان في زمـــن الصـــبا — واذكـــر ذنوبـــك، وابكهـــا يـــا مـــذنب

واذكـــر مناقشـــة الحســـاب، فإنـــه — لا بـــد يحصـــى مـــا جنيـــت ويكتـــب

لم ينســـه الملكـــان حـــين نســـيته — بـــل أثبتـــاه، وأنـــت لاه تلعـــب

والـــروح فيـــك وديعـــة أودعتهـــا — ســـتردها بـــالرغم منـــك وتســـلب

وغـــرور دنيـــاك الـــتي تســـعى لهـــا — دارٌ حقيقتهـــا متـــاع يـــذهب

والليـــل، فـــاعلم، والنهـــار كلاهمـــا — أنفاســـنا فيهـــا تعـــد وتحســـب

وقصيدته الأخرى التي يقول فيها

المـــرء يجمـــع، والزمـــان يفـــرقُ — ويظـــل يرقـــعُ والخطـــوب تمـــزق

ولأن يعـــادي عـــاقلاً خـــيرٌ لـــه — مـــن أن يكـــون لـــه صـــديقٌ أحمـــق

فاربـــأ بنفســـك أن تصـــادق أحمقـــاً — إن الصـــديق علـــى الصـــديق مصـــدق

وزن الكـــلام، إذا نطقـــت، فإنمـــا — يبـــدي عقـــول ذوي العقـــول المنطـــق

ومـــن الرجـــال إذا اســـتوت أحلامهـــم — مـــن يستشـــار، إذا استشـــير، فيطـــرق

حتـــى يحـــل بكـــل واد قلبـــه — فـــيرى ويعـــرف مـــا يقـــول وينطـــق

لا ألفينـــك ثاويـــاً في غربـــةٍ — إن الغريـــب بكـــل ســـهم يرشـــق

مـــا النـــاس إلا عـــاملان: فعامـــلٌ — قـــد مـــات مـــن عطـــش وأخـــر يغـــرق

المطلب الثاني

قصائد عبد الله بن المبارك ومقطوعاته

كثر الشعراء الذين كتبوا في غرض واحد، فمنهم من اختص بالغزل أو الزهد كما فعل شاعرنا عبد الله بن المبارك الذي كتب ديواناً كاملاً في الزهد، مكون من ٧٦ قصيدة، ومن ٣٣٤ بيتا شعريا، لكن قبل أن نبين عدد القصائد والمقاطع الزهدية لهؤلاء الشعراء الخمسة، ولابد لنا من تعريف كل من القصيدة والمقطع والمفاضلة بينهما، فالقصيد لغة الغليظ السمين، والقصيد من الشعر: ما تم شطر أبياته، وسمي بذلك لكماله وصحة وزنه. وقال ابن جني: سمي قصيداً لأنه قصد واعتمد ونقح وجود فجاء تاما[١]، أما المقطع الشعري فهو جزء شعري لم يبلغ مرتبة القصيد، إذن فكل طويل قصيد وكل قصير مقطع.

اختلف النقاد في الحد الذي يجعلنا نقول هذا مقطع شعري وتلك قصيدة كاملة، فمنهم من قال أن المقطع الشعري ستة أبيات وما دونهما، فإذا بلغت الأبيات سبعة فهي قصيدة، ويحتجون لقولهم هذا بأن الإيطاء مقبول بعد السبعة أبيات[٢]، إذن فالسبعة تمام القصيدة عند العروضيين وهذا من الغريب غير المعمول به وذهب جمهور النقاد إلى تسمية ما كان على ثلاثة أبيات أو عشرة أو خمسة عشر قطعة، وأما ما زاد على ذلك فتسميه العرب قصيدة[٣].

والراجح أن سبب الاختلاف يعود إلى المفاضلة بين طوال القصائد وقصارها وتعذر الحكم لأحدهم بالفضل على صاحبه؛ لحاجة الشاعر لكليهما، وقد نبه على هذه الحاج الفراهيدي في قوله: (يطول الكلام ويكثر ليفهم ويوجز ويختصر ليحفظ.

---

[١]/ لسان العرب لبن منظور، ج٩، ص١٠٨.

[٢]/ أنظر أسس النقد الأدبي عند العرب، ١٠٣.

[٣] / لسان العرب لبن منظور، ج٩، ص١٠٨.

وتستحب الإطالة عند الإعذار والإنذار والترغيب والترهيب والإصلاح بين القبائل كما فعل زهير والحارث بن حلزة، وإلا فالقطع أطير في بعض المواقع)[1].

وقد احترت بين العشرة والخمسة عشر فاخترت التوسط في استعراضي لقصائد الزهد فجعلت القصيدة ما جاوزت الإثني عشر وما دونها مقطوعة، وقد رتبتها كما يلي:

الرقم	القافية	عدد المقطوعات	عدد القصائد
١	الهمزة	١	—
٢	الباء	٦	—
٣	التاء	١	—
٤	الثاء	—	—
٥	الجيم	—	—
٦	الحاء	٤	—
٧	الخاء	—	—
٨	الدال	٨	—
٩	الذال	—	—
١٠	الراء	١٠	١
١١	الزاي	—	—
١٢	السين	٢	—
١٣	الشين	—	—

[1]/ أنظر أسس النقد الأدبي عند العرب، ١٠٣.

١٤	الصاد	١	ـ
١٥	الضاد	ـ	ـ
١٦	الطاء	ـ	ـ
١٧	الضاء	ـ	ـ
١٨	العين	٩	١
١٩	الغين	ـ	ـ
٢٠	الفاء	ـ	١
٢١	القاف	٤	ـ
٢٢	الكاف	ـ	ـ
٢٣	اللام	٧	ـ
٢٤	الميم	٨	ـ
٢٥	النون	٩	٢
٢٦	الهاء	ـ	ـ
٢٧	الواو	ـ	ـ
٢٨	الياء	ـ	ـ

إذن فوحدة الغرض لم تعد مما يعيب الشاعر بل أصبحت مصدر فخر، وكثر الشعراء الذين اختصوا بغرض الزهد ليقفوا في وجه تيار المجون الذي طغى على المجتمع العباسي حتى انسلخ من جذوره الإسلامية أو كاد.

المبحث الثاني

اللغة الشعرية

لا أريد هنا التعرض لجمال لغة عبد الله بن المبارك ولا لفصاحتها فهذا مما لا يخفى على اللبيب، لكنني أريد أن أشير إلى الروافد اللغوية التي أترعت قصائد ابن المبارك وجعلت من حسن اختيار المفردة وكيفية توظيفها في خدمة المعنى المراد فن لا يعدله فن، ومركباً وعراً لا يركبه إلا من أحاط بهذا العلم ونفذ إلى جوهره، فجلاه وصقله فملك به الألباب والأفئدة. فقد استطاع ابن المبارك إدخال هذه المفردات القرآنية وسط قصائده مؤكدا قوة تأثره بالدين الحنيف، وإلمامه بقصصه وأخباره، آخذا العظة والعبرة.

المطلب الأول

سمات المفردة الشعرية

المفردات العربية الخالصة:

وأعنى هنا المفردات العربية الموغلة في العروبة والتى يتحاشاها كثير من الشعراء لوعورتها، أو لجهلهم بها فقد طال زمان مكثهم بالمدينة حتى نسوا البادية، أو لم يسكنوها أصلا لصغر سنهم، ووجود هذه الكلمات في قصائد العباسين تدل دلالة واضحة على تمكن الشاعر واقتداره على دمجها في أشعاره دون أن تمجها الأذان أو ترفضها الأذهان.

المفردة الأولى: الكشح

هو ما بين الخاصرَة إلى الضِّلَع الخَلْفِي، أو من لدُنِ السُّرّة إلى المَتْن، قال طرَفة:

وآليتُ لا يَنفَكُّ كَشْحِي بِطَانَةً ... لعَضْبٍ رَقِيقِ الشّفرتين مُهَنّدِ

وقيل: هو الخَصْرُ. وقيل: هو الحَشَى. والكَشْح: أَحدُ جانِبَي الوِشَاح. وهما كَشْحَانِ، وهو مَوْقِع السَّيفِ من المُتقلِّد، وفي حديث سعْد: إنَّ أَميرَكم هذا الأَهضَمُ الكَشْحَيْن، أَي دَقيقُ الخَصْرَين. وقيل الكَشْحَانِ جانِبَا البَطْنِ من ظَاهرٍ وباطنٍ، وهما من الخَيْل

كذلك[1]. أدخل ابن المبارك هذه اللفظة الوعرة في أرق الأغراض الشعرية الا وهو غرض الغزل :

فتَوهَّمتُـــك حتّـــى خلـــتُني بـــينَ كشـــوحِك

المفردة الثانية : ريح الصبا أو ريح الشرق

من عادات العرب في الجاهلية تسمية الريح فنجد الصبا وهي ريح الشرق والدبور وهي الرياح التى من الخلف، أما مناداة الحبيبة وتذكرها عند هبوب ريح الشرق مما سنن الشعراء الجاهليين التى سار عليها بقية الشعراء، وفيها يقول شاعرنا محمد بن المبارك:

هبَّـــتِ الـــريح مـــن الشـــرقِ فجـــاءَتني بريحِـــك

المفردة الثالثة : الســـرد

السَّرْدُ: الخَرْزُ في الأَدِيم والنَّعْل وغيرِهمَا، والسَّرَّاد: الخَرَّاز. و الخَرْزُ مَسْرودٌ ومُسَرَّدٌ. وسَرَدَ خُفَّ البَعِيرِ سَرْداً: خَصفَه بالقِدِّ كالسِّرَاد بالكسر، والسَّرْدُ: الثَّقْبُ وأَنشد في الفَرْق:

كـأَنَّ فُـروجَ اللأْمـةِ السَّـرْدِ شَـدَّهَا عَلـى نَفْسِـهِ عَبْـلُ الـذِّرَاعَيْنِ مُخْـدِرُ

وقال ابن المبارك:

نظَـرتُ إليهـا نظـرَةَ لـو كسـوتُها ســرابيلَ أبـدانِ الحديـد المُسَــرَّدِ

المفردة الرابعة : جـــــرش

والجَرِيشُ: دَقِيقٌ فِيه غِلَظٌ، يَصْلُح للخَبِيصِ المُرَمَّلِ. والجَرْشُ: صَوْتٌ يَحْصُلُ من أَكْلِ الشَّيءِ الخَشِنِ[2]، وقد ذكره ابن المبارك في صياغ الحث على الزهد، فقال:

كـــل مـــن الجـــاروش والـــرزِ ومـــن خبـــزِ الشـــعيرِ

---

[1] / لسان العرب، ابن منظور، ج٩، ص٢٣٣.

[2] / لسان العرب، ابن منظور، ج٢، ص٢١٧.

المفردة الخامسة : دلـــــــــس

يُقَال: فُلانٌ: لا يُدَالِسُ، ولا يُوَالِسُ، أَي لا يَظْلِمُ ولا يَخُونُ ولا يُوَارِبُ. وفي اللِّسَان: أَي لا يُخَادِعُ ولا يَغْدِرُ. وهو لا يُدَالِسُك: لا يُخَادِعُكَ ولا يُخْفِي عليكَ الشَّيْءَ، فكَأَنَّهُ يَأْتِيكَ بهِ في الظَّلامِ. وقد دَالَسَ مُدَالَسَةً ودِلاَساً. ومِمَّا يُسْتَدْرَك عليه: التَّدْلِيسُ: عَدَمُ تَبيِينِ العَيْبِ، ولا يُخَصُّ به البَيْعُ. وانْدَلَسَ الشَّيْءُ، إذا خَفِيَ. ودَلَّسْتُه فتَدَلَّسَ، وتَدَلَّسْتُه[1]، قال ابن المبارك:

دلَّـــسَ للنـــاس أحاديثَـــه والـلَـــه لا يقبـــلُ تدليســـا

المفردة السادسة : هـــتـــن

هَتَنَتِ السماء تَهْتِنُ هَتْناً وهتوناً وهَتناناً وتَهْتاناً وتَهاتَنَتْ: صَبَّتْ، وقيل: هو من المطر فوق الهَطْلِ، وقيل: الهَتَنان المطر الضعيف الدائم. ومطر هَتُون: هَطُولٌ. وسحابة هَتُون وسحاب هاتِنٌ وسحاب هَتُون، والجمع هُتُن مثل عَمُود وعُمُد[2]، قال ابن المبارك:

تـــذكّرتُ أيـــامَ مـــن قـــد مَضـــى فهـــاجَ لـــي الـــدمعَ ســحّاً هتونـــا

المفردة السابعة: عـــزيـــن:

العِزَة: الجماعةُ والفِرْقَةُ من الناسِ، والهاءُ عِوَضٌ من الياء، والجَمع عِزىً على فِعَل وعِزُون، وعُزون أَيضاً بالضم، ولم يقولوا عِزات كما قالوا ثُبات؛ وأَنشد ابن بري للكميت:

ونحـــنُ، وجَنْـــدَلٌ بـــاغٍ، تَرَكْنـــا كَتائـــبَ جَنْـــدَلٍ شَـــتىً عِزِينـــا

وقوله تعالى: عن اليَمِين وعن الشِّمالِ عِزِينَ؛ معنى عِزِين حِلَقاً حِلَقاً وجَماعةً جماعةً وعِزُونَ: جَمْع عِزَةٍ فكانوا عن يَمِينِه وعن شِماله جماعاتٍ في تَفْرِقَة. وقال الليث: العِزَةُ عُصْبَة من الناس فَوْقَ الحَلْقَة ونُقْصانُها واو. وفي الحديث: ما لي أَراكم

---

[1]/ لسان العرب، ابن منظور، ج٧، ص٢٧٧.

[2]/ لسان العرب، ابن منظور، ج٥، ص٣١٧.

عِزِينَ؟ قالوا: هي الحَلْقَة المُجْتَمِعَة من الناس كأَنَّ كلَّ جماعةٍ اعْتِزَاؤها أَي انْتِسابُها واحِدٌ، وأَصلها عِزْوَة،ويَأْتي عِزين بمعنى مُتَفَرّقِين ولا يلزم أَن يكون من صفَة الناس، قال ابن المبارك:

وصـــحبي والأهـــلُ فـــارقتهم وكنـــتُ أراهُـــم رفاقـــاً عزينـــا

المفردة الثامنة: العـــشـــار

العِشَار من الإِبِل الَّتي قد أَتَى عليها عَشَرَةُ أَشْهَرٍ. وبه فُسِّر قولُه تعالى: وإِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ قال الفَرّاءُ: لُقَّحُ الإِبِلِ عَطَّلَتَها أَهْلُها لاشْتِغالهم بأَنْفُسِهم، ولا يُعَطِّلُها قَوْمُهَا إِلاّ في حالِ القِيَامَة. أَو العِشَارُ: اسمٌ يَقَعُ على النُّوقِ حَتَّى يُنْتَجَ بَعْضُها وبَعْضُها يُنْتَظَر نِتَاجُهَا[1]، قال الفَرَزْدَق:

كَـمْ عَمّـةٍ لـكَ يـا جَرِيـرُ وخَالَـةٍ فَـدْعاءَ قَـدْ حَلَبَـتْ عَلَـىَّ عِشَـارِي

قال ابن المبارك:

كـــأنّ تـــأوبَ أهلـــيهم حـــنينُ عشـــارٍ تحـــبُّ الحنينـــا

المفردة التاسعة: يـضـــارع

المُضارَعة: المُقارَبة. وفي حديثِ مُعاوية: لستُ بنُكَحَة طُلَقَةٍ، ولا بسُبَبَةٍ ضُرَعةٍ. أي لستُ بشَتّامٍ للرِّجالِ، المُشابِه لهم والمساوِي، أخذها ابن المبارك وصاغها بطريقة سلسة، في قوله:

ولا أقـــولُ بقـــول الجهـــم إنّ لـــهُ قـــولا يضـــارِعُ أهـــل الشـــك أحيانـــا

---

[1]/ ديوان محمود الوراق، ص٢٩٢.

المطلب الثاني

الاقتباس والتضمين

القبس هو المتناول من الشعلة، لقوله تعالى {إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ}[1]، والقبس والاقتباس طلب الشعلة من النار ثم استعير لطلب العلم والهداية، قال تعالى: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ}[2]، واقتبسته ناراً أو علماً أعطيته، والقبيس فحل سريع اللقاح تشبيهاً بالنار في السرعة[3].

وفي القاموس (القبس محركةٌ شعلةُ نار تقتبس في معظم النار كالمقباس وقبس يقبس منه ناراً، و اقتبسها: أخذها و العلمَ استفادة)[4]، وقال الزمخشري: (نقول: ما أنا إلا قبسه من نارك، وقبضة من أثارك، وقبسته ناراً واقتبسته، ومن المجاز: قبسته علماً وخبراً واقتبسته)[5]، والاقتباس في اللغة: (مصدر اقتبس إذا اخذ من معظم النار شيئا وذلك المأخوذ قَبَسٌ بالتحريك)[6].

أما الاقتباس اصطلاحاً: (فهو أن تدرج كلمة القران أو آية منهُ في الكلام تزييناً لنظامه، وتضخيماً لشأنه)[7]، أما عند الحلبي فهو: (أن يضمن الكلام شيئا من القران

---

[1]/ سورة النمل: آية ٧.

[2]/ سورة الحديد: آية ١٣.

[3]/ معجم مفردات ألفاظ القران، الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) تحقيق نديم مرعشلي دمشق، دار الفكر دار الكتاب العربي ١٩٧٢: (٤٠٥).

[4]/ القاموس المحيط، للفيروز أبادي، القاهرة المطبعة المصرية ١٩٣٥، ج٣، ص٥٤٩.

[5]/ أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود، بيروت، دار المعرفة ١٩٨٢، ج٢، ص٣٢٤.

[6]/ أنوار الربيع في أنوار البديع ابن معصوم، تحقيق شاكر هادي النجف مطبعة النعمان، ١٩٦٨، ج٢، ص٢١٧.

[7]/ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ود.محمد بركات حمدي، دار الفكر للتوزيع والنشر، عمان الأردن، ١٩٨٥، ص١٤٧.

والحديث ولا ينبه عليه للعلم به)[1]، وقد أضاف الخطيب القزويني الاقتباس إلى السرقة الشعرية ثم عرّفه بقوله: (أما الاقتباس فهو أن يضمن الكلام شيئاً من القران الكريم أو الحديث لا على انه منه ولا بأس بتغيير يسير لأجل الوزن أو غيره)[2]، وقال الشريف الجرجاني: (الاقتباس أن يضمن الكلام نثراً أو نظماً شيئاً من القران أو الحديث)[3].

التضمين:

ضَمَّنَ الشيءُ الشيءَ: أودعه إياه، كما تودع المتاع، والمضمّن من الشعر ما ضمنته بيتاً[4]، وكان أبن المعتز قد جعل التضمين من محاسن الكلام والشعر، والتضمين عند العسكري هو (استعارتك الأنصاف والأبيات من شعر غيرك وإدخالك إياها في أثناء أبيات قصيدتك تضمياً)[5]، أما عند القزويني فهو(أن يضمن الشعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء)[6]، إذن فافرق بين الفنين أن الاقتباس يخص القران الكريم والحديث النبوي الشريف والتضمين يخص الشعر[7]، ويرى ابن الأثير أن تضيمن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يرد على وجهين (احدهما تضمين كلي، والآخر تضمين جزئي، فأما التضمين الكلي فهو أن تدرج بعض الآية والخبر ضمن كلام فيكون جزءاً منه)[8].

---

[1]/ حسن التوسل في صناعة الترسل، شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سليمان بن فهد، تحقيق أكرم عثمان بغداد وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٠م، ص٣٢٥.

[2]/ الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، تحقيق جماعة من علماء الأزهر القاهرة (د.ت)، ص٣٢٢.

[3]/ التعريفات: ص ٢٥.

[4]/ لسان العرب لابن المنظور مادة ضمن، ج١٣، ص من ٢٥٧- ٢٦١.

[5]/ كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق د. علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت المكتبة العصرية ١٩٨٦م، ص٣٦.

[6]/ التلخيص للخطيب القزويني، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، القاهرة ١٩٣٢، ص٤٢٢.

[7]/ ينظر معجم النقد العربي القديم، د. احمد مطاوب، بغداد دار الشؤون الثقافية العامة١٩٨٩، ص من ٣٥٢ - ٣٥٣.

[8]/ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تحقيق احمد محمد الحوفي ود. بدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر القاهرة ١٩٥٩م، ج٣، ص٢٣٥.

وقد احتلت المفردة القرآنية مكاناً واسعا في نتاج شعر الزهد، فهذا الشافعي رضي الله عنه يقول بعد أن سأله أحدهم عن القدر:

فما شئت كان إن لم أشأ — وما شئت إن لم تشأ - لم يكن

خلقت العباد على ما علمت — ففي العلم يجري الفتى والمسن

فمنهم غني ومنهم فقير — وكلٌّ بأعماله مرتهن

فالمعنى واضح الصلة بقوله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَن يَشَاء اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}[1]، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِين}[2]، وقوله تعالى: {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}[3]، والاقتباس منها واضح (و هو مما يزداد به الكلام حلاوة ويكتسب به رونقاً وطلاوة ولا سيما إذا كان الاقتباس بآيات من القران الكريم فإنها تكون في الكلام كالشاهدة له، و المنادية على سداده)[4].

امتدح البلاغيون الاقتباس بقولهم: (... ويعد ضرباً من ضروب البلاغةً ولا سيما البديع فهو واحد من المحسنات البلاغية التي يُعنى بها الشاعر أو الناثر)[5]، ويقول أبو منصور الثعالبي ممتدحا الاقتباس من القران خاصة: (إنما قصارى المتحلين بالبلاغة والحاطبين في حبل البراعة أن يقتبسوا من ألفاظه ومعانيهِ في أنواع مقاصدهم أو يستشهدوا ويتمثلوا في فنون مواردهم ومصادرهم فيكتسي كلامهم بذلك الاقتباس مُعِرضاً ما لحُسنهِ غاية، ومأخذاً ما لرونقه نهاية، ويكسب حلاوة وطلاوة ما فيها إلا معسولة الجملة والتفصيل، ويستفيد جلالةً وفخامةً ليست فيهما إلا مقبولة الغرة والتحجيل)[6].

---

[1]/ سورة الإنسان، آية٣٠.

[2]/ سورة الطور، آية ٢١.

[3]/ سورة الملك، آية ١٤.

[4]/ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، لابن الأثير، تحقيق مصطفى جواد وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٦٥، ص ٢٣٢.

[5]/ انظر معجم آيات الاقتباس، حكمت فرج البدري، بغداد دار الرشيد للنشر ١٩٨٠م، ص ٨ وما بعدها.

[6]/ **الاقتباس من القران الكريم، لابي منصور الثعالبي، تحقيق د. ابتسام مرهون الصفار، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٥م، ج١، ص٢٣ – ٢٤.**

لقد تأثرت بنية النص الشعري ببنية النص القرآني، إذ كثيراً ما نجد شعراء الزهد قد اقتبسوا جملاً وعبارات قرآنية استلهموها واستعملوها في أشعارهم لنقل أحاسيس ومشاعر وأفكار وعواطف جالت في خلجات نفوسهم أو أحاسيس أرادوا نقلها وتوصيلها إلى نفس المتلقي. فمحاولة شعراء الزهد الاقتباس من القرآن الكريم يعني (محاولة التقرب من تلك الذروة العالية، وكلما أكثر الشعراء من اقتباسه كان أقرب إلى تلك الذروة)[1]، وسنذكر هنا قليلا من الاقتباسات القرانية التى أعلت شأن النص الشعري، وأعارته يسيرا من بيانها، فعلق بالقلوب الظامئة إلى التقوى.

أ. قال ابن المبارك:

ألا رُبَّ ذي طمـــرين في منـــزلٍ غَـــدا　　زرابيُّـــــهُ مبثوثـــــةٌ ونمارِقُـــــه

الزَّرابيُّ: البُسُطُ؛ وقيل: كلُّ ما بُسِطَ واتُّكِئَ عليه؛ وقيل: هي الطَّنافِسُ[2]؛ وفي الصحاح[3]: النَّمارِقُ، وفي قوله تعالى: {وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * **وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ**}[4]؛ الزَّرابيُّ البُسُطُ؛ وقال الفراء: هي الطَّنافِسُ، لها خَمْلٌ رقيق، أما النُّمْرُقُ والنُّمْرُقة والنِّمْرِقة، بالكسر: الوسادة، وقيل: وسادة صغيرة، والجمع نَمارق؛ قال محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي:

إذا ما بِسَاطُ اللهو مُدَّ وقُرِّبَتْ،　　لِلَذَّاتِه، أَنْماطُهُ ونَمَـارِقُهْ

وردت في قوله تعالى: {وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ}[5]؛ بمعنى الوسائد وفي أبيات هند بنت عتبه:

نَحْـــــنُ بَنــــــاتُ طــــــارق،　　نَمْشــــــي علــــــى النَّمَــــــارق

إن تقـــــــــدموا نعــــــانق　　أو تــــــــدبروا نفــــــارق

---

[1] / اقتباس شعراء صدر الإسلام من القران، سامي مكي العاني، مجلة آداب المستنصرية العدد ٢٠ – ٢١، سنة ١٩٩١، ص١٧.

[2] / لسان العرب لابن منظور، ج٩، ص١١٨.

[3] / أنفرد به الجوهري في كتابه الصحاح.

[4] / سورة الغاشية، الآية ١٤.١٥.

[5] / سورة الغاشية، الآية ١٤.

ب. قال ابن المبارك

أوما تحذَرُ من يومٍ **عبوس قمطرير**[1]

القمطر القوي السريع، واقْمَطَرّ يومُنا: اشتد[2]، وفي التنزيل العزيز: {إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا}[3]؛ جاء في التفسير: أَنه يُعَبِّسُ الوَجْهَ فيجمع ما بين العينين، وهذا شائع في اللغة، وشَرٌّ قَمْطَرِير: شديد.

أ. قال ابن المبارك

واغتنم ركعتين زلفى إلى الله إذا كنتَ فارغاً مستريحا

إي تقرب إلى الله وتنفل بركعتين، فالزلفى طلب القربى، كما قال ابن منظور: الزَّلَفُ والزُّلْفةُ والزُّلْفَى: القُربةُ والدَّرَجة والمَنزلةُ[4]، وفي التنزيل العزيز: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آَمِنُونَ}[5]، قال تعالى {وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ}[6]، أَي قُرِّبَتْ قال الزجاج: وتأْويله أَي قَرُبَ دخولهم فيها ونَظَرُهُم إليها.

ب. قال ابن المبارك

قد أرحنا واسترحنا من غدُوٍّ ورواح

الغُدُوُّ: نقِيضُ الرَّواحِ، وقوله تعالى: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ}[7]؛ أَي بالغدوات فعبَّر بالفعْل عن الوَقْتِ كما يقال: أَتَيْتُك طلوعَ الشمسِ أَي في وقْتِ طلوع الشمس. ويقال: غَدا الرجلُ يَغْدُو، فهو

---

[1]/ ديوان ابن المبارك، ص٦١.

[2]/ لسان العرب لابن منظور، ج٩، ص١٢٢.

[3]/ سورة الإنسان، الآية ١٠.

[4]/ لسان العرب لابن منظور، ج٥، ص٦٣.

[5]/ سورة سبأ، الآية ٣٦.

[6]/ سورة التكوير، الآية١٣.

[7]/ سورة النور، الآية ٣٦.

غـادٍ، وفـي لسـان العـرب الغَـدْوة: المَـرَّة مـن الغُـدُوِّ، وهـو سَـيْرُ أَولِ النهـارِ ونقـيضُ الرَّواحِ[1].

ت. قال ابن المبارك

نظَــرتُ إليهــا نظــرَة لــو كســوتُها ســرابيلَ أبــدانِ الحديــد المُسَــرَّدِ

السِّرْبالُ: القَميص والدِّرْع، وقيل: كُلُّ ما لُبِسَ فهو سِرْبالٌ، ويُجْمَع على سَرابِيلَ[2]، وتطلق السَّرابيلُ على الدروع؛ سَرابِيلُ وقيل في قوله تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ}[3]؛ إنها القُمُص تَقي الحَرَّ والبَرْد، فاكتفى بذكر الحَرِّ كأَنَّ ما وَقى الحَرَّ وَقى البرد. وفي الثانية هي الدُّرُوع.

ث. قال ابن المبارك

تــــوهنُ الــــدين وتــــدني كَ مــــن الحــــوب الكــــبيرِ

الوَهْن: الضَّعف في العمل والأَمر، وكذلك في العَظْمِ ونحوه[4]، وفي التنزيل العزيز: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}[5]؛ جاء في تفسيره ضَعْفاً على ضعف أي لَزِمَها بحملها إياه تَضْعُف مَرّةً بعد مرَّة، وقيل: وَهْناً على وَهْنٍ أَي جَهْداً على جَهْدٍ، قال جرير:

وَهَــنَ الفَــرَزْدَقَ، يــومَ جَــرَّدَ ســيفَه، قَــيْنٌ بــه حُمَــمٌ وآمٍ أَرْبَــع

وقال:

فلــئن عَفَــوْتُ لأَعْفُــوَنْ جَلَــلاً، ولــئن سَــطَوْتُ لأُوهِــنَنْ عَظْمِــي

[1]/ لسان العرب لابن منظور، ج٣، ص٥٤.

[2]/ لسان العرب لابن منظور، ج٥، ص١٢١.

[3]/ سورة النحل، الآية٨١.

[4]/ لسان العرب لابن منظور، ج٣، ص١٢١.

[5]/ سورة لقمان، الآية١٤.

وفي حديث الطواف عندما أمر النبي صحابته الكرام بالرمل[1] في السعي رد على قول مشركي قريش عن المسلمين قد وَهَنَتْهم حُمَّى يَثْرِب أي أَضعفتهم[2]، وقوله عز وجل: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}[3]؛ أي ما فَتَروا وما جَبُنُوا عن قتال عدوِّهم. ويقال للطائر إذا أُثْقِلَ من أَكْل الجِيَف فلم يقدر على النُّهوض: قد توَهَّنَ توَهُّناً؛ وقال الجعدي:

تَوَهَّنَ فيه المَضْرَحِيَّةُ بَعْدَما رأَينَ نَجِيعاً، مِنْ دَم الجَوْف، أَحْمَرا

ج. قال ابن المبارك

حكمٌ عدلٌ ولا يظـ لم مقدارَ النقير

النِّقْرُ والنُّقْرَةُ والنَّقِيرُ: النُّكْتَةُ في النواة كأَنَّ ذلك الموضعَ نُقِرَ منها[4]، وفي التنزيل العزيز: {أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا}[5].

ح. قال ابن المبارك

أطاع اللَه قومٌ فاستراحوا ولم يتجرّعوا غُصَصَ المعاصي

جَرِعَ الماءَ وجَرَعه يَجْرَعُه جَرْعاً، وأَنكر الأَصمعي جَرَعْت، بالفتح، واجْتَرَعَه وتَجَرَّعَه: بَلِعَه. وقيل: إذا تابع الجَرْع مرة بعد أُخرى كالمُتكارِه قيل: تَجَرَّعَه[6]، قال الله عزَّ وجل: {يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ}[7]؛ قال ابن الأَثير: التجرُّعُ شُرْبٌ في عَجَلةٍ، والاسم الجُرْعة

---

[1] / نوع من أنواع المشي يتصف بالسرعة.

[2] / الصحيحين

[3] / سورة آل عمران، الآية ١٤٦.

[4] / لسان العرب لابن منظور، ج٣، ص١٢١.

[5] / سورة النساء، الآية ٥٣.

[6] / لسان العرب لابن منظور، ج٤، ص١١٨.

[7] / سورة إبراهيم، الآية ١٧.

خ. قال ابن المبارك

حتـــى يوافيـــه يـــوم الجمـــــــــع منفـــــــــردا **وخصـــمهُ الجلـدُ والأبصـــارُ والســـمعُ**

السَّمْعُ: حِسُّ الأُذن. وفي التنزيل: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)[1]؛ السَّمْعُ المصدر، والسِّمع: الاسم. والسَّمْعُ أَيضاً: الأُذن[2].

د. قال ابن المبارك:

بآثـــارٍ وفقـــه مـــع حـــديثٍ	كآيـــات الزبـــور علـــى صـــحيفة

زَبَرْتُ الكتابَ وذَبَرْتُه: قرأْته. والزَّبْرُ: الكتابة. وزَبَرَ الكتابَ يَزْبُرُه ويَزبِرُه زَبْراً: كتبه، قال: وأَعرفه النَّقْشَ في الحجارة، وقال أَعرابي: إِني لا أَعرف تَزْبِرَتِي أَي كتابتي وخطي، وزَبَرْتُ الكتاب إذا أَتْقَنْتَ كتابته والزَّبْرُ: الكتابُ، والجمع زُبُورٌ مثل قِدْرٍ وقُدُور[3]؛ ومنه قرأَت بعضهم لقوله عز وجل: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا}[4]، والزَّبُورُ: الكتاب المَزبُورُ، والجمع زُبُرٌ، قال لبيد:

وجَـلا السـيولُ عـن الطُّلـولِ كأنهـا **زُبُــرٌ، تَخُـدُّ مُتُونَهـا أَقْلامُهـا**

س. قال ابن المبارك:

ومـا تهـدأ الـنفس حتـى أصـاب **بـأخرى حديـدٍ تصـيبُ الوتينـا**

الوَتِينُ عِرْقٌ في القلب إذا انقطع مات صاحبه؛ والوَتِينُ عِرقٌ لاصِقٌ بالصُّلب من باطنه أَجمع وقيل: هو نياطُ القلب، وقيل: هو عرق أَبيض غليظ كأَنه قصبة، والجمع أَوْتِنَةٌ[5]، وفي التنزيل العزيز: {ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ}[1]؛ ووَتَنَ بالمكانَ وتْناً ووُتُوناً: ثبت.

---

[1]/ سورة ق، الآية ٣٦.

[2]/ أنظر لسان العرب لابن منظور، ج٧، ص٥١٨.

[3]/ لسان العرب لابن منظور، ج٢، ص٢٨.

[4]/ سورة النساء، الآية ١٦٣.

[5]/ لسان العرب لابن منظور، ج٣، ص١٤٨.

ش. قال ابن المبارك:

اقمطــــــــرّ الشـــــــرّ فيــــــه	بعــــــــــذابِ الزمهَريـــــــــرِ

الزَّمْهَرِيرُ: شدة البرد[٢]؛ والزمهرير: هو الذي أَعدّه الله تعالى عذاباً للكفار في الدار الآخرة، قال تعالى: {مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا}[٣]، قال الأَعشى:

مـــنَ القَاصِـــراتِ سُـــجُوفَ الحِجـــا ... لِ، لم تـــرَ شَمْســـاً ولا زَمْهَرِيـــرَا

ص. قال ابن المبارك:

والآدَمِـــيُّ بهـــذا الكســـبِ مـــرتَهَنٌ ... لـــهُ رقيـــبٌ علـــى الأســـرارِ يطَّلِـــعُ

من أَسماءِ الله تعالى: الرَّقِيبُ: وهو الحافظُ الذي لا يَغيبُ عنه شيءٌ؛ وفي الحديث: (ارْقُبُوا مُحَمَّداً في أَهل بيته)[٤] أَي أحفظوه فيهم. وفي الحديث: (ما مِن نَبيٍّ إلاّ أُعْطِيَ سبعةَ نُجَباءَ رُقَباءَ)[٥] أَي حَفَظَة يكونون معه. والرَّقيبُ: الحَفِيظُ. والتَّرَقُّبُ: الانتظار، وكذلك الارْتِقابُ. وقوله تعالى: {قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}[٦]؛ معناه لم تَنتَظِرْ قولي.

ض. قال ابن المبارك:

وطـــارتِ الصـــحفُ في الأيـــدي منشـــره ... فيهـــا الســـرائرُ والأخبـــارُ تطَّلَـــعُ

الصحيفة: التي يكتب فيها، والجمع صَحائفُ وصُحُفٌ وصُحْفٌ[٧]. وفي التنزيل: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}[١]؛ يعني الكتب المنزلة عليهما.

---

[١]/ سورة الحاقة، الآية ٤٦.

[٢]/ لسان العرب لابن منظور، ج٣، ص١٢٢.

[٣] / سورة الإنسان، الآية ١٣.

[٤]/ صحيح البخاري، ص٤١١٢.

[٥]/ صحيح البخاري، ص١٥٠٢.

[٦]/ سورة طه، الآية ٩٤.

[٧]/ لسان العرب لابن منظور، ج٩، ص١١٨.

ط. قال ابن المبارك:

هـل ينفـع العلـم قبـل المـوت عالِمَـهُ قـد سـال قـومٌ بهـا الرجعـي فمـا رجَعـوا[1]

ورَجَع يَرْجِع رَجْعاً ورُجُوعاً ورُجْعَى ورُجْعاناً ومَرْجِعاً ومَرْجِعةً: انصرف[2]. وفي التنزيل: {إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى}[3]، أَي الرُّجوعَ والمَرجِعَ، مصدر على فُعْلى؛ وقوله: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}[4]؛ أَي رُجُوعكم.

---

[1]/ سورة الأعلى، الآية ١٨ . ١٩.

[2]/ لسان العرب لابن منظور، ج٩، ص١١٨.

[3]/ سورة العلق، الآية ٨.

[4]/ سورة آل عمران، الآية ٥٥.

المبحث الثالث

الموسيـــقى الشعرية

المطلب الأول

القافية والفاصلة القرآنية

القافية هي المقطع الصوتي الذي يكون في آخر أبيات القصيدة، ويلزم تكرارها في كل بيت من أبياتها، وسبب تسميتها بالقافية أنها تقفوا البيت أو لأن الشاعر يقفوها أي يتبعها ويطلبها، وأصلها اللغوي من القفو وهو أن يتتبع الشيء[١]، وقد وردت بهذا المعنى في قوله تعالى: {ولا تقفُ ما ليس لك به علم}[٢]، أي لا تتبع ما لا تعلم، وقد اختلف الناس في القافية فقال بعضهم: هي القصيدة واحتجوا بهذا البيت:

وَقافِيَـــةٍ مِثْـــلِ حَـــدِّ السِـــنانِ　　　تَبقـــى وَيَـــذهَبُ مَـــن قالَهـــا

وقال آخرون: القافية البيت كله، واحتجوا بقول حسان بن ثابت:

فَـــنُحكِمُ بِـــالقَوافي مَـــن هَجانـــا　　　وَنَضـــرِبُ حـــينَ تَخـــتَلِطُ الـــدِماءُ

وقال الأخفش: القافية هي آخر كلمة في البيت[٣]، وللخليل بن أحمد فيها قولان[٤]، أحدهما: أنها الساكنان الآخران من البيت وما بينهما مع الحركة ما قبل الساكن الأول منهما، وعلى هذا القول تكون القافية في قول أبي العتاهية:

إِذا مـــا بَـــدَت مِـــن صـــاحِبٍ لَـــكَ زَلَّـــةٌ　　　فَكُـــن أَنـــتَ مُحتـــالاً لِزَلَّتِـــهِ عُـــذرا

تكون القافية حركة العين والذال والراء والألف، والقول الثاني أن القافية هي ما بين الساكنين الآخرين من البيت مع الساكن الأول. والجيد المتبع من كافة هذه الأقوال قولي الأخفش والخليل.

---

[١]/ لسان العرب لابن منظور، ج٩، ص١١٨.

[٢]/ الإسراء: ٣٦.

[٣] / الوافي في العروض والقوافي، للخطيب التبريزي، ص١٩٩.

[٤] / القوافي لأبي يعلى عبد الباقي بن عبد الله التنوخي، تحقيق ص١٠

القوافي نوعان هما القوافي المقيدة، والقوافي المطلقة، والقوافي ستة أحرف أهمها حرف الروي؛ لأن القصيدة تبنى عليه وتسمى به فنقول ميمية ورائية وهكذا، أما بقية حروف القافية من تأسيس وردف ووصل وخروج ودخيل فلا يشترط وجودها في جميع القصائد.

أثر الفاصلة القرآنية في شعر الزهد:

من أهم العناصر التي يحسن تأملها عند حديثنا عن الإيقاع الموسيقي الفاصلة القرآنية التي لها وظيفة معنوية هادفة و هذه الظاهرة الموسيقية برزت ضمن دائرة تأثرها بإيقاع القران الكريم مشكلة معالم الإيقاع الخارجي للأبيات الشعرية. فالفاصلة (حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني)[١]، ويعرف السيوطي الفاصلة بأنها ((كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع)[٢]، فهي أذن (تلك النهاية التي تذيل الآيات القرآنية)[٣].

فزيادة على القيمة المعنوية التي تقوم الفاصلة بتقديمها هي جزءٌ لا يتجزأ من الآية القرآنية التي تتم معناها وتكمل مضمونها فضلا عن أنها تمنح الآية القرآنية إيقاعاً موسيقياً جذابا يبعث على الانبهار والدهشة مما يضفي عليها سحراً جذاباً فاتناً (وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صورة تامة للإبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيبا، يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه من العجب مذهب)[٤].

ويقابل الفاصلة في القرآن الكريم ما يسمى بالقافية في الشعر و هي كما قال الخليل بن احمد (القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله، مع حركة

---

[١]/ ثلاث رسائل في إعجاز القران للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني حققها وعلق عليها، محمد خلق الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ص٨٩.

[٢]/ الإتقان في علوم القران جلال الدين عبد الرحمن السيوطي بيروت، دار الندوة الجديدة، ١٩٥١م، ج٢، ص ٩٦.

[٣]/ التعبير الفني في القران، د. بكري شيخ أمين، بيروت دار الشروق ١٩٧٩م، ص ٢٠١.

[٤]/ إعجاز القران والبلاغة النبوية، ص ٢١٦.

الحرف الذي قبل الساكن)[1]، فمكانة الفاصلة من الآية القرآنية مكانة القافية من البيت الشعري إذ تصبح الآية لبنة متميزة وحجر أساس في بناء هيكل الصورة[2]، (فالدور الذي تؤديه الأولى في إطارها، تؤديه الثانية في مدارها)[3]، ودورها في العمل الشعري هو الدور الذي يكون للفاصلة في النسيج القرآني فهي تنشر جواً موسيقياً يطرب السامع ويجعله منتشياً بها.

إن تكرر الفاصلة القرآنية هذا يكون جزءاً مهماً من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية، يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان فهي مدد زمنية منتظمة[4]، فالفاصلة مرتبطة بالمعنى الوارد في البيت الشعري وبمضمونه فهي جزء لا ينفصل عنه ثم أنها تلتقي هي والقافية الشعرية فهي تؤدي وظائف نفسية ومعنوية ولفظية (وأكد العلماء أن للفاصلة فوائد معنوية ولفظية ونفسية يحدثها الجانب الصوتي وما توحيه في النفس من تأثير نتيجة لما سموه بالموسيقى القرآنية أو الأوزان، فمن حيث المعنى لها مزية مهمة ترتبط بما قبلها من الكلام بحيث تنحدر عن الأسماع انحدارا وكأن ما سبقها لم يكن ألا تمهيداً لها بحيث إذا حذفت أختل المعنى في الآية ولو سكت عنها السامع استطاع ان يختمه بها انسياقا مع الطبع و الذوق السليم)[5].

فالفاصلة القرآنية تدخل ضمن الإعجاز القرآني ف(ما من الفاصلة قرآنية لا يقتضي لفظها في سياقه دلالة معنوية لا يؤديها لفظ سواه، وقد نتدبره فنهتدي إلى سره

---

[1]/ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الجيل بيروت لبنان، ط٤، ١٩٧٢، ج١، ص١٥١، وشرح تحفة الخليل، ص٢٤٢، وميزان الذهب في صناعة شعر العرب، السيد احمد الهاشمي، القاهرة ١٩٥١م، ص١١٣.

[2]/ ينظر من بلاغة القران، ص٧٥.

[3]/ ينظر: اثر القران في الشعر الجزائري: (٢٤٦).

[4]/ موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس مكتبة الانجلو المصرية ط٤، ١٩٧٢م، ص٢٤٦، بناء القصيدة في النقد العربي القديم، يوسف حسين بكار، مطبعة دار نشر الثقافة بالفجالة، القاهرة،١٩٧٧م، ص٢٣١

[5]/ الفاصلة القرآنية، عبد الفتاح لاشين، الرياض، دار المريخ، ١٩٨٢ص٣٧.

البياني)[1]، فالفاصلة(لها تأثير في نسق الكلام واعتدال المقاطع، وتجعل موقعه حسناً في النفوس، وتؤثر فيه تأثيراً لا ينكر، وتناسب الإطراق وتماثل الحروف، مما يريح السامع ويجذب انتباهه)[2]. من ذلك قول أبي العتاهية ضمن مقطوعة له في الزهد نقتطع منها هذا البيت :

مـــا أســـتوي النـــاس مـــذ كـــانوا أُناســـا   خلــــــق الله خلقــــــه أطــــــواراً

فقد أختار أبو العتاهية حرف الراء لهذه المقطوعة وهو حرف ليس بالشديد في اللفظ ولا الرخو فهو متوسط بين الرخاوة والشدة[3]، وجاء بقافية الراء التي هي فاصلة قرآنية اقتبسها من قوله تعالى: {مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} [4]، ولسفيان الثوري[5] أبيات يحث فيها على القناعة يقول فيها:

إذا كنـــت ترجـــو الله فـــاقنع بـــهِ   فعنـــده الفضـــل الكـــثير البشـــير

مـــن ذا الـــذي تلزمـــه فاقـــة   وذخـــرهُ الله العلـــي الكـــبير

فسفيان الثوري وهو يدعو إلى القناعة ويحث على وجوب الزهد في الدنيا والاكتفاء بالقليل قد استحضر في ذاكرته قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [6] ، في عجز بيته الثاني والذي وافقت قافيته فاصله الآية القرآنية لالتزامها بحرف الراء الساكن ما قبله إذ أشاعت

---

[1]/ الإعجاز البياني ومسائل بن الأزرق، د. عائشة عبد الرحمن، القاهرة دائرة المعارف ١٩٧١م، ص٢٥٨.

[2]/ الفاصلة القرآنية، ص٢٢.

[3]/ دروس في علم الأصوات العربية، لجان كانتينو،نقله إلى العربية: صالح القرمادي، تونس ١٩٦٦م، ص٢٤. وأبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية د. رشيد عبد الرحمن مطبعة التعليم العالي ١٩٨٨م، ص١٩٣.

[4]/ سورة نوح: الآية من١٣ – ١٤، أطوارا: أي وقد خلقتكم في أطوارٍ مختلفة وادوارٍ متباينة أي أحوال مختلفة طوراً بعد طور.

[5]/ هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري من ولد ثور بن عبد مناة ولد سنة ٩٧هـ وكان عالما عابدا زاهدا كانوا يسمونه أمير المؤمنين في الحديث توفي في البصرة سنة ١٦١هـ.

[6]/ سورة الحج، ص٦٢.

القافية التي اقتبسها من القران الكريم جواً من الطمأنينة والارتياح في النفس لان من كان ذخره واعتماده على الله لا يمكن أن يصاب بالفاقة فهو الذي يرزق النملة السوداء تحت الصخرة الصماء في الليلة الظلماء فكيف بالإنسان.

ويسوق أبو العتاهية جملة من صفات الله سبحانه وتعالى من استواء على العرش وتقدير للأمور وقضاءٍ منها وتفرد في الملك فهو تعالى الذي أرسل محمداً ليخرجنا من الضلال إلى الهدى فيقول:

وهو الخفي الظاهر الملك الذي ... هو لم يزل ملكاً على العرشِ استوى

وهو المقدر والمدبر خلقه ... وهو الذي في المُلك ليس له سوى

وهو الذي يقضي بما هو أهله ... فينا ولا يُقضى عليه إذا قضى

وهو الذي بعث النبي محمداً ... صلى الإله على النبي المصطفى

وهو الذي أنجى و أنقذنا به ... بعد الضلال من الضلال إلى الهدى

حتى متى لا ترعوي يا صاحبي ... حتى متى حتى متى وإلى متى

والليل يذهب والنهار وفيها ... عبرٌ تمرُّ و فكرة لأولي النهى

فقوافي قصيدة أبي العتاهية تذكرنا بفواصل القرآن الكريم ولاسيما ألفاظ من شاكلة استوي، الهدى، النهى فجميعها موجودة في قوله تعالى:{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ استوي}[١]، وقوله تعالى: {إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى}[٢]، وقوله تعالى: {أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى}[٣]، ووردت لفظة أولي النهى في قوله تعالى: {كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى}[٤]، وأكثر هذه القوافي من فواصل قرآنية وهذا طبيعي لشاعر زاهد كأبي العتاهية كان للقران الكريم والحديث الشريف تأثير كبير في شعره.

١/ سورة طه، ص٥.

٢ / سورة النجم، ص٢٣.

٣/ سورة طه، ص١٢٨.

٤/ سورة طه، ص٥٤.

ونراه في قصيدةٍ أخرى لا يحيد عما في التعبير القرآني فيقول:

رأيت الملوك وإن عظمت — فإن الملوك لربي عبيد

تنافس في جمع هذا الحطام — وكل يزول وكل يبيد

وكم باد جمع أولوا قوةٍ — وحصن حصين وقصر مشيد

فليس بباق على الحادثات — لشيءٌ من الخلق ركن شديد

ألا إن رأياً دعا العبد أن — ينيبُ إلى الله رأي رشيد

أرى الموت ديناً له علةٌ — فتلك التي كنت منها تحيد

فهذه القافية تدل على أن الشاعر كان متأثراً بالفاصلة القرآنية التي جاءت كثيرة في سور القرآن، كقوله تعالى: {فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ}[1]، وقوله: ركن مشيد مأخوذ من قوله تعالى: {قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ}[2]، وكذلك قوله: فتلك التي كنت منها تحيد من قوله تعالى: {وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ}[3]، وقوله أيضا: {وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ}[4]، وكذلك قوله:

إن الحوادث لا محالة آتية — من بين رائحةٍ تمرُّ وغادية

الله يعلمُ ما تجنُّ قلوبُنا — والله لا تخفى عليه خافية

فمن الواضح أن قافية (خافية) قد أستلهمها الشاعر من الفاصلة القرآنية في قولهِ تعالى: {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ}[5]، فالشاعر اختار قافية تنتهي بياء موصولة بهاء السكت، فالياء حرف لساني صفته الجهر، والهاء حرف حلقي صفته

---

[1]/ سورة الحج، ص٤٥.

[2]/ سورة هود، ص٨٠.

[3]/ سورة ق، ١٩.

[4]/ سورة هود، ص٧٨.

[5]/ سورة الحاقة، آية ١٨.

الهمس والخفوت. ويلاحظ في هذا الانتهاء السلاسة والسهولة في النطق، اللذين وفرهما تباعد المخرجين وتقابل الصفتين، بحيث ينقطع النفس مع الياء المجهورة لشدة الحسرة التي أصابت القلب، إذ الجهر يعني[1] اعتماد الصوت على مكان خروجه، فيمتنع جريان النفس معه[2]، ثم ينطلق مع الهاء المهموسة، حتى لا يبقى الكلم في القلب ويخرج عنه بإطلاق الزفرة، والهمس يقصد به (ضعف اعتماد الصوت على مكان خروجه فيجري معه النفس)[3]. ويقول أيضاً في معرض حديثه عن الموت وما سيصير إليهِ أمرُ الإنسان:

وكـــل مملـــك سيصـــيرُ يومـــاً	**ومـــا ملكـــت يـــداهُ معـــاً تبابـــاً**
وإنّ لكـــــل مطلـــــعٍ لحـــــدّاً	**وإن لكـــــلِ ذي أجـــــلٍ كتابـــــاً**
وإن لكـــــل حادثـــــةٍ لوقتـــــاً	**وإن لكـــــل ذي عمـــــلٍ حســـــاباً**

فلقد استلهم أبو العتاهية قوافيه الشعرية من مخزون ذاكرته التي قد ترسخ في داخلها القرآن الكريم وفواصله الشريفة والتي استقاها من قوله تعالى حين يخبرنا جل شأنه عن كيد فرعون الذي جعله الله في خسرانٍ وهلاك: {أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ}[4]، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ}[5]، وقوله تعالى: {جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاء حِسَابًا}[6]، وتحدث أبو العتاهية عن يوم القيامة وما سيقع فيه من أهوال عظيمة قائلاً:

---

[1]/ ينظر أثر القران في الشعر الجزائري، ج٢، ص٣٥٨.

[2]/ فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ط٧، دار نهضة مصر الفجالة القاهرة ١٩٧٣م، ص١٦٧.

[3]/ المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[4]/ سورة غافر، آية ٣٧.

[5]/ سورة الرعد، آية ٣٨.

[6]/ سورة النبأ، آية ٣٦.

كُــــلُّ يـــــومٍ يــــأتي بــــرزق جديـــــد　　　مــــن مليــــكٍ لنــــا غــــنيٌّ حميـــدِ

خُلــــق الخلــــق للفنــــاءِ فهُــــم بـــي　　　ن شــــقيٍّ مــــنهم وبــــين ســــعيد

ليــت شــعري وكيــف حالــك يــا نــف　　　س غـــداً بــــين ســـائق وشــــهيدِ

كلنــــا صــــائرٌ إلى الملــــك الــــديَّا　　　نِ ربِّ الأربــــابِ يــــوم الوعيـــــدِ

فقوافي قصيدة أبي العتاهية تذكرنا بقوافي القران الكريم بخاصة (حميد، سعيد، شهيد، الوعيد) في قوله تعالى: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}[1]، وقوله: {يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ}[2]، وقوله: {وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ}[3]، وقوله أيضاً: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ} [4].

فالقارئ لهذه الأبيات يشعر بذلك التأثير القرآني في الفاصلة التي أعانت الشاعر على ذلك الإيقاع الجميل وتلك النغمة الموسيقية الشجية المؤثرة في نفس السامع، ويقول في ذم الدنيا:

أُفّ للدُنيا فليست لي بدار　　　إنمــــا الراحـــــة في دار القــــرار

فالشاعر قد استرجع من خزين ذاكرته الفاصلة القرآنية لقوله تعالى: {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ}[5]، ليضمنها في قافية بيته الشعري فالمعنى الذي جاء به أبو العتاهية جاء مقارباً في موضوعه معنى الآية الكريمة التي جاءت فيها الفاصلة القرآنية فالتأثير هنا في المعنى والشكل والإيقاع مع الفارق بين كلام الله العزيز وكلام الشاعر.

---

[1]/ سورة البروج، آية ٨.

[2]/ سورة هود، آية ١٠٥.

[3]/ سورة ق، آية٢١.

[4]/ سورة ق، آية ٤٥.

[5]/ سورة غافر، آية ٣٩.

يقول عبد الله بن المبارك:

أيا ربِّ يـا ذا العرشِ أنت رحيـم

وأنت بما تخـفي الصدور عليمُ

فيا ربُّ هب لـي منك حلـماً فـإنني

أرى الحـلم لم ينـدم عليه حليم

ويا رب هب لي منك عزماً على التقى

أقيـم بهِ في النـاس حيث أُقيـمُ

ألا إن تـقـوى الله أكرم نـسـبـة

يُسامي بـها عند الفـخار كريـمُ

أراك امرأ تـرجو مـن الله عفـوهُ

وأنـت على مـا لا يُـحب مقيـمُ

وإنّ امْـرأ لا يرتـجي الناس عفـوهُ

ولـم يأمنوا منـه الأذى للـئيـم

فحتى متى تعصي الإله؟ إلى متى؟

تـبـارك ربّـي إنَّـه لـرحـيـم

ولو قد توسـدت الثـرى و افترشتـه

صُرِعت و لا يلوي عليك حميمُ[1]

فقوافي قصيدة الإمام عبد الله بن المبارك تذكرنا بفواصل القرآن الكريم في قوله تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[2]، وقوله:{إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ}[3]، وقوله: {وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ

---

[1]/ ديوان الإمام عبد الله بن المبارك، ص٥٣.

[2]/ سورة الأنعام، آية ١٠١.

[3]/ سورة يس، آية ١١.

عَنْهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا}[1]، وقوله تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ}[2]، وقوله تعالى: {فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ} [3]، فالقوافي (عليم، كريم، مقيم، رحيم) هي فواصل قرآنية وردت في الكثير من الآيات القرآنية إذ تأثر الشاعر بالإيقاع النغمي لحرف (الميم) المتوسط بين الشدة والانفجار والمسبوق بحرف لينٍ ممدود (الياء) والمختوم بالضم.

المطلب الثاني

الأوزان والبحور

أما الأوزان والبحور ونعنى بها الخمسة عشر بحرا التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي في أواخر الدولة الأموية[4]، وهي بحر الطويل، وبحر المديد، وبحر البسيط، وبحر الوافر، وبحر الكامل، وبحر الهزج، وبحر الرجز، وبحر الرمل، وبحر المنسرح، وبحر الخفيف، وبحر المجتث، وبحر المضارع، وبحر المقتضب، وبحر المتقارب، وبحر السريع، وبحر المتدارك، ولكل بحر من هذه البحور الشعرية ما يشاكله ويوافقه من المعاني، فما يصلح لغرض ما لا يصلح لبقية الأغراض ولذلك نجد شاعرنا ابن المبارك بما له من ذائقة أدبية تخير من البحور ما وافق غرض الزهد واسقط ما لم يوافق غرضه، فأتى ديوانه على ثمانية أبحر فقط بيانها كالاتى:

الرقم	البحر	عدد القصائد	عدد الأبيات
١	الطويل	١١	٣٢
٢	البسيط	١٥	٧٨
٣	الوافر	٦	٣٣

[1]/ سورة النساء، آية ١٦.

[2]/ سورة المائدة، آية ٣٧، كما وردت في سورة التوبة، آية ٦٨.

[3]/ سورة الحاقة، آية ٣٥.

[4]/ أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية، للعلامة محمود مصطفى، راجعه وكتب مقدمته د. عبد المنعم خفاجي، الرياض مكتبة المعارف، ص٢٨.

٤	الكامل	١١	٤١
٥	الرجز	٢	٤
٦	الرمل	٩	٤٦
٧	السريع	٥	١٦
٨	المنسرح	٤	١٤
٩	الخفيف	٦	١٧
١٠	المتقارب	٧	٥٣
المجموع	١٠	٧٦	٣٣٤



ديـوان محمـود الـوراق

المبحث الأول

أغراضـه وقصـائده ومقطـوعاته

المطلب الأول

أغراض محمود الوراق

الوراق من شعراء العصر العباسي الأول، وهو عصر زاخر بعشرات الشعراء الفحول المجيدين ممن أدركهم أبو الحسن، أو عاصرهم، أو التقاهم، مما أدى لازدهار الحركة الأدبية، وتعدد مشارب الشعر والشعراء، وتلون اتجاهاتهم الفنية والفكرية؛ فمنهم من مثل اتجاهات المجون واللهو والزندقة، ومنهم من مثل اتجاهات الغزل، ومنهم شعراء السياسة والدعوة العباسية، ومنهم شعراء الزهد والحكمة والموعظة، ومنهم شعراء الشيعة، ومنهم شعراء الأغراض التقليدية من مديح وهجاء وفخر وغيرها.

ولكن الوراق لم يكتب إلا في الحكمة والزهد، والقليل من الأبيات الشعرية في الرثاء كقوله في احدى جواريه:

لَعَمـري لَـئِن غـالَ صَـرفُ الزَمـا   نِ نَشـوى لَقَـد غـالَ نَفسـاً حَبيبَـه
وَلَكِـنَّ عِلمـي بِمـا في الثَّـوا   بِ عِنـدَ المُصـيبَةِ يُنسـي المُصـيبَه

وكقوله أيضا في الغزل:

كَتَمـتُ الهَـوى حَتّـى إِذا نَطَقَـت بِـهِ   بَـوادِرُ مِـن دَمـعٍ تَسـيلُ عَلـى خَـدّي
وَشـاعَ الَّـذي أَضـمَرتُ مِـن غَـيرِ مَنطِـقٍ   كَـأَنَّ ضَـميرَ القَلـبِ يَرشَـحُ مِـن جِلـدي

ولكن الزهد غرض رئيس في شعر الوراق، تليه الحكمة وهي تفصح عن خبرة بالنفس البشرية، ومعرفة بها وانسياب إلى أعماقها. كما تدل على أن الوراق قد أخذ

بحظ غير يسير من الثقافة الفلسفية، بالإضافة إلى حس مرهف مكنه من كتابة ٢٢٨ قصيدة.

الرقم	القافية	عدد المقطوعات	عدد القصائد
١	الهمزة	٦	—
٢	الباء	٢٩	—
٣	التاء	١٠	—
٤	الثاء	—	—
٥	الجيم	٢	—
٦	الحاء	١	—
٧	الخاء	—	—
٨	الدال	٢١	—
٩	الذال	—	—
١٠	الراء	٤٢	—
١١	الزاي	—	—
١٢	السين	٦	—
١٣	الشين	—	—
١٤	الصاد	٤	—
١٥	الضاد	٣	—
١٦	الطاء	٢	—
١٧	الضاء	—	—

١٨	العين	٨	ـــ
١٩	الغين	ـــ	ـــ
٢٠	الفاء	٢	١
٢١	القاف	٤	ـــ
٢٢	الكاف	٨	ـــ
٢٣	اللام	٣١	ـــ
٢٤	الميم	١٧	ـــ
٢٥	النون	١٦	١
٢٦	الهاء	٨	ـــ
٢٧	الواو	٢	ـــ
٢٨	الياء	٣	ـــ

المبحث الثـاني

اللـغة الشـعريـة

المطلب الأول

سمات المفردة الشعرية

المفردات العربية :

المفردة الأول : الـــعــــزب

أَعْزَبَ عنه حِلْمُه، وعَزَبَ عنه يَعْزُبُ عُزوباً: ذهَب. وأَعْزَبَه اللهُ: أَذْهَبَه. وقوله تعالى: (عالِمُ الغَيْبِ لا يَعْزُب عنه مِثْقالُ ذَرَّةٍ في السمواتِ ولا في الأَرض) ؛ معناه لا يَغِيبُ عن عِلْمِه شيءٌ. وفيه لغتان: عَزَبَ يَعْزُب، ويَعْزِبُ إذا غابَ؛ ومثله أَمْلَقَ الرجلُ إذا أَعْدَم، وأَمْلَقَ مالَه الحوادثُ[1]، قال محمود الوراق:

وَكَيـــــفَ تُؤَمِّـــــلُ طــــولَ الحَيــــاةِ	**إذا كــــــانَ حِلمُــــكَ لَــــم يَعـــــزُبِ**

المفردة الثـانية : الإقــــراء

من مفاخر العرب وعادات الجاهلية التى أقرها الإسلام، ولهم فيها تعاريف كثيرة من ذلك ما رواه عقبة بن علقمة ومبشر بن إسماعيل أنهما سألا الأوزاعي: ما إكرام الضيف؟ قال: طَلاَقَة الوجه، وطيب الكلام.وتعنى أيضا ترك استحقار القليل، وتقديم ما حضر للأضياف؛ لأن من حَقَّر منع[2]، وأشتهر حاتم الطائى بالكرم وإقراء الضيوف حتى لامته زوجته فرد عليها بقصيدته التى يقول فيها:

أمـــاوي قـــد طـــال التجنـــب والهجــــر	**وقـــد عــــذرتنا عـــن طلابكـــم العـــذر**
أمــــــاوي إن المـــــال غـــــاد ورائـــــح	**ويبقـــى مـــن المـــال الأحاديـــث والـــذكر**
أمــــــاوي إمـــــا مـــــانع فمـــــبين	**وإمـــــا عطـــــاء لا ينهنهـــــه الزجـــــر**
أمــــــاوي إنـــــي لا أقـــــول لســـــائل	**إذا جـــاء يومـــاً حـــل في مـــالي النـــذر**

---

[1]/ لسان العرب، ابن منظور، ج٥، ص٢١٧.

[2]/ لسان العرب، ابن منظور، ج٩، ص٢١٧.

أمـــاوي مـــا يغـــني الثـــراء عـــن الفتـــى	**إذا حشـــرجت يومـــاً وضـــاق بهـــا الصـــدر**
أمـــــاوي إن يصـــــبح صـــــداي بقفـــــرة	**مـــــن الأرض لا مـــــاء لـــــدي ولا خمـــــر**

استخدمها محمد بن الوراق في قوله:

لِلضَـــيفِ أَن يُقـــرى وَيُعـــرَفَ حَقُّـــهُ	**وَالشَـــيبُ ضَـــيفُكَ فَـــاِقرِهِ بِخِضـــابِ**

المفردة الثالثة: ذر

ذَرَأَ اللهُ الخَلْقَ كجَعَل يَذْرَؤُهم ذَرْأً: خَلَق، والشَّيءَ: كثَّرَه ونشره. قال الله تعالى "يَذْرَؤُكُمْ فيه" أَي يُكَثِّرُكم به ومنه، وقال أيضا: "أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ في الفُلْكِ المَشْحون" والجمع ذَرارِيُّ كسَرارِيّ.

قال محمود الوراق:

إِذا الكَـــرى ذَرَّ في أَجفانِنـــا سِـــنَةً	**مِـــنَ النُعـــاسِ نَفَضـــناها عَـــنِ الهُـــدُبِ**

المطلب الثـــاني

الاقتباس والتضمين

أ. قال محمود الوراق:

شـــــقيتَ بِـــــهِ ثـــــمَّ خَلَّفتَـــــهُ   لِغَـــيرِكَ بُعـــداً وَسُـــحقاً وَمَقتـــا

السُّحُق: البُعْد، وفي الدعاء: سُحْقاً له وبُعْداً، نصبوه على إضمار الفعل غير المستعمل إظهارُه. وسَحَقَه وانْسَحَق: بَعُد. ومكان سَحِيق[1]: بَعِيد: وفي التنزيل: {حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}[2]؛ أما المَقْتُ أَشدّ البُغْض، المَقْتُ بُغْضٌ عن أَمر قبيح رَكِبَه، فهو مَقِيتٌ؛ وقد مَقُتَ إلى الناس مَقاتةً[3]، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ}[4]؛ وقوله تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا}[5].

ب. قال محمود الوراق:

وَأَوهَبـــتَهُم كُـــلَّ مـــا في يَـــدَيك   وَخَلّـــوكَ رَهنـــاً بِمـــا قَـــد كَسَـــبتا

في هذا البيت يحض الوراق الإنسان على عمل الطاعات والعبادات التي تنفعه بعد الموت ويخبره أن كسب القوت للعيال يجب أن يكون من حلال حتى لا تحاسب به يوم القيامة وحدك، والرَّهينة: الرَّهْنُ، والهاء للمبالغة كالشَّتيمة والشَّتْم، ثم استعملا في معنى المَرْهون فقيل: هو رَهْن بكذا ورَهِينة بكذا، وفي الحديث: كل غلام رَهينة بعقيقته؛ ومعنى قوله رهينة بعقيقته أَن العقيقة لازمة له لا بد منها، فشبهه في لزومها له وعدم انفكاكه منها بالرَّهْن في يد المُرْتَهِن. وكل شيء يُحْتَبَس به شيء فهو رهينة

[1]/ لسان العرب لابن منظور، ج٤، ص٢٤٣.

[2]/ سورة الحج، الآية ٣١.

[3]/ لسان العرب لابن منظور، ج٣، ص١٢٢.

[4]/ سورة غافر، الآية ١٠.

[5]/ سورة النساء، الآية ٢٢.

ومرتهنة[1]. وفي التنزيل العزيز: {وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آَثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}[2].

ت. قال محمود الوراق:

إنَّ غِنى النَفسِ رأسُ كُلِّ غِنىً وَما افتِقاري إلّا إلى الصَمد

الصَّمَد: من صفاته تعالى وتقدّس لأَنه أُصْمِدَتْ إِليه الأُمور فلم يَقْضِ فيها غيره؛ الصمد السيّد الذي ينتهي إِليه السُّودَد، وقيل: الصمد السيد الذي قد انتهى سُودَدُه؛ وقيل: الصمد الدائم الباقي بعد فناء خَلقه؛ وقيل: هو الذي يُصمَد إِليه الأَمر فلا يُقْضَى دونه، وهو من الرجال الذي ليس فوقه أَحد، وقيل: الصمد الذي صَمَد إِليه كل شيء أَي الذي خَلق الأَشياءَ كلها لا يَسْتَغْني عنه شيء[3]، قال تعالى: {قل هو الله أحد* الله الصمد}[4].

ث. قال محمود الوراق:

مَن أَطلَقَ الطَرفَ اجتَنى شَهوَةً وَحارِسُ الشَهوَةِ غَضُّ البَصَر

الإِغْضاءُ: إِدْناءُ الجُفُونِ. وغضا الرجلُ وأَغْضى: أَطْبَقَ جفْنيْهِ على حَدَقَتِه، وأَغْضى عَيْناً على قَذىً: صَبَر على أَذىً، ومنه ما يُحْكى عن عَليّ، رضي الله عنه: فكمْ أُغْضِي الجُفونَ على القَذَى، وأَسْحَبُ ذَيْلي على الأَذى، وأَقولُ لعَلَّ وعَسى[5] وقال تعالى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)[6]؛ وقال الفرزدق في مدح زين العابدين:

---

[1]/ لسان العرب لابن منظور، ج٣، ص١٢٢.
[2]/ سورة البقرة، الآية ٢٨٣.
[3]/ لسان العرب لابن منظور، ج٤، ص٢٤٣.
[4]/ سورة الإخلاص، الآية ٢،١.
[5]/ لسان العرب لابن منظور، ج٤، ص٢٤٣.
[6]/ سورة النور، الآية ٣٠.

يُغْضِــي حَيــاءً ويغضـــي مـــن مَهابَتِــه   فمــــا يُكَلَّــــمُ إلاَّ حِـــــينَ يَبْتَسِــــمُ

ج. قال محمود الوراق:

وَاسـْــترزقِ اللّـــه ممّـــا في خَزائِنِـــه   فَـــإنَّ ذاكَ بَـــينَ الكـــافِ وَالنـــونِ

يتحدث هنا الشاعر عن حتمية القضاء والقدر وأن كافة الأمور بيد الواحد عز وجل وفي هذا حض للمؤمنين على التوجه إلى الله بالدعاء في كل كبيرة وصغيرة، وهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[1]، وقد كتب في هذا المعنى عدد من الشعراء.

خ. قال محمود الوراق:

لا تَخضَـــعَنَّ لِمَخلـــوقٍ عَلـــى طَمَـــع   فَـــإِنَّ ذَلِـــكَ وَهـــنٌ مِنـــكَ في الـــدينِ

الوَهْن: الضَّعف في العمل والأَمر، وكذلك في العَظْمِ ونحوه[2]، وفي التنزيل العزيز: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}[3]؛ جاء في تفسيره ضَعْفاً على ضعف أَي لَزِمَها بحملها إياه تَضْعُف مَرّةً بعد مرَّة، وقيل: وَهْناً على وَهْنٍ أَي جَهْداً على جَهْدٍ، قال جرير:

وَهَـــنَ الفَـــرَزْدَقَ، يَـــومَ جَـــرَّدَ سَـــيفَه،   قَـــــيْنٌ بِـــــه حُمَـــــمٌ وآمٍ أَرْبَـــــع

وقال:

فلَـــئن عَفَـــوْتُ لأَعْفُـــوَنْ جَلَـــلاً،   ولَـــئن سَـــطَوْتُ لأُوهِـــنَنْ عَظْمِـــي

قال تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}[4]؛ أَي ما فَتَروا وما جَبُنُوا عن قتال عدوِّهم. ويقال للطائر إذا أُثْقِلَ من أَكْل الجِيَف فلم يقدر على النُّهوض: قد توَهَّنَ توَهُّناً؛ وقال الجعدي:

تَـــوَهَّنَ فيـــه المَضْـــرَحِيَّةُ بَعْـــدَما   رأَيـــنَ نَجِيعـــاً، مِـــنْ دَم الجَـــوْف، أَحْمَـــرا

---

[1]/ سورة يس، الآية ٨٢.

[2]/ لسان العرب لابن منظور، ج٣، ص١٢١.

[3]/ سورة لقمان، الآية ١٤.

[4]/ سورة آل عمران، الآية ١٤٦.

المبحث الثالث

الموسيقى الشعرية

المطلب الأول

القافية والفاصلة القرآنية

إن الفاصلة القرآنية للمتأمل مكان للاستراحة والتفكير، كما أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بذات المعنى المراد ايصاله، فكل ما كان المعنى غريبا أو ثقيلا احتاج إلى قرب الفواصل وكثرتها نحو قوله تعالى في سورة الطور

ويميل محمود بن حسن الوراق إلى تخصيص قوافيه باقتباسه فواصل قرآنية مرتبطة بآيات قرآنية محددة إذ يقول:

قـــد جـــاءكم أنكـــم يومـــاً إذا	**فـــارقتم المـــوت ســـوف تبعثـــون**
وإذا اغتبطـــــت أو ابتأســـــت	**حمـــــــدتَ رب العـــــالمين**

فكلمتي تبعثون والعالمين فواصل قفاها الشاعر في ختام أبياته كانت دوالاً على آيات قرآنية معينة وإن خصصت القافية الثانية بأكثر من سورة قرآنية كقوله تعالى: {فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[1]، وقوله تعالى: {هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[2]، وقوله تعالى: {وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[3]، وقوله: {والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[4]، بينما استدعت الفاصلة الأولى قوله :{ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ}[5]، فقد جاء توظيف الفواصل ملائماً للمعنى الذي أراده الشاعر فهو قد وظفها في سياق تطلب رسمها لفظاً ومعناها حفظا وإيقاعها صوتاً، وهذا من أشق الإقتباسات.

---

[1]/ سورة الأنعام، ص٤٥.

[2]/ سورة غافر، ص٦٥.

[3]/ سورة الزمر، ص٧٥.

[4]/ سورة الصافات، ص١٨٢.

[5]/ سورة المؤمنون، ص١٦.

المطلب الثاني

الأوزان والبحور

لكل بحر من هذه البحور الشعرية ما يشاكله ويوافقه من المعاني، فما يصلح لغرض ما لا يصلح لبقية الأغراض ولذلك نجد شاعرنا محمود الوراق بما له من ذائقة أدبية تخير من البحور ما وافق غرض الزهد واسقط ما لم يوافق غرضه، فأتى ديوانه على إثني عشر بحراً فقط بيانها كالاتى

الرقم	البحر	عدد القصائد	عدد الأبيات
١	الطويل	٤٤	١٣٣
٢	البسيط	٢٠	٥٥
٣	الوافر	٣٢	١٠٥
٤	الكامل	٤٥	١٦١
٥	الهزج	١	٨
٦	الرجز	٣	٥
٧	الرمل	٩	٤٠
٨	السريع	٢٦	٧٧
٩	المنسرح	٨	٢٣
١٠	الخفيف	١٨	٦٨
١١	المجتث	٢	٧
١٢	المتقارب	٢٠	٦٤
المجموع	١٢	٢٢٨	٧٤٦

الفصل الثامن

ديـوان أبي العتـاهيـة

المبحث الأول

أغراضه وقصائده ومقطوعاته

المطلب الأول

أغـراض أبي العتـاهية

لقد كتب الشاعر أبو العتاهية في جميع الأغراض الشعرية من فخر واعتذار وتغزل في عتبة جارية الهادي التى رفضت الزواج منه فقال فيها وأكثر، من ذلك قوله واصفا ما يلقه من ألم الهوى:

أَعلَمـتُ عُتبَـةَ أَنَّـني	مِنهـا عَلـى شَـرَفٍ مُطِـلُّ
وَشَـكَوتُ مـا أَلقـى إِلَـي	هـا وَالمَـدامِعُ تَسـتَهِلُ
حَتّـى إِذا بَرِمَـت بِمـا	أَشـكو كَمـا يَشـكو الأَذَلُّ
قـالَـت فَـأَيُّ النـاسِ يَـع	لَـمُ مـا تَقـولُ فَقُلـتُ كُـلُّ
وَمَـنِ الَّـذي يَهـوى فَـلا	يُزهـى عَلَيـهِ وَلا يُـذَلُّ

وقوله أيضا:

يـا إِخـوَتي إِنَّ الهَـوى قـاتِلي	فَيَسِّـروا الأَكفـانَ مِـن عاجِـلِ
وَلا تَلومـوا في اتِّبـاعِ الهَـوى	فَـإِنَّني في شُـغُلٍ شـاغِلِ
عَـيني عَلـى عُتبَـةَ مُنهَلَّـةٌ	بِـدَمعِها المُنسَـكِبِ السـائِلِ
يـا مَـن رَأى قَبلـي قَتـيلاً بَكـى	مِـن شِـدَّةِ الوَجـدِ عَلـى القاتِـلِ
بَسَـطتُ كَفّـي نَحـوَكُم سـائِلاً	مـاذا تَـرُدّونَ عَلـى السـائِلِ

إن لَــم تُنيلــوهُ فَقولــوا لَــهُ ... قَــولاً جَمــيلاً بَــدَلَ النائِــلِ

أَو كُنــتُمُ العــامَ عَلــى عُســرَةٍ ... منــهُ فَمَنّــوهُ إِلى قابِــلِ

كَأَنَّهــا مِــن حُســنِها دُرَّةٌ ... أَخرَجَهــا الــيَمُّ إِلى الســاحِلِ

كَــأَنَّ في فيهــا وَفي طَرفِهــا ... سَــواحِراً أَقــبَلنَ مِــن بابِــلِ

لَــم يُبــقِ مِنّــي حُبُّهــا مــا خَــلا ... حُشاشَــةً في بَــدَنٍ ناحِــلِ

وأشتهر أبو العتاهية بمدح الخلفاء خاصة هارون الرشيد الذي مدحه من أول ما تولى الخلافة بقصيدة هائيه خلدت في الأذهان ابتدرها بالغزل فقال:

أَلا مــا لِسَــيِّدَتي مــا لَهــا ... أَدَلّــا فَأَحمِــلَ إِدلالَهــا

إلى أن يصل إلى غرضه فيقول مادحا:

أَتَتــهُ الخِلافَــةُ مُنقــادَةً ... إِلَيــهِ تُجَــرِّرُ أَذيالَهــا

وَلَــم تَــكُ تَصــلُحُ إِلّــا لَــهُ ... وَلَــم يَــكُ يَصــلُحُ إِلّــا لَهــا

وَلَــو رامَهــا أَحَــدٌ غَــيرُهُ ... لَزُلزِلَــتِ الأَرضُ زِلزالَهــا

وَلَــو لَــم تُطِعــهُ بَنــاتُ القُلــوبِ ... لَمــا قَبِــلَ اللَــهُ أَعمالَهــا

وَإِنَّ الخَليفَــةَ مِــن بَغــضِ لا ... إِلَيــهِ لَيُــبغِضُ مَــن قالَهــا

وقال فيه أيضا:

جَــرى لَكَ مِن هــارونَ بِالسَــعدِ طائِرُه ... إِمــامُ اعتِــزامٍ لا تُــخــافُ بَــوادِرُه

إِمــامٌ لَــهُ رَأيٌ حَــميــدٌ وَرَحــمَــةٌ ... مَــوارِدُهُ مَــحمــودَةٌ وَمَــصــادِرُه

وَهارونُ ماءُ المُزنِ يُشفى بِهِ الصَدى ... إِذا ما الصَدِي بِالريقِ غَصَّت حَناجِرُه

وَأَوسَــطُ بَيــتٍ في قُرَيــشٍ لَــبَيــتُهُ ... وَأَوَّلُ عِــزٍّ فــي قُــرَيــشٍ وَآخِــرُه

وَزَحفٍ لَهُ تَحــكي البُــروقَ سُيــوفُهُ ... وَتَحكي الرُعــودَ القاصِفاتِ حَــوافِــرُه

إِذا حَمِيَــت شَمسُ النَهارِ تَضاحَكَت ... إِلى الشَــمسِ فيــهِ بَيــضُهُ وَمَغــافِــرُه

إِذا نُــكِبَ الإِســلامُ يَــوماً بِنَكبَةٍ ... فَهــارونُ مِن بَيــنِ البَرِيَّــةِ ثائِرُه

وَمَن ذا يَـفوتُ المَوتَ وَالمَوتُ مُدرِكٌ　　　كَـذا لَم يَـفُت هـارونَ ضِدٌّ يُنـافِرُه[1]

ولابد لمن يمدح أن يهجو لأن المدح والهجاء صنوان ورفيقان فهجاء خصوم الممدوح جزء لا يتجزاء من الذود عنه وإعلاء شأنه وإخافة اعدائه، والهجاء فن من فنون القول ومركب وعر لا يرتاده إلا الشاعر الحق، فلا بد من وصم المهجو وصمة دامغة لا تفارقه هو وقبيلته إلى يوم يبعثون، ومن أجمل ما هجي به مستعرب قول أبي العتاهية:

أَوالِـــبُ أَنـــتَ في العَـــرَبِ	كَمِثْـــلِ الشَّـــيصِ في الرُطَـــبِ
هَلُـــمَّ إلى المُتَـــوالي ذ	دِ في سَـــعَةٍ وَفي رَحَـــبِ
فَأَنـــتَ بِنـــا لَعَمـــرُ الـــلَ	هِ أَشْـــبَهُ مِنـــكَ بِـــالعَرَبِ
غَضِـــبتُ عَلَيـــكَ ثُـــمَّ رَأَي	تُ وَجهَـــكَ فَـــانجَلى غَضَـــبي
لِمـــا ذَكَّـــرتَني مِـــن لَـــو	نِ أَجـــدادي وَلَـــونِ أَبـــي
فَقُـــل مـــا شِـــئتَ أَقبَلُـــهُ	وَإِن أَطنَبـــتَ في الكَـــذِبِ
لَقَـــد أَخبَـــرتُ عَنـــكَ وَعَـــن	أَبيـــكَ الخـــالِصِ العَـــرَبِ
فَقـــالَ العـــارِفونَ بِـــهِ	مُصـــاصٌ غَـــيرُ مُؤتَشِـــبِ
أَتانـــا مِـــن بِـــلادِ الـــرو	مِ مُعتَجِـــراً عَلـــى قَتَـــبِ
خَفيـــفَ الحـــاذِ كَالصَمصـــا	مِ أَطلَـــسَ غَـــيرَ ذي نَشَـــبِ
أَوالِـــبُ مـــا دَهـــاكَ وَأَن	تَ في الأَعـــرابِ ذو نَسَـــبِ
أَراكَ وُلِـــدتَ بِـــالمِرّي	خِ يـــا ابـــنَ سَـــبائِكِ الـــذَهَبِ
فَجِئـــتَ أُقَيشِـــرَ الخَـــدَّي	نِ أَزرَقَ عـــارِمَ الـــذَنَبِ
لَقَـــد أَخطَـــأتَ في شَـــتمي	فَخَبِّرنـــي أَلَـــم أُصِـــبِ

[1]/ ديوان أبي العتاهية، ص١٥٢.

وزهد أبو العتاهية بأخريات حياته وترك حياة المجون وقول الشعر حتى حبسه هارون الرشيد قال أبو العتاهته يصف حاله لقد ذهلت ولم أفق إلا على صوت يردد هذين البيتين:

تعـــودت مر الصـــبر حتى ألفته وأسلمني حسن العـــزاء إلى الصبر

وصيرني يـأسي من النـاس راجيـاً لحسن صنيع الله من حيث لا أدري[1]

فقلت له: أعد، يرحمك الله، هذين البيتين. فقال لي: ويلك أبا العتاهية! ما أسوأ أدبك وأقل عقلك! دخلت علي الحبس فما سلمت تسليم المسلم على المسلم، ولا سألت مسألة الحر للحر، ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى، حتى إذا سمعت بيتين من الشعر الذي لا فضل فيك غيره، لم تصبر عن استعادتهما، ولم تقدم قبل مسألتك عنهما عذراً لنفسك في طلبهما! فقلت: يا أخي إني دهشت لهذه الحال، فلا تعذلني واعذرني متفضلاً بذلك. فقال: أنا والله أولى بالدهش والحيرة؛ لأنك حبست في في أن تقول شعراً به ارتفعت وبلغت، فإذا قلت أمنت، وأنا مأخوذ بأن أدل على ابن الرسول الله ﷺ ليقتل أو أقتل دونه، ووالله لا أدل عليه أبداً، والساعة يدعى بي فأقتل، فأينا أحق بالدهش؟ فقلت له: أنت والله أولى، سلمك الله وكفاك، ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك. قال: فلا أبخل عليك إذاً، ثم أعاد البيتين حتى حفظتهما. قال: فسألته من هو؟ فقال: أنا خاص داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد. ولم نلبث أن سمعنا صوت الأقفال، فقام فسكب عليه ماء كان عنده في جره، ولبس ثوباً نظيفاً كان عنده، ودخل الحرس والجند معهم الشمع فأخرجونا جميعاً، وقدم قبلي إلى الرشيد. فسأله عن أحمد بن عيسى؛ فقال: لا تسألني عنه واصنع ما أنت صانع، فو أنه تحت ثوبي هذا ما كشفته عنه. وأمر بضرب عنقه فضرب. ثم قال لي: أظنك قد ارتعت يا إسماعيل! فقلت: دون ما رأيته ما تسيل منه النفوس. فقال: ردوه إلى محبسه فرددت، وانتحلت هذين البيتين وزدت فيهما[2]:

---

[1]/ ديوان أبي العتاهية، ص٢٤٤.

[2]/ أنظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ج٥، ط٢، ص٢٣٦- ٢٣٩ بتصرف.

إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما   تكرهت منه طال عتبي على الدهر[1]

إذن فقد كتب أبو العتاهية في كافة فنون الشعر، ولم يدع غرضا إلا قال فيه وأجاد، فاستحق ثناء الأعداء قبل الأصدقاء، وختاما لابد لنا من القول أن أكثر ما يميز شعر أبو العتاهية قربه من النفس الإنسانية فكل يظن أنه المقصود دون سواه بهذا البيت، أو ذاك المعنى، وتلك هي الموهبة التى تميز شاعر على شاعر، وترفعه إلى عنان السماء، ويطير خبره ويكثر مؤيدوه ومعارضه، كما قال المتنبئ عن قصائده:

أَنــــامُ مِــــلءَ جُفــــوني عَــــن شَــــوارِدِها   وَيَســــهَرُ الخَلــــقُ جَرّاهــــا وَيَختَصِــــمُ

المطلب الثاني

قصائد أبي العتاهية ومقطوعاته

لكل بحر من هذه البحور الشعرية ما يشاكله ويوافقه من المعاني، فما يصلح لغرض ما لا يصلح لبقية الأغراض ولذلك نجد شاعرنا أبو العتاهية بما له من ذائقة أدبية تخير من البحور ما وافق غرض الزهد واسقط ما لم يوافق غرضه، بيانها كالاتى

الرقم	القافية	عدد المقطوعات	عدد القصائد
١	الهمزة	٣	١٠
٢	الباء	١١	٥١
٣	التاء	٨	٤٩
٤	الثاء	١	ـ
٥	الجيم	٢	٦
٦	الحاء	١	٨
٧	الخاء	ـ	ـ
٨	الدال	٦	٥٢

[1]/ ديوان أبي العتاهية، ص٢٤٤.

٩	الذال	١	ــ
١٠	الراء	١٢	٨٣
١١	الزاي	ــ	٥
١٢	السين	١٣	٩
١٣	الشين	ــ	١
١٤	الصاد	ــ	٣
١٥	الضاد	١٠	١
١٦	الطاء	ــ	٢
١٧	الضاء	ــ	١
١٨	العين	١٠	٢٥
١٩	الغين	ــ	ــ
٢٠	الفاء	٧	٣
٢١	القاف	١	٢٨
٢٢	الكاف	٢	٣٤
٢٣	اللام	١٨	٧٢
٢٤	الميم	١٤	٢٦
٢٥	النون	١٢	٧٠
٢٦	الهاء	٥	٣٥
٢٧	الواو	ــ	٣
٢٨	الياء	٣	١١

المبحث الثـاني

اللـغة الشعريــة

المطلب الأول

سمات المفردة الشعرية

المبالغة

ليست المبالغة سمة للمفردة الشعرية فقط بل شملت كل جوانب الحياة العباسية فقد بالغ العباسيون في العمارة وزخرفها فاختطوا المدن وابتنوا أفخم القصور وزخرفوها بالرخام والذهب، وبالغوا في أصناف الطعام والشراب، وقد وقف شعراء العصر العباسي على هذه المبالغات وأثبتوها في أشعارهم، من ذلك قول أبو نواس مبالغا في وصف الخمر ومجالسها:

أَلا فَاسقِني خَمراً وَقُل لي هِيَ الخَمرُ ... وَلا تَسقِني سِرّاً إِذا أَمكَنَ الجَهرُ

فَما العَيشُ إِلّا سَكرَةٌ بَعدَ سَكرَةٍ ... فَإِن طالَ هَذا عِندَهُ قَصُرَ الدَهرُ

وَما الغَبنُ إِلّا أَن تَراني صاحِياً ... وَما الغُنمُ إِلّا أَن يُتَعتِعُني السُكرُ

ومبالغة إبراهيم الموصلي في تهنئة هارون الرشيد بالخلافة بقوله:

ألم تر أن الشمس كانت مريضة ... فلما أتى هارون أشرق نورها

تلبست الدنيا جمالاً بملكه ... فهارون واليها ويحيى وزيرها

ثم سار الشعراء على ذات الدرب فبالغوا في أشعارهم وتفننوا من ذلك المبالغة في الهجاء، كقول ابن المعتز ساخرا متندرا باللحية:

شَيخُ ضَلالٍ شَرٌّ مِن فِرعَونِ ... لِحيَتُهُ كَذَنَبِ البِرذَونِ

وأخذ علي أبو العتاهيه الإفراط في قوله:

حَتَّى الذي في الرِّحْمِ لم يَكُ صُورَةً ... بفُؤَادِهِ مِن خوْفِهِ خَفَقَانُ

جعل لما لم يخلق بعد ولم يصور فؤاداً يخفق.

وكذلك قوله في الرشيد:

وأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى إنَّه   لتَخافُكَ النُّطَفُ الَّتى لم تُخْلَقِ

وأخذ عليه قوله في وصف الدار:

كأنَّها إذْ خَرِسَتْ جارِمٌ   بَيْنَ ذَوِي تَفْنِيدِهِ مُطْرِقُ

شبه ما لا ينطق أبداً في السكوت بما قد ينطق في حالٍ، وإنما كان يجب أن يشبه الجارم إذا عذلوه فسكت وأطرق وانقطعت حجته بالدار، وإنما هذا مثل قائلٍ قال مات القوم حتى كأنهم نيام!! والصواب أن يقول نام القوم حتى كأنهم موتى.

المطلب الثاني

نماذج من الاقتباس الكلي

أ. قال أبي العتاهية:

وَالليلُ يَذهَبُ وَالنَهارُ وَفيهِما   عِبَرٌ تَمُرُّ وَفِكرَةٌ لِأُلي النُهى

النُّهَى: العَقْل، يكون واحداً وجمعاً[١]، وفي التنزيل العزيز: (إِنَّ في ذلك لآياتٍ لأُولي النُّهَى)[٢]؛ والنُّهْيَةُ: العقل، بالضم، سميت بذلك لأَنها تَنْهَى عن القبيح؛ قالت الخَنساء: فَتىً كان ذا حِلْمٍ

أَصِيلٍ ونُهْيَةٍ إذا ما الحُبَا   مِنْ طائِفِ الجَهْلِ حُلَّتِ

ومن هنا اختار بعضهم أَن يكون النُّهَى جمع نُهْيةٍ.

ب. قال أبو العتاهية:

أَجمَعُ المالَ لِغَيري دائِباً   وَأُقاسي العَيشَ مِنهُ في كَبَد

الكَبَدُ: الشدَّة والمشَقَّة، وفي التنزيل العزيز: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ **فِي كَبَدٍ**)[١]؛ فيها عدة أقوال أولها: في كبد أَي أَنه خُلِقَ يُعالِجُ وَيُكابِدُ أَمرَ الدنيا وأَمرَ الآخرة، وثانيها: في

---

[١]/ لسان العرب لابن منظور، ج٥، ص٢٤٣.

[٢]/ سورة طه، الآية ٥٤.

شدّة ومشقة، وثالثها: في كَبَد أَي خُلق منتصباً يمشي على رجليه وغيرُه من سائر الحيوان غير منتصب، ورابعها: في كبد خلق في بطن أُمه ورأْسُه قِبَل رأْسها فإِذا أَرادت الولادة انقلب الولد إِلى أَسفل[٢].

ت. قال أبو العتاهية:

أَأُخَيَّ مـا لَـكَ نـاسِـيـاً	يَـومَ التَغـابُنِ في الأُمُـورِ

التَّغَابُن: أَن يَغْبِنَ القومُ بعضهم بعضاً. ويوم التَّغَابُن: يوم البعث[٣]، وقيل: سمي بذلك لأَن أَهل الجنة يَغْبِنُ فيه أَهلَ النار بما يصير إِليه أَهل الجنة من النعيم ويَلْقَى فيه أَهلُ النار من العذاب الجحيم، ويَغْبِنُ من ارتفعت منزلتُه في الجنة مَنْ كان دُونَ منزلته، وسئل الحسن عن قوله تعالى: (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[٤]؛ فقال: غَبَنَ أَهلُ الجنة أَهلَ النار أَي اسْتَنْقَصُوا عقولَهم باختيارهم الكفر على الإِيمان. ونَظَر الحَسَنُ إِلى رجل غَبَنَ آخر في بيع فقال: إِن هذا يَغْبِنُ عقلَك أَي يَنْقُصه.

ج. قال أبو العتاهية:

إِذا نافَسـتَ فيـهِ كَسـاكَ ذُلّـاً	وَمَسَّـكَ في مُطالِبِـهِ اللُغـوبُ

اللُّغُوبُ: التَّعَبُ والإِعْياءُ، مصدرا من لَغَبَ يَلْغُبُ، بالضم، لُغُوباً ولَغْباً ولَغِبَ، بالكسر، لغة ضعيفة: أَعْيا أَشدَّ الإِعْياءِ[٥]، وفي التنزيل العزيز: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ)[٦].

ح. قال أبو العتاهية:

---

[١]/ سورة البلد الآية ٤.

[٢] / لسان العرب لابن منظور، ج٢، ص٢٤٣.

[٣]/ لسان العرب لابن منظور، ج٢، ص٢٤٣.

[٤]/ سورة التغابن، الآية ٩.

[٥]/ لسان العرب لابن منظور، ج٤، ص٢٤٣.

[٦]/ سورة ق، الآية ٣٨.

المَــــرءُ آفَتُـــــهُ هَــــوى الـــدُنيا وَالمَــــرءُ يَطغَـــى كُلَّمـــا اســـتَغنى

استغنى الرجلُ: أَصابَ غِنىً، وأَغْنَى اللهُ الرجلَ حتى غَنِيَ غِنىً أَي صار له مالٌ وحديث الجُمعة: (مَن اسْتَغْنى بلَهْوٍ أَو تِجارةٍ اسْتَغْنى الله عنه، واللهُ غَنِيٌّ حَمِيد)[١]، أَي اطَّرَحَه اللهُ ورَمَى به من عَيْنه فِعْلَ من اسْتَغْنى عن الشيء فلم يَلْتَفِتْ إليه، وقيل: جَزاهُ جَزاءَ اسْتِغْنائه عنها كقوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)[٢]؛ واسْتَغْنَى اللهَ: سأَله أَن يُغْنِيهَ؛ قال: وفي الدعاء اللهمَّ إني أَسْتَغْنِيكَ عن كلِّ حازِمٍ، وأَسْتَعِينُك على كلِّ ظالِمٍ، قال المُغيرة ابن حَبْناء التَّميمي:

كِلانـــا غَنِـــيٌّ عـــن أَخِيـــه حَياتَـــه وَنَحْـــنُ إذا مُتْنـــا أَشَـــدُّ تَغانِيَـــا

خ. قال أبو العتاهيه:

وَلَقَـــد طَلَبـــتُ فَلَـــم أَجِـــد كَرَمـــاً أَعلـــى بِصـــاحِبِهِ مِـــنَ التَقـــوى

وقال في ذات المعنى:

أَشَـــدُّ الجِهـــادِ جِهـــادُ الهَـــوى وَمـــا كَـــرَّمَ المَـــرءَ إِلّـــا التُقـــى

تَوَقَّيْتُ واتَّقَيْتُ الشيء وتَقَيْتُه أَتَّقِيه وأَتْقِيه تُقىً وتَقِيَّةً وتِقاء: حَذِرْتُه؛ والاسم التَّقْوى، التاء بدل من الواو والواو بدل من الياء[٣]، وفي التنزيل العزيز: (الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ)[٤]؛ أَي جزاء تَقْواهم، وقيل: معناه أَلهَمَهُم تَقْواهم، وقوله تعالى: (وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ)[٥]؛ أَي هو أَهلٌ أَن يُتَّقَى عِقابه وأَهلٌ أَن يُعمَلَ بما يؤدِّي إلى مغفرته.

---

[١]/ صحيح البخاري

[٢]/ سورة التغابن، الآية ٦.

[٣]/ لسان العرب لابن منظور، ج٢، ص٢٤٣.

[٤]/ سورة محمد، الآية ١٧.

[٥]/ سورة المدثر، الآية ٥٦.

د. قال أبو العتاهية:

وَهُوَ الخَفِيُّ الظاهِرُ المَلِكُ الَّذي هُوَ لَم يَزَل مَلِكاً عَلى العَرشِ اِستَوى[1]

استوي الشيءُ: اعْتَدَلَ، والاسم السَّواءُ، يقال: سَوَاءٌ عَليَّ قمتَ أَو قعدتَ. واستوي الرجلُ: بلغ أَشُدَّه، وقيل: بلغ أَربعين سنة[2]، وقوله عزَّ وجل: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ استوي إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[3]؛ قال الفراء: وقال ابن عباس ثم استوي إلى السماء صعِدَ، وهذا كقولك للرجل: كان قائماً فاستوي قاعداً، وكان قاعداً فاستوي قائماً، وقال أحمد بن يحي: الاسْتِواءُ المقصود هو الإقبال على الشيء، وقال الأخفش: استوي أَي علا، تقول: استَوَيْتُ فوق الدابة وعلى ظهر البيت أَي علَوْتُه.

ذ. قال أبو العتاهية:

زُغ كَيفَ شِئتَ عَنِ البِلى فَلَهُ عَلى كُلِّ اِبنِ أُنثى حافِظٌ وَرَقيبُ[4]

من أَسماءِ الله تعالى: الرَّقِيبُ: وهو الحافظُ الذي لا يَغيبُ عنه شيءٌ؛ وفي الحديث: ارْقُبُوا مُحَمَّداً في أَهل بيته أَي احفَظُوه فيهم[5]. وفي الحديث: (ما مِن نَبيٍّ إلاّ أُعْطِيَ سبعةَ نُجَباءَ رُقَباءَ) أَي حَفَظَة يكونون معه. والرَّقيبُ: الحَفِيظُ. والتَّرَقُّبُ: الانتظار، وكذلك الارْتِقابُ. وقوله تعالى: (قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي)[6]؛ معناه لم تَنتَظِرْ قولي، والرَّقِيبُ: الحارِسُ الحافِظُ، لقوله تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)[7].

ر. قال أبو العتاهية:

---

[1]/ ديوان أبي العتاهية، دار صادر بيروت، ط٢، ص٤٥٦

[2]/ لسان العرب لابن منظور، ج٤، ص٢٢٣.

[3]/ سورة البقرة، الآية ٢٩.

[4] / ديوان أبي العتاهية، دار صادر بيروت، ط٢، ص٣٥١.

[5]/ لسان العرب لابن منظور، ج٢، ص٢٤٣.

[6]/ سورة طه، الآية ٩٤.

[7]/ سورة ق، الآية ١٨.

وَمَـــن شَـــكَرَ اللَـــهَ لَـــم يَنسَـــهُ	وَلَـــم يَنقَطِـــع عَنـــهُ مِنـــهُ المَزيـــدُ
وَمـــا يَكفُـــرُ العُـــرفَ إِلّـــا شَـــقِيٌّ	وَمـــا يَشـــكُرُ اللَـــهَ إِلّـــا سَـــعيدُ

الشُّكْرُ: الثناءُ على المُحْسِنِ بما أَوْلاكَهُ من المعروف[1]. يقال: شَكَرْتُه وشَكَرْتُ له، وباللام أَفصح، وفي التنزيل العزيز: (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا)[2]. وفي الحديث: حين رؤى، ﷺ، وقد جَهَدَ نَفْسَهُ بالعبادة فقيل له: (يا رسول الله، أَتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأَخر؟ أَنه قال، عليه السلام: أَفَلا أَكونُ عَبْداً شَكُوراً؟)[3] والشَّكُور: من صفات الله جل اسمه، معناه: أَنه يزكو عنده القليلُ من أَعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء، وفي الحديث: (لا يَشْكُرُ الله من لا يَشْكُرُ الناسَ)[4]؛ معناه أَن الله لا يقبل شكر العبد على إِحسانه إِليه، إِذا كان العبد لا يَشكُرُ إِحسانَ الناس ويَكْفُر معروفَهم لاتصال أَحد الأَمرين بالآخر، وفي هذه الأبيات أشارة إلى قوله تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) [5] وهي من الآيات التي جرت مجرى الأمثال بين الناس في الحث على شكر الله على نعمهِ وبالشكر تدوم النعم.

ز. قال أبو العتاهية:

فَلابُـــدَّ مِـــن مَـــوتٍ وَلابُـــدَّ مِـــن بِـــلاً وَلابُـــدَّ مِـــن بَعـــثٍ وَلابُـــدَّ مِـــن حَشـــرِ

البَعْثُ: الرسولُ، والجمع بُعْثانٌ، والبَعْثُ: بَعْثُ الجُنْدِ إِلى الغَزْو، والبَعَثُ: القومُ المَبْعُوثُونَ المُشْخَصُونَ، ويقال: هم البَعْثُ بسكون العين[6]. وفي التنزيل العزيز: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ

---

[1] / لسان العرب لابن منظور، ج٤، ص٢٤٣.

[2]/ سورة الأسراء، الآية ٣.

[3]/ صحيح البخاري

[4]/ المرجع السابق

[5] - سورة ابراهيم: (٧).

[6] / لسان العرب لابن منظور، ج٢، ص٢٤٣.

وَعْدًا مَفْعُولًا)[1]؛ وفي الحديث: (أَتاني الليلةَ آتِيانِ فابْتَعَثَاني أَي أَيقَظاني من نومي)[2]، والبَعْثُ في كلام العرب على وجهين: أَحدهما الإِرْسال، كقوله تعالى: ثم بَعَثْنا من بعدهم موسى؛ معناه أَرسلنا. والبَعْثُ: إِثارةُ باركٍ أَو قاعدٍ، تقول: بَعَثْتُ البعير فانبَعَثَ أَي أَثَرْتُه فَثار. والبَعْثُ أَيضاً: الإِحْياء من الله للمَوْتى؛ ومنه قوله تعالى: (ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ، أَي أَحييناكم.

س. قال أبو العتاهية:

وَمَاهِيَ إِلّا رَقْدَةٌ غَيرَ أَنَّها تَطولُ عَلى مَن كانَ فيها إِلى الحَشرِ

الحَشْرُ: جمع الناس يوم القيامة، والحَشْرُ: حَشْرُ يوم القيامة، والمَحْشَرُ: المجمع الذي يحشر إِليه القوم، وكذلك إِذا حشروا إِلى بلد أَو مُعَسْكَر أَو نحوه؛ قال الله عز وجل: (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا)[3]؛ نزلت في بني النَّضِير، وكانوا قوماً من اليهود عاقدوا النبي، ﷺ، لما نزل المدينة أَن لا يكونوا عليه ولا له، ثم نقضوا العهد وما يلوا كفار أَهل مكة، فقصدهم النبي، صلى الله عليه وسلم، ففارقوه على الجَلاءِ من منازلهم فَجَلَوْا إِلى الشام. قال الأَزهري: هو أَول حَشْرٍ حُشِر إِلى أَرض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة إِليها[4].

ش. قال أبو العتاهية:

طوبى لِكُلِّ مُراقِبٍ وَلِكُلِّ أَوّابٍ شَكورِ

طُوبى: اسم الجنة أو اسم شجرة فيها[5]، وفي التنزيل العزيز: (الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآَبٍ)[6]، وفي الحديث: (إِن الإِسلام بَدأَ غريباً،

---

[1]/ سورة الإسراء، الآية ٥.

[2]/ سورة البقرة، الآية ٥٦.

[3]/ سورة الحشر، الآية ٢.

[4]/ لسان العرب لابن منظور، ج٢، ص٢٤٣.

[5]/ لسان العرب لابن منظور، ج٨، ص٢٦٦.

[6]/ سورة الرعد، الآية ٢٩.

وسَيَعُود غريباً كما بدأ، فطُوبى للغُرباءِ)[1]؛ طُوبى: اسم الجنة، وقيل: شجرة فيها، وأَصلها فُعْلى من الطيب، فلما ضمت الطاء، انقلبت الياء واواً. وفي الحديث: (طُوبى للشَّأْمِ لأَن الملائكة باسطةٌ أَجنحتَها عليها)[2]؛ المراد بها ههنا: فُعْلى من الطيب، لا الجنة ولا الشجرة.

إذن فقد أستطاع شعراء الزهد بما لهم من قريحة وقادة وشاعرية فذة وتبحر في العلوم الدينية ومعرفة بدقائق الآيات القرآنية من توظيف الآيات القرآنية التي جرت مجرى الأمثال بعد تحويرها أو بنصها وقد اختاروا من هذه الأمثال الكامنة ما يعكس طبيعة الحياة العباسية.

---

[1] / صحيح البخاري، ٣٦٥.

[2] / المرجع والصفحة السابقتين.

المبحث الثالث

الموسيقى الشعرية

المطلب الأول

الأوزان والبحور

كما سبق وأسلفنا إن لكل بحر من هذه البحور الشعرية ما يشاكله ويوافقه من المعاني، فما يصلح لغرض ما لا يصلح لبقية الأغراض ولذلك نجد شاعرنا أبو العتاهية بما له من قريحة وقادة وتفنن في جميع صنوف الشعر، وكل ما تنوعت الأغراض تنوعت البحور، لذلك اشتمل ديوان أبو العتاهيه على أربعة عشر بحرا كاملا بيانها كالاتى:

الرقم	البحر	عدد القصائد	عدد الأبيات
١	الطويل	١٥٥	١٠٦٩
٢	المديد	١٦	٩٦
٣	البسيط	٩٠	٦١٥
٤	الوافر	٦٧	٤٨٠
٥	الكامل	١٦٤	١٣٨٠
٦	الهزج	١٢	٧٩
٧	الرجز	١٠	٣٤٩
٨	الرمل	٤٤	٢٧٨
٩	السريع	٥٤	٣٠٤
١٠	المنسرح	٤٢	٢٨٤
١١	الخفيف	٢٨	٣٦٠
١٢	المجتث	٤	٣٣
١٣	المتقارب	٢٨	١٩٧
١٤	المتدارك	١	٢
المجموع	١٤	٧٥٥	٥٥٢٦

المطلب الثاني

القافية والفاصلة القرآنية

إن هذا الاقتباس للقرآن الكريم من لدن الشاعر العباسي لم يجيء مصطنعا أو محشوا في الأبيات وإنما جاء نتيجة لحفظ الشاعر للقرآن الكريم وتعمقه في فهمه وفهم أسراره وإيقاعه، فكان أن جاءت آياته منسابة في شعره. من ذلك قول أبي العتاهية:

ألا إلى الله تصيرُ الأمور ما أنتِ يا دُنياي إلا غرور[1]

فالشاعر استفاد من إيقاع قوله تعالى : صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأمُورُ [2] ، موظفاً إياه في بيته الشعري في سياق صوتي نغمى، فلقد جاء وزنه موافقا تفعيلات السريع (مستفعلن/ مستفعلن/ فاعلاتن) من غير زيادة وجاء النص القرآني موزونا خاليا من التحوير أو التغيير في صدر بيته الأول وقوله في مقطوعة في الزهد:

أن قَـــدَّر الله أمـــراً كــــان مفعــــولاً وكيـــف نجهــلُ أمـــراً لـــيس مجهـــولا

إنـــا لـــنعلمُ أنـــا لاحقـــون بمـــن ولّـــى ولكـــن في آمالنـــا طـــولا

فقد اقتبس في صدر بيته الأول من قوله تعالى : وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً[3] فالإيقاع الخارجي للمقطوعة هذه تكاتف على انتاجه الوزن والقافية فجاء وزنه موافقا لتفعيلات البسيط (مستفعلن / فاعلن / مستفعلن / فعلن) إذ أبدل الشاعر عبارة وَلَكِن لِّيَقْضِيَ بعبارة (إن قدر) لاقامة الوزن الشعري مع وجود زحاف القطع[4] في كل من تفعيلتي العروض والضرب.

---

[1]/ ابي العتاهية اشعاره واخباره: ص١٧٢.

[2]/ سورة الشورى: ٥٣.

[3] / سورة الانفال: ٤٢.

[4]/ القطع: هو حذف ساكن الوتد المجموع وتسكين ما قبله.شرح تحفة الخليل في العروض والقافية، عبد الحميد الراضي، مطبعة العاني، ١٩٦٨م،(٥٢) وفن التقطيع الشعري، د. صفاء خلوصي، ساعدت جامعة بغداد على نشره،١٩٦٢م:(٨٥).

ولأبي العتاهية أبيات في الزهد والقناعة يقول فيها:

قد رأيتُ الدُنيا إلى ما تصير ... كلُّ شيءٍ منها صغيرٌ حقير

أنا في حيلة التخلص منها ... وعلى ذلك الإله قدير

هو ربي وحسبي الله ربي ... فلنعم المولى ونعم النصير

أي شيء أبغي إذا كان لي ظ ... لٌّ وقوتٌ حِلٌّ وثوبٌ سَتير

ما بأهلِ الكفاف فَقْرٌ ولكن ... كلُّ من لم يقنع فذاك فقير

فالشاعر في بيته الثالث قد استوحى من قوله تعالى: فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ[1] وقوله تعالى: وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَوْلاَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ[2] فعمد الى زيادة حرفي الفاء واللام لينسجم مع الوزن الشعري الذي وضعه لمقطوعته التي جاءت على البحر الخيف (فعلاتن /مستفعلن /فاعلاتن) والتي اقتضت زيادة سببين ثقيلين (ب) الى الآية لتحقيق الوزن الشعري المطلوب للمقطوعة.

وفي نصائح أبي العتاهية تذكير بيوم القيامة و ما فيه من الأهوال ومن أجمل نصائحه قوله:

رغيفُ خُبزٍ يابسٍ ... تأكله في زاويهِ

وكوزُ ماءٍ باردٍ ... تشْرَبُهُ من صافيه

وغرفةٌ ضيقةٌ ... نَفْسَكَ فيها خاليه

الى أن يقول:

خيرٌ من الساعات في ... فَيءِ القصورِ العاليه

وتعقبها عقوبةٌ ... تُصلى بنارٍ حاميه

---

[1] / سورة التوبة: ١٢٩

[2] / سورة الانفال: ٤٠.

فالشاعر قد اقتبس في عجز بيته الأخير قوله تعالى: تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً[1] فبنى الفعل (تصلى) للمجهول وادخل حرف الباء على لفظة (نار) فجرها بعد أن كانت منصوبة في الآية القرآنية ليكتمل بذلك عروض البيت الشعري(مستعلن/ مستفعلن) من مجزوء الرجز. ومن ذلك أيضا قول أي العتاهية في قصيدة له:

أرى الناس في الدنيا معافىً ومبتلى   وما زالَ حكم اللهِ في الأرضِ مرسلا

مضى في جميع الناس سابقُ عمله   وفصلّه مـن حيـث شـاءَ ووصَّـلا

بَلا خـلقـه بالـخير والشـرِّ فتـنـةً   ليْرغَبَ فيـما في يـديـهِ ويُسْـألا

فلا تحـسبـن الله يخـلف وعـده   بما كان أوصى المرسلين وأرسلا[2]

فالشاعر في بيته الأخير اقتبس قوله تعالى: فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ[3]. فالنص الشعري جاء موزوناً خالياً من التحوير والتغيير خلا تحويل الشاعر لكلمة(مخلف) بـ (يخلف) في النص الشعري الذي جاء على البحر الطويل إذ جاءت التفعيلة الثالثة من الصدر في الشطر الأول فعول/ب-ب/ ومعنى ذلك أنه حذف منها الخامس الساكن[4] وهو كثير الورود في هذا البحر ومستحبّ.

أما ابو العتاهية في قوله:

نعت نفسها الدُنيا الينا فأسمعت   ونادت ألاَ جدَّ الرحيلُ وودعت

فما موِّتَ الأحيـاء إلا ليـبعثـوا   وإلا لتجزى كلُّ نفسٍ بما سَعَت[5]

فقد استفاد في البيت الثاني من إيقاع الآية القرآنية: إِنَّ السَّاعَةَ ءاَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى[6]، مستعملاً إياه في سياق صوتي نغمي جاء موافقاً

---

[1]/سورة الغاشية: ٤.

[2]/ ابي العتاهية اشعاره واخباره: ص٣٠٣ -٣٠٤.

[3] سورة ابراهيم: ٤٧.

[4]/ القبض: هو حذف الخامس الساكن من الجزء، شرح تحفة الخليل في العروض والقافية: ٤٥.

[5]/ ابي العتاهية اشعاره واخباره: ص٧٠.

[6]/ سورة طه: ١٥

لتفعيلات الطويل بزيادة (وإلا) في اول العجز واستعاض من لفظة (تسعى) (سعت) لينتظم وزن البحر الشعري الذي اختاره لقصيدته.

وفي قوله:

يــا عجبــاً كلنــا يحيـد عــن ال	**حـــين وكـــلٌّ لحينـــه لاقـــي**
كـــأن حيـــاً قـــد قـــام نادبـــه	**والتفـــت الســـاق منـــه بالســـاق**
و اســـتل منـــه حياتـــه ملـــك ال	**مـــوت خفيـــا ، وقيـــل مـــن راق**

فالشاعر في عجز بيته الثاني قوله تعالى: وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ [1]، ليوظفه في سياق صوتي نغمي جاء وزنه موافقاً لتفعيلات المنسرح بزيادة كلمة (منه) في وسط العجز لينتظم وزن البحر الشعري (مستفعِلن / مَفْعُلَاتُ / مستفعل) فعمد الى زحاف الطي[2] لتتحول من مفعولات /--- ب/ الى مَفْعُلاتُ /-ب -ب/ مع وجود علة القطع اللازمة في ضرب البيت الشعري مُستفعل/--- /، واقتبس الشاعر أيضا في عجز بيته الثالث قوله تعالى : وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ [3] بزيادة عبارة (موت خفيا) مَسْتَعِلُن مع سبب خفيف وعلة القطع[4] اللازمة في ضرب الشعري مُستفعل /--- /.

وقد لا يحتاج الشاعر الى حذف شيء من النص القراني بل يزيد عليه من نظمه للضرورة الشعرية وليناسب السياق الصوتي للآية الموزونة

---

[1]/ سورة القيامة: ٢٩.

[2]/ زحاف الطي: هو حذف الرابع الساكن من التفعيلة، شرح تحفة الخليل:ص٥٤، وفن التقطيع الشعري: ص١١١.

[3]/ سورة القيامة: ٢٧.

[4]/ علة القطع: علة حذف ساكن الوتد المجموع من اخر التفعيلة وتسكين ما قبلها،

شرح تحفة الخليل: ٥٢.

الخاتمة

تناولت في الباب الأول من هذه البحث موضوع الزهد كقضية دينية أدبية شغلت الساحة الفكرية منذ ظهورها مع الخلافة العباسية حتى يومنا هذا لما دار حولها من خلاف واسع، بدء من جذورها وهل هي إسلامية بحتة؟ أم ذات صلة بالرهبانية التى نهى عنها ديننا الحنيف؟، مرورا بالتطور الدلالي التاريخي للفظة الزهد وماهيتها، والفر ق بينها وبين بقية المسميات، وصولا إلى العناصر المشتركة بين الزهد والديانات الوضعية التى ظهرت في خواتيم هذا العصر من مانوية وزردكشية والإلهي الظلمة والنور والخير والشر، وكثر الجدل حتى اتهم بعض الزهاد بالزندقة وعلى راسهم أبي العتاهية.

ثم أفردت الباب الثاني لدراسة ثلاثة من أبرز شعراء الزهد في العصر العباسي الأول، وهم عبد الله بن المبارك، محمود الوراق، أبو العتاهية، متتبعة حياتهم وشيوخهم وتلاميذهم، وأراء العلماء فيهم، موضحة السمات الزهدية لكلا منهم على حدا، متوقفة عند روافدهم اللغوية والدينية. أم الباب الثالث فقد تناولت فيه الخصائص الفنية لهولاء الشعراء، وفهمهم العميق لتعاليم دينهم السمحاء، وحفظهم آيات الذكر الحكيم التى زين بها شعراء الزهد قصائدهم الزهدية، ولم يكتفوا بذلك بل حاولوا جاهدين أن يقاربوا بين الموسيقى الشعرية والفواصل القرانية، وهذا ما لا يتأتى إلا لفحول الشعراء ويشمس عن ما عداهم.

وفي ختام هذا البحث لا بد أن أشير إلى عدد النتائج والتوصيات التى توصلت إليها بعد طول أناءة وبحث، راجية من المولى أن تنال أهتمامكم و الله من وراء القصد.

والنتائج:

أولا: أن لفظ الزهد مر بمراحل مختلفة من تزكية وتنسك إلى زهد وتصوف.

ثانيا: إن الزهد كفكر تيار إسلامي بحت، لا علاقة له بالرهبانية أو المانوية أو الديانات الفارسية الأخرى.

ثالثا: أن روافد الزهد هي القرآن الكريم، والسنة النبوية، وقد جسده لنا المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، ومن سار على هديه من الصحابة والتابعين.

رابعا: أن شعر الزهد قد جاء كنتاج طبيعي للمبالغة والغلو الذين تمدد في كل مناحي الحياة العباسية، من فكرية إلى اجتماعية إلى سياسية، خاصة الغلوا في الترف والمجون.

خامسا: اثبات زهد أبو العتاهية خلاف لمن قال بمانويته أوزندقته.

سادسا: إلقاء الضوء على رائدة الزهد النسائي رابعة العدوية وبيان موقفها الزهدية.

اما التوصيات:

أولا: التوقف عند الظواهر الأدبية التى انبثقت عن العصر العباسي مع ربطها بالدين الإسلامي.

ثانيا: الاهتمام بالعصور القديمة لما تزخر به من الفنون المختلفة والقيم الحميدة، وإعادة تبويبها ونشرها بأسلوب سلس وشائق.

المصادر والمراجع

١.	أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية د. رشيد عبد الرحمن مطبعة التعليم العالي ١٩٨٨م.
٢.	أبي العتاهية أشعاره وأخباره.
٣.	الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين، منجد مصطفى بهجت، مؤسسة الرسالة، ط١ بيروت ١٩٨٦م.
٤.	إتحاف السادة المتقين للزبيدي.
٥.	الإتقان في علوم القرآن جلال الدين عبد الرحمن السيوطي بيروت، دار الندوة الجديدة، ١٩٥١م.
٦.	أثر القرآن في الشعر الجزائري.
٧.	أحاديث أم المؤمنين عائشة. أدوار من حياتها، العلامة السيد مرتضى العسكري، الناشر: التوحيد للنشر، الطبعة الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٨.	أحمد بن أبي فنن حياته وما تبقى من شعره جمع وتحقيق د. يونس أحمد السامرائي بغداد مجلة المجمع العلمي العراقي ، ط١٩٨٤.
٩.	أخبار الشعراء المحدثين،.
١٠.	إحياء علوم الدين، تأليف أبي حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي ، ط٢ ٢٠٠٤م، دار صادر.
١١.	أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، د. أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٤١٩هـ. ١٩٩٩م.
١٢.	الأدب العربي وتاريخه في العصر الأموي والعباسي، لإبراهيم رفيدة، ط١، مكتبة القاهرة،١٩٦٦م.
١٣.	أساس البلاغة، تأليف جاد الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الطبعة الأولى ، بيروت دار صادر ١٣٩٩. ١٩٧٩م. والمعجم الوسيط، الذي أشرف على

طباعته حسن على عطية ومحمد شوقي أمين،الطبعة الثانية.	
أسس النقد الأدبي عند العرب..	١٤.
الإعجاز البياني ومسائل بن الأزرق، د. عائشة عبد الرحمن، القاهرة دائرة المعارف ١٩٧١م.	١٥.
إعجاز القرآن والبلاغة النبوية.	١٦.
الأعلام.	١٧.
الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تحقيق د. إحسان عباس ود. إبراهيم السعافين و أ. بكر عباس، بيروت دار صادر ، الطبعة الثانية.	١٨.
اقتباس شعراء صدر الإسلام من القرآن، سامي مكي العاني، مجلة آداب المستنصرية العدد ٢٠ – ٢١، سنة ١٩٩١م.	١٩.
الاقتباس من القرآن الكريم، لابي منصور الثعالبي، تحقيق د. ابتسام مرهون الصفار، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٥م.	٢٠.
أنوار الربيع في أنوار البديع ابن معصوم، تحقيق شاكر هادي النجف مطبعة النعمان، ١٩٦٨.	٢١.
أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية، للعلامة محمود مصطفى، راجعه وكتب مقدمته د. عبد المنعم خفاجي، الرياض مكتبة المعارف.	٢٢.
الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، تحقيق جماعة من علماء الأزهر القاهرة (د.ت).	٢٣.
البيان والتبيين.	٢٤.
تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف السيد محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي المتوفي١٢٠٥م، اعتنى به الدكتور عبد المنعم خليل إبراهيم والأستاذ كريم سيد محمد محمود، المجلد الرابع، الطبعة الأولي.	٢٥.
تاريخ الأدب العربي، د.بلاشير ترجمة د. ابراهيم الكيلاني، منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٣م.	٢٦.

٢٧.	تأريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، تأليف د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط١٥.
٢٨.	تأريخ الأدب العربي، تأليف د. عمر فروخ، دار العلم الملاين، ط٨.
٢٩.	تاريخ التصوف في الإسلام..
٣٠.	تاريخ دمشق لابن عساكر
٣١.	التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، د. زكي مبارك، ط١، القاهرة مطبعة الرسالة ١٩٣٨م.
٣٢.	التصوف بين الغزالي وابن تيمية، لـ د. عبد الفتاح محمد سيد أحمد، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر.
٣٣.	التصوف في الشعر العربي، للدكتور عبد الحكيم حسان ط١.
٣٤.	التعبير الفني في القرآن، د. بكري شيخ أمين، بيروت دار الشروق ١٩٧٩م.
٣٥.	التعريفات، لأبي الحسن الحسني الجرجاني، تحقيق د.أحمد مطلوب، ط دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م
٣٦.	تفسير روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربي.
٣٧.	التلخيص للخطيب القزويني، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، القاهرة ١٩٣٢م.
٣٨.	تهذيب التقريب.
٣٩.	التيار الإسلامي في العصر العباسي الأول.
٤٠.	الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب، تأليف د. صالح آدم بيلو، ط١سنة ١٤٠٨هـ.
٤١.	ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني حققها وعلق عليها، محمد خلق الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر.

.٤٢	جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنئوط، مكتبة الحلواني ومكتبة دار البيان، الطبعة : الأولى
.٤٣	الجامع الصحيح للإمام الحافظ أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ٢٠٩ – ٢٧٩، حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر.
.٤٤	الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، تحقيق وتعليق د. مصطفى ديب.
.٤٥	الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير تأليف الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٨٤٩ - ٩١١ هـ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.
.٤٦	الجامع الكبير، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي.
.٤٧	الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، لابن الأثير، تحقيق مصطفى جواد وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٦٥م.
.٤٨	الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ)، دار عالم الكتب، المحقق هشام سمير البخاري.
.٤٩	الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، دار النشر / دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق : د. علي حسين البواب.
.٥٠	الحب الإلهى فى التصوف الإسلامى، لد. محمد مصطفى حلمى، دار القلم، سلسلة المكتبة الثقافية، العدد ٢٤، أول نوفمبر ١٩٦٠م.
.٥١	حسن التوسل في صناعة الترسل، شهاب الدين أبوالثناء محمود بن سليمان بن فهد، تحقيق أكرم عثمان بغداد وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٠م.

٥٢.	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لـ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الرابعة.
٥٣.	دائرة المعارف الإسلامية في الجزء ١١ من المجلد التاسع.
٥٤.	دروس في علم الأصوات العربية، لجان كانتينو، نقله إلى العربية: صالح القرمادي، تونس ١٩٦٦م.
٥٥.	دليل الفالحين شرح رياض الصالحين.
٥٦.	ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار، القاهرة ، مطبعة دار الكتاب.
٥٧.	ديوان أبو دلامة، ط١.
٥٨.	ديوان أبو الطيب المتنبي، دار صادر بيروت، ط١.
٥٩.	ديوان أبي العتاهية .
٦٠.	ديوان الأعشى، دار صادر بيروت، ص٢٨.
٦١.	ديوان أبو العلاء المعري، دار صادر بيروت، ط١، ص١٣٢.
٦٢.	ديوان أبو فراس الحمداني، دار صادر بيروت، ط١.
٦٣.	ديوان أمية بن أبي الصلت، بيروت المطبعة الوطنية ١٩٣٤م.
٦٤.	ديوان أبو نواس، ط٢.
٦٥.	ديوان بشار بن برد، ط١.
٦٦.	ديوان جرير.
٦٧.	ديوان الجعدي.
٦٨.	ديوان حسان بن ثابت، بيروت دار صادر.
٦٩.	ديوان دعبل، بتحقيق محمد يوسف نجم، دار الثقافة ببيروت.

٧٠.	ديوان طرفة بن العبد، بيروت المطبعة الوطنية، ص٢٩.
٧١.	ديوان العباس بن الأحنف، ط١ .
٧٢.	ديوان عبد الله بن المبارك، تحقيق د. مجاهد مصطفى بهجت دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، ط٣ سنة ١٤١٣هـ.
٧٣.	ديوان الفرزدق، ط٢.
٧٤.	ديوان لبيد بن أبي ربيعة، بيروت المطبعة الوطنية ١٩٣٤.
٧٥.	ديوان محمد بن الحازم.
٧٦.	ديوان محمد بن يسير.
٧٧.	ديوان محمد بن كناسة، ط٢.
٧٨.	ديوان محمود الوراق.
٧٩.	ديوان مسلم بن الوليد، ط٢.
٨٠.	ذم الدنيا، للحافظ بن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم.
٨١.	رابعة العدوية والحياة الروحية فى الإسلام.
٨٢.	الرسالة القشيرية.
٨٣.	الرياض النضرة.
٨٤.	الزهد الكبير، ألفه أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى الخسروجردي البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨هـ). حققه د. تقي الدين الندوي، ط١، بدار القلم بالكويت.
٨٥.	الزهد للعالم هناد بن السري المتوفى سنة٢٤٣هـ طبعه خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري على نفقة صاحب السمو خليفة بن حمدان أمير دولة قطر، سنة (١٤٠٦. ١٩٨٦).

الرقم	المرجع
٨٦.	الزهد وصفة الزاهدين، للإمام أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي، تحقيق مجدي فتحي السيد، مكتبة الصحابة بطنطا.
٨٧.	زهديات ابي نواس تحقيق د. علي الزبيدي، مطبعة كوستاتسوماس، القاهرة ١٩٥٩م.
٨٨.	سير أعلام النبلاء، لالإمام، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الحادية عشر ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، تحقيق مأمون صاغرجي - علي أبو زيد - نذير حمدان - كامل الخراط - صالح السمر.
٨٩.	سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن عبد الحكم.
٩٠.	السيرة النبوية لمحمد بن هشام.
٩١.	السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي تحقيق دكتور عبد الغفار سليمان البندري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان جميع الحقوق محفوظة الدار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
٩٢.	السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ومؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، الطبعة : الأولى . ١٣٤٤ هـ، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد.
٩٣.	شرح تحفة الخليل.
٩٤.	شعب الإيمان، لـ أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٠، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
٩٥.	شعر ابن ميادة جمع وتحقيق محمد نايف الدليمي، مطبعة الجمهورية، الموصل ١٩٦٨م.
٩٦.	الشعر والشعراء، لابن قتيبية تحقيق الشيخ أحمد شاكر، دار المعارف.
٩٧.	شعر اليزيديين، جمعه وحققه د. محسن غياض النجف مطبعة النعمان ١٩٧٣م :

	(٤٣).
٩٨.	صحيح البخاري.
٩٩.	صحيح الجامع الصغير.
١٠٠.	طبقات الشعراء.
١٠١.	الطبقات الكبرى للشعراني، مطبعة مصطفى الحلبي واولاده بمصر، ط١ ١٩٥٤.
١٠٢.	العقد الفريد.
١٠٣.	العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الجيل بيروت لبنان، ط٤، ١٩٧٢.
١٠٤.	عيون الأخبار لابن قتيبة .
١٠٥.	غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ زكريا عميران.
١٠٦.	الفاصلة القرآنية، عبد الفتاح لاشين، الرياض، دار المريخ، ١٩٨٢م.
١٠٧.	فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ط٧، دار نهضة مصر الفجالة القاهرة ١٩٧٣م.
١٠٨.	القاموس المحيط، تأليف مجد الدين الفيروز أبادي، المجلد الأول، دار الحديث القاهرة.
١٠٩.	القوافي لأبي يعلى عبد الباقي بن عبد الله التنوخي، تحقيق د. عوني عبد الرءوف.
١١٠.	كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق د. علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت المكتبة العصرية ١٩٨٦م.

.١١١	الكشف والبيان، ل أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار إحياء التراث العربي لبنان ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م،ط١، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.
.١١٢	لسان العرب، تأليف جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري، الطبعة الأولي.
.١١٣	المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تحقيق احمد محمد الحوفي ود. بدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر القاهرة ١٩٥٩م.
.١١٤	مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزراعي الدمشقي ابن القيم الجوزية ٦٩١. ٧٥١هـ، المكتبة التجارية مكة المكرمة.
.١١٥	المدخل إلى السنن الكبري للبيهققي .
.١١٦	المحيط في الغة.
.١١٧	المستدرك بتعليق الذهبي، الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد، تعليق الإمام الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (٦٧٣ - ٧٤٨هـ، ١٢٧٥ - ١٣٤٧م).
.١١٨	المسند لإمام أحمد بن حنبل، طبعة بيروت دار صادر.
.١١٩	المصطلح والمفهوم، للشيخ عبد المحمود الحفيان، ط١سنة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، مشيخة الطريقة السمانية.
.١٢٠	معجم آيات الاقتباس، حكمت فرج البدري، بغداد دار الرشيد للنشر ١٩٨٠م.
.١٢١	المعجم الأوسط للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد أبو الفضل عبد الحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع.
.١٢٢	المعجم الأوسط، رواه الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن أحمد، و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين . القاهرة ١٤١٥.

١٢٣.	معجم الشعراء للمرزباني (ت٣٨٤هـ) تحقيق عبد الستار احمد فراج دار احياء الكتاب العربي.
١٢٤.	المعجم الصغير للطبراني للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠ هـ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
١٢٥.	معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة، تأليف الدكتور يوسف محمد رضا، الطبعة الأولى، بيروت دار الكتب العلمية.
١٢٦.	المعجم الكبير، المعجم الكبير للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ هـ - ٣٦٠ هـ)، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية.
١٢٧.	معجم النقد العربي القديم، د. احمد مطاوب، بغداد دار الشؤون الثقافية العامة١٩٨٩. حققه
١٢٨.	معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) تحقيق نديم مرعشلي دمشق، دار الفكر دار الكتاب العربي.
١٢٩.	معراج التشوف.
١٣٠.	من بلاغة القرآن
١٣١.	الموافقات في أصول الشريعة، للإمام الفقيه إبراهيم بن موسى الخمي الغرناطي أبو إسحاق الشاطبي المتوفي سنة ٧٩٠ هـ، تحقيق د. محمد الإسكندراني و عدنان درويش، دار الكتاب بيروت، طبع سنة ١٤٢٩ هـ. ٢٠٠٨م، ج١.
١٣٢.	موسوعة نظرات التصوف الإسلامي المصطلح والمفهوم، ل الشيخ عبد المحمود الحفيان ابن الشيخ الجيلي، ط١، مشيخة الطريقة السمانية بـ طابت مصلحة المطبوعات.
١٣٣.	موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس مكتبة الانجلو المصرية ط٤، ١٩٧٢م، ص٢٤٦، بناء القصيدة في النقد العربي القديم، يوسف حسين بكار، مطبعة دار نشر الثقافة بالفجالة، القاهرة،١٩٧٧م.

١٣٤.	ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، السيد احمد الهاشمي، القاهرة ١٩٥١م.
١٣٥.	نزهة الالباء في طبقات الادباء ابو البركات الانباري (ت٥٧٧هـ) تحقيق د. ابراهيم السامرائي مكتبة الاندلس بغداد ١٩٧٠م .
١٣٦.	نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ود.محمد بركات حمدي، دار الفكر للتوزيع والنشر، عمان الأردن، ١٩٨٥.
١٣٧.	الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، ط ١٩٩٧م.
١٣٨.	الوافي في العروض والقوافي، للخطيب التبريزي.
١٣٩.	الورقة لابن الجراح (ت٢٩٦هـ) تحقيق عبد الوهاب عزام، عبد الستار احمد فراج دار المعارف مصر ١٩٥٣م.



المحتويات

شعراء الزهد في العصر العباسي الأول



السيرة الذاتية للمؤلفة



الدكتورة : زينب السيد فكي السيد محمد نور

مكان وتاريخ الميلاد : المملكة العربية السعودية ١٩٨٢م.

الحالة الزوجية : متزوجة – أم لطفلتين.

الجنسية : السودان.

الديانة : مسلمة .

التخصص : لغة عربية – نقد وادب .

الوظيفة : باحث .

الدرجة العلمية : دكتوراة.

عنوان العمل مجمع اللغة العربية – شارع الجمهورية الخرطوم .

المؤهلات العلمية :

- بكالوريوس – كلية اللغة العربية – جامعة ام درمان الاسلامية
- الماجستير- كلية اللغة العربيه – جامعة ام درمان الاسلامية
- الدكتوراه- كلية اللغة العربية – جامعة ام درمان الاسلامية

شعراء الزهد في العصر العباسي الأول

د. زينب السيد فكي السيد محمد نور



عمان - العبدلي - مركز جوهرة القدس التجاري
تلفاكس: ٠٠٩٦٢ ٦ ٤٦٥٩٨٩١ - خلوي: ٠٠٩٦٢ ٧ ٩٥٧٤٧٤٦٠ - ٠٠٩٦٢ ٧ ٩٦٢٩٥٤٥٧
ص.ب ٩٢٧٤٨٦ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail: dar_jenan@yahoo.com



9789957594282



Cover design: Samir Alawneh
079 732 9119